

السيد

عَلِيٌّ فَكْرِيٌّ

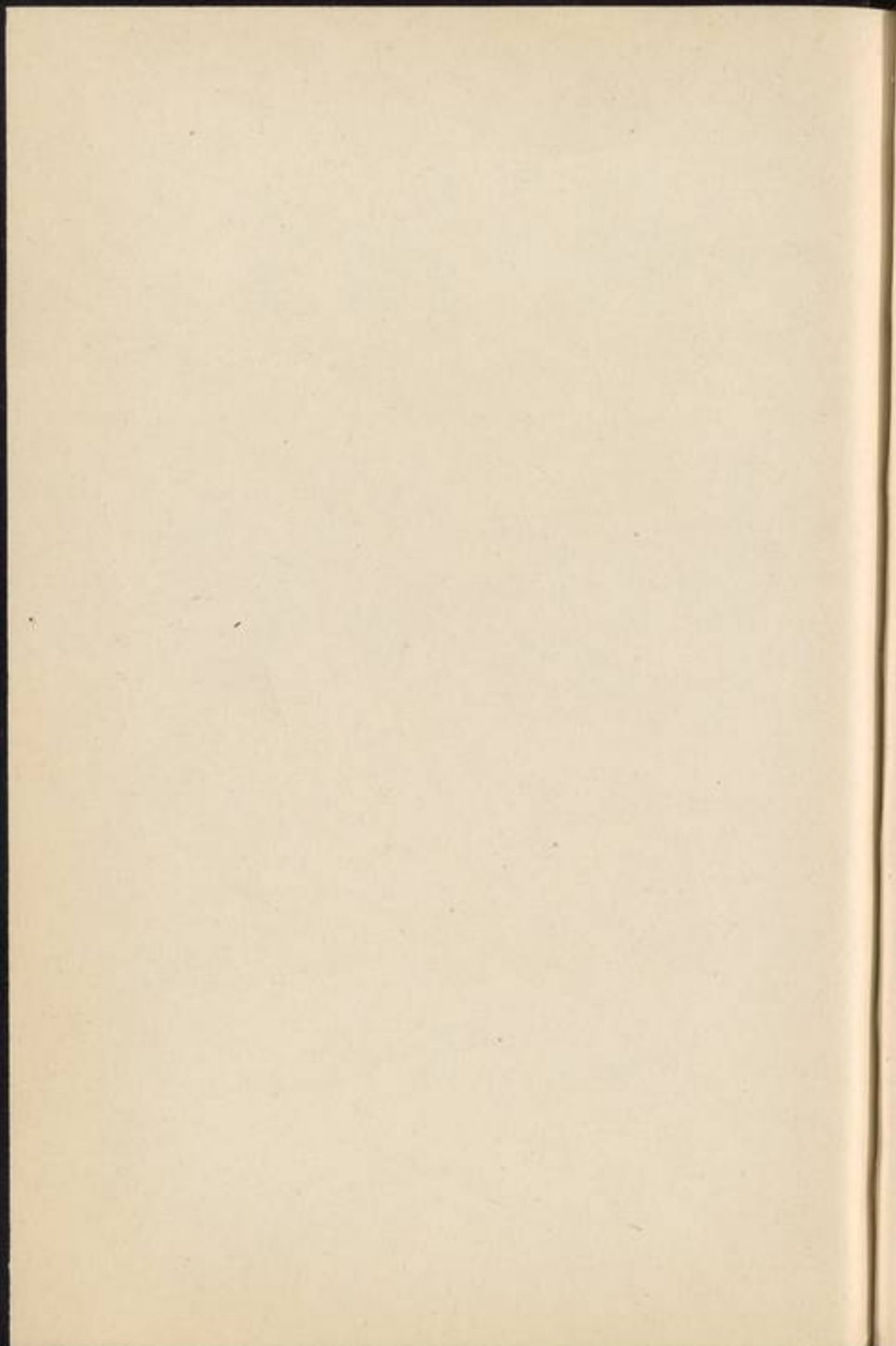
الأدب الإسلامي

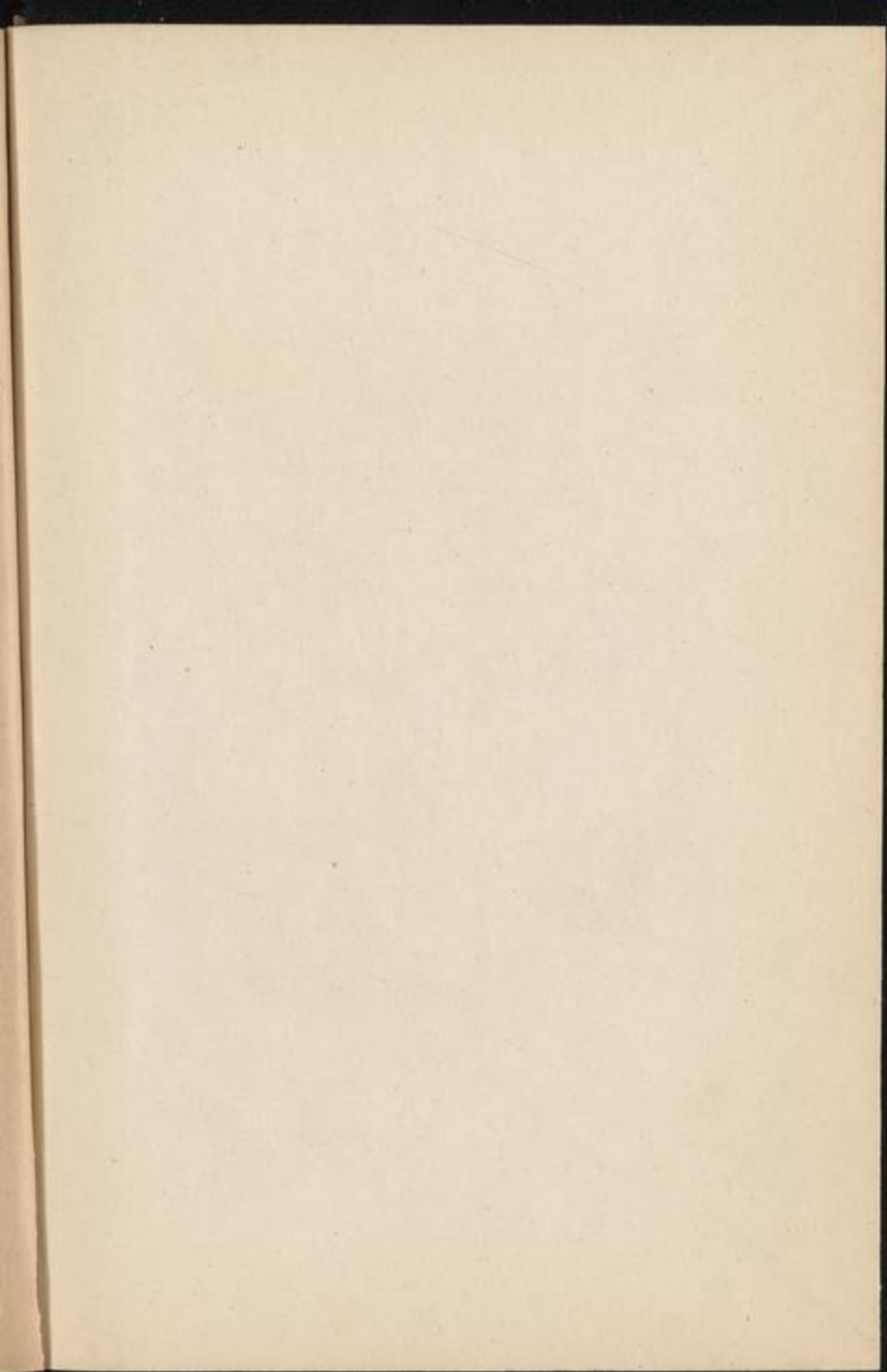
طبع بمطبعة عيسى الباني الحلبي وشركاه بمصر

Columbia University
in the City of New York

THE LIBRARIES







PT 5-2076 Halaby
17/7/45

348

الأدب الإسلامي

تأليف

عافي
السنيك

الأمين الأول ورئيس المغيرين
بدار الكتب المصرية سابقاً

الطبعة الأولى

١٣٥٦ - ١٩٣٧

حقوق الطبع محفوظة
طبع بمطبعة عيسى السان الحلبي وشركاه بمصر

4533141

893,791
#473

قال عليه الصلاة والسلام: أَدَّبَنِي رَبِّي فَأَحْسَنَ تَأْدِيبِي

(عن ابن مسعود)

وقال أيضاً: أكرموا أولادكم وأحسنوا آدابهم

(عن أنس)

وقال حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر شيخ

الجامع الأزهر:

كيف لا يسرنى أن تقوم الشيبية مطالبة بالمحافظة على

الآداب الإسلامية وتعلم دينها؟ معتقدة أن ما في دينها من

الفضيلة والأدب يردّها إلى الطريق السوى، إذا ساورتها

شيعت الشباب

شيعت الشباب

(المرافعى)

الأهرام فى ٨ مارس سنة ١٩٣٧

COLUMBIA
UNIVERSITY
LIBRARY

كلمة

حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الكبير الشيخ محمد الحسيني
الظواهري من علماء الأزهر الشريف ومدرس بكية أصول الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أرسل محمداً صلى الله عليه وسلم بالهدى ودين الحق
ليظهره على الدين كله ، أنزل عليه القرآن تبياناً لكل شيء ، ناطقاً بكل
أمر رشيد ، هادياً إلى صراط العزيز الحميد ، وأنزله على فترة من الرسل
ليرشده الأمة إلى أشرف السبل ، فهداهم إلى الحق ، فاضمحل الباطل ومحق
فمن اتبع هداه فقد فاز بمناء ، ومن عاداه وأخذ ليله هو اه فقد هام
وفي موامى الزور وقع وتردى ، ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور
صلى الله عليه وعلى آله الأبرار ، وصحبه الأخيار ، وعلى من تبعهم باحسان
مدى الدهور والأزمان

وبعد فقد اطلمت على كتاب « الآداب الإسلامية » لجامعة الأستاذ
السيد على فكرى فوجدته أحسن ما يبرز للعالم ، لينتفع به الجاهل والعالم
فقد أتى صاحبه فيه على ما يجب أن يتحلى به الفرد والجماعة ، لأنه استسقاء
من المنبع العذب : (الكتاب والسنة) فمن عمل بما جاء في هذا المؤلف فقد
فاز بسعادة الدارين

كتاب يتحتم على كل مسلم اقتناؤه ، لأنه المرشد إلى ما يصلحه في
معاشه ومعاده

وللمؤلفه من الغزارة في المادة الدينية جاء هذا الكتاب آية كبرى
في بابه ، وأعجوبة في بيانه وإرشاده

أسأل الله جل ذكره أن يتولى جزاء مؤلفه ، فلا يجازى على الصنيع
البالغ أعلى درجة سواه ، إنه بالاجابة جدير ، وإنه نعم المولى ونعم النصير ما

محمد الحسيني الطواهرى

من علماء الأزهر الشريف	} ٢١ ذى القعدة سنة ١٣٥٥
ومدرس بكلية أصول الدين	

المقدمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وبه نستعين

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، وعلى آله وصحبه أجمعين

أما بعد : فيظن بعض الناس أن القرآن الكريم يشتمل فقط على الأحكام الشرعية، والتكاليف الدينية ، في العبادات والمعاملات الشخصية ولكن من يتصفحها بإمعان ، ويدرسه بإتقان ، يجده يشتمل أيضاً على الآداب ومكارم الأخلاق ، التي تدعو الى التمسك بالمبادئ الأدبية ، والتخلق بالأخلاق الزكية ، والانصاف بالصفات الحميدة ، فهو كما قال الله تعالى :

« لَا يُفَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا »

ولما كان أفضل الآداب (آداب القرآن) التي أدب الله بها نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم إذ قال : « أدبني ربي فأحسن تأديبي » وجعله لنا فيه الأسوة الحسنة ، وفيها العبرة المستحسنة ولما كانت أسس (الآداب الإسلامية) هي القرآن المجيد، والحديث

الشريف ؛ لأنهما حافظان بالآيات البينات ، والأحاديث الباهرة الجامعة
للآداب ومكارم الأخلاق ؛ وكان مبدئي وغايي من التأليف، منذ وهبني
الله هذه الفكرة ودفعني إليها حبي للدين وخدمة الإنسانية ، هو بث
روح الفضيلة في نفوس النشء والحث على التمسك بالقواعد والآداب الدينية
رأيت أن أضع في هذا الكتاب الآيات القرآنية، الحاوية للآداب
الشرعية ، مستخلصة من كتاب صديقنا المرحوم أحمد بك الزناتي
(الصراط المستقيم) والأحاديث النبوية الصحيحة مقتطفة من كتاب
(الأدب النبوي) لصديقنا المرحوم محمد عبد العزيز الخولي، فلهم بفضل
السبق في هذا المضمار (أحسن الله إليهما وغفر لهما) مع إضافة ما من
الله علىّ به من الهداية والارشاد

وهذه الآيات والأحاديث مفسرة ومشروحة بعبارة سهلة وجيزة
حتى لا يتعب القارى في فهمها، ويكون لها الأثر الطيب في نفسه، ولو
عمل الإنسان بها لصلحت أحواله، وبلغ آماله، واستقامت أموره، وتمتع
بالراحة والسعادة في الدنيا والآخرة. وقد أسميته (الآداب الإسلامية)

والله تعالى أسأل أن يكون من وراء مطالعته ما أرجوه من الإصلاح
والنفع العام، لجميع الأنام (إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت) فهو
حسبي وكفى ما
الفقير الى مولاه

السير على فسكى

ابن المرحوم السيد محمد عبد الله الحكيم

مصر الجديدة في يوم الخميس } أول ذي القعدة سنة ١٣٥٥
١٤ يناير سنة ١٩٣٧

١ - الرُّدْبُ مع الله تعالى

أو حق الله على العباد

أولاً - الآيات القرآنية

اعلم أيها الإنسان أن الله تبارك وتعالى هو الذي خلقك وأوجدك من العدم حيث كنت في بطن أمك نطفة ، ثم علقه ، ثم مضغه ، فما زلت تتقلب في نعمة ربك ورحمته ، حتى ولدتك طفلاً ضعيفاً (وخلق الإنسان ضعيفاً) لا تعلم من أمور الدنيا شيئاً ، ووهب لك لساناً تنطق به ، وعينين تبصر بهما ، وأذنين تسمع بهما ، ويدين تبطش بهما ، ورجلين تمشي بهما ، وعقلاً تميز به الحق من الباطل ، والنافع من الضار ، إلى أن صرت إنساناً كاملاً . قال الله تعالى :

« وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ

لَكُمْ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ » « النحل »

وهو الذي خلق السموات والأرض وما فيهما ، وأفاض على خلقه نعمه ظاهرة وباطنة ، وأعطاهم من كل شيء ، وسخر لإرادتهم سائر المخلوقات في البر والبحر ، من ماء وهواء ، وأرض وسماء ، ونبات وحيوان وجماد ، ومهما عدوا من نعم الله عليهم فلن يحصوها ، قال تعالى :

« اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً

فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الشَّرَاةِ رِزْقًا لَكُمْ . وَسَخَّرَ لَكُمْ الْفَلَكَ لِتَجْرِيَ
فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ . وَسَخَّرَ لَكُمْ الْأَنْهَارَ وَسَخَّرَ لَكُمْ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ
دَائِبِينَ . وَسَخَّرَ لَكُمْ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ . وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ
وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ» «ابراهيم»
وقال تعالى :

« وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ
وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ، وَتَحْمِلُ
أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بِالْإِنْفِيسِ إِلَّا يَشِقُّ الْإِنْفُسَ إِنَّ رَبَّكُمْ
لَرؤُوفٌ رَحِيمٌ . وَالْحِمْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ
مَا لَا تَعْلَمُونَ وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ
أَجْمَعِينَ ، هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ
شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ، يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ
وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الشَّرَاةِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ
وَسَخَّرَ لَكُمْ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ
بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ
مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ، وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ

الْبَحْرَ لِيَتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا
وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاجِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ .
وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَعَلَّكُمْ
تَهْتَدُونَ . وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ . أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ
لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ، وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ
اللَّهَ لَعَفُورٌ رَحِيمٌ . « النحل »

هذه الآيات كلها تدل على عظمة الخالق وقدرته، وعلى أنه الخالق
المدير للكون، المنظم لما خلق (الذي أحسن كل شيء خلقه) وخلق كل
شيء وهو بكل شيء عليم

فهذا الإله العظيم القادر ، المنعم المتفضل على عباده في كل لحظة بأنواع
النعم ، له عليهم وعليك حقوق وواجبات قد بينها سبحانه وتعالى في
كتابه العزيز ، سأذكرها لك مشروحة ومفسرة لتدبر معانيها ، وتعمل
بها، لتفوز برضا الله وقبوله ، وتكون من السعداء في الدارين وهي :

العبادة - فأول حق وواجب أن تعبد الله حق عبادته كأنك تراه ،
وذلك باستحضار قدس ذاته العلية، وتمثيل عظمته تعالى أمامك ، واطمئنان
نفسك بالثول بين يديه ، واستخلاص قلبك من جميع الشواغل
الدنيوية ، قال الله تعالى :

« وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ » « الذاريات »

فَالْعِبَادَ خَلِصَةً شَجَرَةَ الْمَخْلُوقَاتِ ، وَقَالَ تَعَالَى :

« يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ

قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ » « البقرة »

يقول الله تعالى ذكره : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ) المكلفون ممن وجدوا في

عصر الخطاب الإلهي ، ومن سيوجد إلى قيام الساعة (اعبدوا) أي

وحدوا وأطيعوا (ربكم) أي خالقكم مع التذلل والخضوع له واجتنبوا

عبادة غيره من الأوثان والأصنام وممن هو خلق مثلكم ، فإنه تعالى هو

(الذي خلقكم) أي أوجدكم من العدم (والذين) أي وخلق الذين

كانوا (من قبلكم) من الأمم السابقة وخلق أوثانكم وآلهتكم

وغيرهم مما لا تعلمونه من المخلوقات

ومن فعل هذا وحده فلا شك أنه الإله القادر على ضرركم ونفعكم

فهو أولى وأحق بالعبادة، والخضوع إليه، والإخلاص له بالطاعة

وقد بين الله تعالى لكم ما ذكر (لعلمكم تتقون) أي لتكونوا راجين

منه تعالى الانتظام في زمرة الفائزين بالهدى والفلاح

وقال تعالى : « وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ » « الاسرى »

أي أمر أمراً جازماً وحكماً حكماً قاطعاً بتوحيده وعبادته

فالعبادة لا تكون إلا لله سبحانه وتعالى خالصة فلا يعبد غيره

أي لا يشرك غيره في العبادة اشراكاً ما ولو مراعاة، فصاحب الرياء كالمشرك

لقوله تعالى : « فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا
وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا » « الكهف »
وقال الله تعالى : « أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَلَّا تَعْبُدُوا
الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ وَأَنْ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ »
« يس ٦١ »

يقول الله تعالى ذكره : (ألم أعهد إليكم) أى ألم أوصمكم (يا بني آدم) ألا
تعبدوا الشيطان فإنه لكم عدو مبين . وأن اعبدوني (فإن عبادتي هي
الصرراط المستقيم) الذى من تمسك به لا يضل أبدا ويفوز بجنة النعيم
وقال الله تعالى لنبىه محمد صلى الله عليه وسلم « فاصدع بما تؤمر
وأعرض عن المشركين إنا كفيناك المستهزئين الذين يجعلون
مع الله إلها آخر ف سوف يعلمون . ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما
يقولون فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين . واعبد ربك حتى
يتأتىك اليقين » « الحجر »

المعنى - اجهر يا محمد بالحجة ، وأعرض عن المشركين ، إنا حفظناك
من المستهزئين ، من صناديد مكة ، فلن يصلوا إليك بأذى ، ونحن نعلم أنه
يضيق صدرك بما يقولون من الشرك والطعن فى القرآن والاستهزاء بك
فافزع الى الله بالتسبيح والحمد ، وكن من الساجدين ، واعبد ربك حتى

يأتيك اليقين (الموت) أى فاعبد الله مادمت حياً ، فهو ملجأ أمرك ،
ومتتهى أملك .

وقال تعالى : « وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ
حُنْفَاءً وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ »
« البينة »

المعنى - أن اليهود والنصارى ما أمروا إلا ليعبدوا الله، مخلصين له في
الدين، مائلين عن العقائد الزائفة، وقيموا الصلاة، ويؤدوا الزكاة وذلك دين
الملة القيمة السمحاء

وقد بين الله تعالى حالة الذين لا يستكبرون عن عبادته فقال :
« إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ
وَلَهُ يَسْجُدُونَ »
« الاعراف »

المعنى - (إن الذين عند ربك) أى ان الذين شرفهم الله بالقرب
من عنايته وألطفه ورحمته (لا يستكبرون عن عبادته) بل يؤدونها
حسباً أمرها به (ويسبحونه) أى وينزهونه من كل ما لا يليق بجناب
كبريائه (وله) أى ولربهم (يسجدون) أى يخضعون بغاية العبودية
والتذلل ولا يشركون معه شيئاً

ثم ان الله تعالى ذكر في هذه الآية التسبيح أولاً والسجود ثانياً
وهذا الترتيب يدل على أن الأصل في الطاعة والعبودية أعمال
القلوب ، ويتفرع عليها أعمال الجوارح

قال الشيخ ناصيف اليازجى اللبناني فى الحث على عبادة الخالق:
 قم فى الدجى بأيمها المتعبد حتى متى فوق الأسرة ترقد
 قم وادع مولاك الذى خلق الدجى والصبح وامض فقد دعاك المعبد
 واستغفر الله العظيم بذلة واطلب رضاه فإنه لا يحقد
 واندم على مافات وانذب مامضى بالأمس واذكر مايجىء به الغد
 واضرع وقل يارب عفوك انى من دون عفوك ليس لى ما يعصد
 يارب مالى غير لطفك ملجأ ولعلمنى عن بابه لا أطرد
 يارب هب لى توبة أفضى بها ديناً على به جلالك يشهد
 أنت الخبير بحال عبدك انه بسلاسل الوزر الثقيل مقيد
 أنت المجيب لكل داع يلتجى أنت المجير لكل من يستنجد
 من أى بحر غير بحرك نستقى ولاى باب غير بابك نقصد
 فالواجب عليك أيها الإنسان أن تعبد ربك عبادة خالصة لوجهه

وقل : اللهم أعنى على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك

وقال تعالى : « فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أُندَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ »

أى لا تتخذوا لله شركاء فى الألوهية، وأنتم تعلمون أن هذه الأشياء
 التى تعبدونها لا يصح جعلها شركاء لله تعالى

وعبادة الله المرجوة القبول تكون بالإخلاص فيها وذلك بمراقبته فى
 جميع حركاتك وسكناتك وملاحظته أنه يراك وان لم تكن تراه، لقوله تعالى:

« وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَمَا كُنْتُمْ » ولقوله صلى الله عليه وسلم :

« الْأِحْسَانُ أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ
فَإِنَّهُ يَرَاكَ »

وعبادة الله تعالى فرض على كل مسلم ومسلمة، وهي راجعة إلى فائدة
البشر ومصالحتهم أنفسهم، إذ الله تعالى أجل وأعز من أن تفيده عبادة
عابده، أو أن يضره كفر كافر

فالحكمة في العبادة وأسرارها الأدبية هي روحها وقوامها إلى
الخلق من ثواب وعقاب وقرب وبعد

وأنواع العبادة خمسة، وهي مذكورة في الحديث الصحيح :

« بَيْنِي وَالْإِسْلَامَ عَلَى خَمْسٍ : شَهَادَةٌ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا
رَسُولُ اللَّهِ ، وَإِقَامُ الصَّلَاةِ ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ ، وَصَوْمُ رَمَضَانَ ،
وَحَجُّ الْبَيْتِ مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا »

وهذه العبادات مشروحة بالتفصيل في كتاب (أركان الإسلام للمؤلف)

التقوى - مراقبة الله تعالى وخشيته في السر والعلانية، والخوف من

عقاب الله والسعي إلى مرضاته بما أمر به، والابتعاد عما نهى عنه، وذلك
لا يكون إلا بالتقوى

ولذا أمر الله جل شأنه في القرآن الكريم بالحث عليها، مبينا ما يترتب

عليها من حميد الخصال، وجميل الفعال، ورفيع الدرجات، وعظيم الخيرات
فقال جل شأنه :

١ - « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ
لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ . وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ
نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ » « الحشر »

الشرح والتفسير

ترشد هاتان الآيتان إلى ثلاثة أمور :

الأول - الحث على التقوى ، وهي امتثال ما أمر الله به ، واجتناب

مانهى عنه ، وهي قوله :

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ »

الثاني - الحث على العمل الصالح ، ومحاسبة الإنسان نفسه قبل
أن يحاسب ، والنظر فيما قدمه من الأعمال الصالحة ليوم معاده ، وعرضه
على ربه ومناقشته الحساب ، وإلى هذه المحاسبة يشير الله تعالى بقوله :

« وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا

تَعْمَلُونَ »

أى حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا ، وانظروا ما ادخرتم لها من
الأعمال الصالحة يوم عرضكم على ربكم ، واعلموا أن الله تعالى عالم بجميع
أحوالكم وأعمالكم ، لا تخفى عليه منكم خافية ، فيجازيكم عليها إن
خيراً فخير، وإن شراً فشر ، كما قال تعالى :

« فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ » « الزلزلة »

الثالث - الحث على مداومة ذكر الله تعالى، وأداء الحق الواجب له
وفي ذلك يقول الله تعالى :

« وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ » « الحشر »

أى بأبيها الذين آمنوا لا تنسوا ذكر الله تعالى فينسيكم العمل الصالح
الذى ينفعكم في معادكم ، فإن الجزء من جنس العمل ، ولذا قال تعالى :
(أولئك هم الفاسقون) أى الخارجون عن طاعة الله تعالى الخاسرون
يوم القيامة ، كما قال تعالى :

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَلْهَيْكُمْ أَمْوَالِكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ
ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ » « المنافقون »

وقد بين الله تعالى ما يترتب على التمسك بالثبوت من الفوز العظيم
والتوفيق لصالح الأعمال ، وتكفير الذنوب والخطايا ، فقال عز وجل :

٢ - يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ
لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ
فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا » « الأحزاب »

الشرح والتفسير

المقصود من هاتين الآيتين : حث المؤمنين على تقوى الله وأن يعبدوه عبادة من يسمهم ويراعهم ، وأن يقولوا قولاً سديداً، أى مستقيماً، لا اعوجاج فيه، ولا انحراف عن الحق فيه، ووعدهم إن فعلوا ذلك أن يشيهم عليه أجر عظيمًا، ويمنحهم من كرمه فضلاً جزيلًا، وخير أعميمًا، بأن يصلح لهم أعمالهم أى يوفقهم للأعمال الصالحة ، وأن يغفر لهم الذنوب الماضية، وما يقع منهم في المستقبل بلهمهم التوبة منه. لقوله تعالى :

« وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْمُو عَنْ السَّيِّئَاتِ »

وبعد أن حث الله عز وجل على التقوى وبين ما يترتب عليها من التوفيق لصالح الأعمال وتكفير الذنوب قال : (ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً) أى ظفر بالخير ظفراً عظيماً سواء في الدنيا أو في الآخرة

٣ - والتقوى من الأسباب التي تقرب العبد من مولاه ، وتدعو لفلاحه وسعادته ، بدليل قوله تعالى :

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَأَبْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا

فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ » « المائدة »

الشرح والتفسير

ترشد هذه الآية الكريمة إلى أنواع الأدب مع الله تعالى وهي ثلاثة:

(م - ٢)

الأول - اتباع أوامره، واجتناب نواهيه ومحارمه ، وهذا هو المراد من قوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ)

الثاني - طلب التقرب إلى الله بجميع أنواع البرِّ والخير ، والطاعات والعبادات، وترك المعاصي والموبقات، وهذا هو المراد من قوله تعالى : (وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ)

الثالث - مجاهدة النفس في سبيل الله، والعمل بشرائمه، التي شرعها وسنها لعباده، وذلك بأن يروض نفسه على فعل الخيرات وعمل الطاعات ويكبح جماحها من الشهوات والمنهيات وقد وعد الله جل شأنه من تأدب معه بهذه الآداب بالفلاح والسعادة الخالدة، وذلك بقوله : (لَعَلَّكُمْ تَفْلَحُونَ)

٢ - وقد حث الله على التقوى وشدد في ذلك فقال :

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا

وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ » « آل عمران »

المعنى

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ) أي خافوا الله وراقبوه بطاعته واجتناب معاصيه (حَقَّ تَقَاتِهِ) أي واجب خوفه، وهو أن يطاع فلا يعصى، ويشكر فلا يكفر ، ويذكر فلا ينسى ، وأن تقولوا الحق ولو على أنفسكم (وَلَا تَمُوتُنَّ) أيها المؤمنون بالله ورسوله (إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ) لربكم أي خاضعون له بالطاعة، مخلصون له في الإقرار بالوحدانية والألوهية

٥ - ثم ان التقوى تنجى الإنسان من الشدة والكرب، وتجعل له من كل هم فرجاً ، ومن كل ضيق مخرجاً ، وتساعده على اكتساب رزقه من حيث لا يدري، بدليل قوله تعالى :

« وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ »

« الطلاق »

المعنى

أى من يخاف الملك الأعظم ، ويجعل بينه وبين ما يسخطه وقاية بما يرضيه، وهو اتباع أوامره ، واجتناب نواهيه ، يجعل له بسبب التقوى مخرجاً، أى مخلصاً من كل شدة ، ويرزقه من حيث لا يدري ، كما قال فى آية أخرى :

« وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا » « الطلاق »

٦ - والتقوى أيضاً من أسباب تكفير السيئات ومحوها، لقوله تعالى :

« وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَكْفِرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا » « الطلاق »

المعنى

أى من يخف الله وينفذ أحكامه ، ويراع حقوقه، يمح عنه سيئاته ويعظم له أجراً ؛ بأن يبدل سيئاته حسنات ، ويوفيه أجرها فى الدارين مضاعفة فيفوز فوزاً عظيماً

٧ - وقال الله تعالى : « إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ

مُحْسِنُونَ » « النحل »

المعنى

(إن الله مع الذين اتقوا) أى إن الله ولى الذين انقطعوا إليه بالكلية وتباعدوا عن كل ما يشغلهم عنه، فلم يخطر ببالهم شئ من مطلوب يرغب فيه، أو محذور يخاف منه، ولا يحزنهم مافات، ولا يخيفهم ما يقع، فهوؤلاء هم الذين يتولاهم ربهم، أى يسكون ربهم وليهم، أى حافظهم وناصرهم ومتولى أمورهم

ثم قال تعالى: (والذين هم محسنون) أى وإن الله مع الذين يأتون بالأعمال الصالحة على وجهها المؤدى إلى حسنها الوضعى والذاتى

٨ - هذا والمسلمون فى جميع بقاع الأرض متساوون ليس لواحد منهم على الآخر فضل إلا بالتقوى، والأعمال الصالحة، كما قال تعالى:

« يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ »

«الحجرات»

أى إن الأكرم عند الله تعالى، والأرفع منزلة لديه عز وجل فى الآخرة والدنيا، هو الأتقى، فإن فاخرتم فتفاخروا بالتقوى لا بالغنى والثروة والحسب والنسب، فإن مدار كمال النفوس، وتفاوت الأشخاص، لا يكون إلا بالتقوى، فمن رام العلو فعليه بالتقوى

وفى الحديث الشريف عن أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال:

يقول الله يوم القيامة - « يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي جَعَلْتُ نَسَبًا وَجَعَلْتُكُمْ

نَسَبًا فَجَعَلْتُ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَاكُمْ فَأَبَيْتُمْ إِلَّا أَنْ تَقُولُوا
 فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ وَفُلَانٌ أَكْرَمٌ مِنْ فُلَانٍ وَإِنِّي الْيَوْمَ أَرْفَعُ نَسَبِي وَأَضَعُ
 نَسَبَكُمْ إِلَّا إِنْ أَوْلِيَايَ الْمُتَّقُونَ »

وفي القرآن الكريم آيات كثيرة تحث على التقوى ، وكذا
 الأحاديث النبوية في هذا الباب أكثر من أن تحصى ، اكتفينا هنا
 بذكر بعضها

وقال ابن الوردي في مدح التقوى :

واتق الله فتقوى الله ما جاورت قلب امرئ إلا وصل

ليس من يقطع طرقاً بطلا إنما من يتق الله البطل

وقال صالح بن عبد القدوس :

عليك بتقوى الله فالزمها تفر إن التقى هو البهى الأهيب

واعمل بطاعته تنل منه الرضا إن المطيع لربه لمقرب

وقال آخر :

واشدد يدك بحبل الله معتصما فإنه الركن إن خانتك أركان

من يتق الله يحمد في عواقبه ويكفه شر من عزوا ومن هانوا

الطاعة : وقد بين الله جل ذكره أن طاعته تعالى ، وطاعة رسوله

ومراقبته والخشية منه ، سبب الفلاح والفوز بالسعادة الأبدية فقال :

« وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشِ اللَّهَ وَيَتَّقِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ

الْفَائِزُونَ » « النور »

المعنى

أى أن طاعة الله ورسوله، والخشية منه جل شأنه، والخوف منه فيما مضى من الذنوب، وحفظ النفس من اقترافها في المستقبل، سبب للفوز والسعادة الأبدية، والأمن من كل شر في الدنيا والآخرة، لأن من أطاع الله ورسوله، واتبع ما أمرا به، واجتنب ما نهى عنه، وخشى الله تعالى وخاف عقابه، وندم على ما فعله من الذنوب، وراقب جانبه حتى لا يقع منه ذنب في المستقبل، فاز بحب الله

ومن أحبه الله منحه الفضل الجزيل والخير العميم وأدخله في دار

النعيم

ولله در القائل :

تعصى الإله وأنت تظهر حبه * هذا لعمري في القياس بديع
لو كان حبك صادقاً لأطعته إن المحب لمن يحب مطيع
حبه الله : أما محبة الله تعالى فتكون بمحبة الرسول محمد صلى الله

عليه وسلم واتباعه، لقوله تعالى :

« قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ . قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ » « آل عمران »

المعنى - يقول الله تعالى ذكروه : (قل) يا محمد لمن يدعى أنه يحب الله ولم

يُذَبِّعُكَ (إِنْ كُنْتُمْ) أَيُّهَا الْمَدْعُونَ مَحَبَّةَ رَبِّكُمْ (تَحْبُونَ اللَّهَ) مَحَبَّةً خَالِصَةً
وَتَرِيدُونَ مَنَازِلَ الْقُرْبِ عِنْدَهُ، لَتَسْأَلُوا فِي الْآخِرَةِ مَشَاهِدَةَ أَنْوَارِ جَمَالِهِ
وَتَفْرَحُوا بِلِقَائِهِ وَبِحُجُورِ أُنْسِهِ (فَاتَّبِعُونِي) أَيُّ فَاتَّقِدُوا بِي فِي أَقْوَالِي
وَأَفْعَالِي . فَإِذَا سَلَكَتُمْ طَرِيقِي (يَجْبِيكُمُ اللَّهُ) وَيَجْعَلُكُمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرْبِ
مِنْهُ وَالتَّنْعَمَ بِمَشَاهِدَتِهِ، فَإِنِّي جَيْبُ اللَّهِ، فَيَكُلُّ مَنْ يَدْعَى مَحَبَّتَهُ لَزِمَهُ اتِّبَاعِي
لِأَنَّ مَحْبُوبَ الْحَبِيبِ مَحْبُوبٌ

فَإِذَا اتَّبَعْتُمُونِي وَسَلَكَتُمْ طَرِيقِي فِي الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا
يَرْفَعُكُمْ اللَّهُ مَكَانًا عَلِيًّا (وَيَغْفِرُ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ) أَيُّ يَسْتُرُ عْيُوبَكُمْ وَلَمْ يَمَاقِبِكُمْ
عَلَى ذُنُوبِكُمْ (وَاللَّهُ غَفُورٌ) لِمَنْ أَخْطَأَ فِي عَمَلِهِ، ثُمَّ أَخْلَصَ فِي التَّوْبَةِ بِمَدِّ
مَا ظَهَرَ الْحَقُّ (رَحِيمٌ) أَيُّ مَحْسَنٌ لَهُ . ثُمَّ لَمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ الْآيَةَ قَالَ
الْمُنَافِقُونَ : إِنْ مُحَمَّدًا يَرِيدُ أَنْ نَجْعَلَ طَاعَتَهُ وَمَحَبَّتَنَا لَهُ كَطَاعَةَ النَّصَارَى
وَمَحَبَّتَهُمْ لِعِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَيَأْمُرُنَا بِذَلِكَ مِنْ غَيْرِ أَنْ يُخْبِرَهُ اللَّهُ بِهِ فَأَنْزَلَ
اللَّهُ تَعَالَى : (قُلْ لِمَنْ يَأْمُرُكُمْ) أَطِيعُوا اللَّهَ (أَيُّ اتَّبِعُوا أَوْامِرَهُ وَاجْتَنَبُوا
نَوَاهِيَهُ (وَالرَّسُولَ) فِي كُلِّ مَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ وَيَنْهَىكُمْ عَنْهُ فَإِنَّهُ مِنْ
عِنْدِي (فَإِنْ تَوَلَّوْا) أَيُّ فَإِنْ أَعْرَضُوا عَنِ اتِّبَاعِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ (فَإِنَّ اللَّهَ
لَا يُحِبُّ) أَيُّ لَا يَنْظُرُ بِعَيْنِ الرِّضَا وَالرَّحْمَةِ إِلَى (الْكَافِرِينَ) أَيُّ
الْمُشْرِكِينَ الْمُنْكَرِينَ لَوْحِدَانِيَةِ اللَّهِ تَعَالَى :

وَقِي الْحَدِيثُ الْقُدْسِيُّ عَنْ رَبِّ الْعِزَّةِ : (مَنْ تَقَرَّبَ إِلَى شَيْءٍ تَقَرَّبَتْ
إِلَيْهِ ذُرَاعًا ، وَمَنْ تَقَرَّبَ إِلَى ذُرَاعِهَا تَقَرَّبَتْ إِلَيْهِ بَاعًا)

فَالرَّءُ إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ تَعَالَى حُبًّا خَالِصًا عَامِلًا بِأَمْرِهِ مِنْتَهِيًا بِنَهْيِهِ، أَحَبَّهُ

الله وجزاه على حبه له من القيام بأمور الطاعات أضعافاً مضاعفة، وأسبغ عليه نعمه ظاهرة وباطنة، وجعله من أوليائه وأصفياؤه الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، وهذا منتهى الرضا وتمام السعادة؛ لأنه بالحب والإخلاص تنتظم أمور المرء، وتستقيم أحواله، وتصفو له الموارد والمصادر في الحياة الدنيا، وينال حسن الثواب في الحياة الآخرة، ونعم أجر العالمين والله در ذلك الشاعر الحكيم الذي جذبته وأدهشته عظمة الخالق جل شأنه فانصرف بكلية إلى حبه فقال :

كانت لقلبي أهواء مفرقة

فاستجمعت مذرأتك العين أهوائى

فصار يحسدنى من كنت أحسده

وصرت مولى الورى إذ صرت مولائى

تركت للناس دنياهم ودينهم

شغلا بذكرك يادىنى ودينائى

الشكر لله : ومن الأدب مع الله أن يشكره الإنسان على ما أنعم

به عليه من الرزق لقوله تعالى :

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَأَشْكُرُوا

لِلَّهِ إِن كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ » « البقرة »

الشرح والتفسير

ترشد هذه الآية إلى أن التوسع في الأكل الحلال، والاستكثار من

الذيذ الأطعمة ليس ممنوعاً منه ، وهذا المراد من قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم) أي من لذيذ ما أعطيناكم من الرزق وترشد أيضاً إلى شكره تعالى على ما رزقكم ، إن صح أنكم تخلصون له بالعبادة ، وتقررون أنه هو المنعم المتفضل عليكم لا غيره ، وهذا المراد بقوله :
(واشكروا لله إن كنتم إياه تعبدون)

لأن الشكر رأس العبادة ، فيجب على العبد أن يشكر مولاه على النعم ظاهراً وباطناً ، فشكره ظاهراً هو أن يذكر العبد نعم الله تعالى عليه ، ويحصرها بلسانه بقدر ما يمكنه ، وشكره باطناً هو أن يستعين بنعمته على الطاعة لا على المعصية

وقال بعض الشعراء في هذا المعنى :

أوليتني نعماً أبوح بشكرها وكفيتني كل الأمور بأسرها
فلا شكرنك ما حييت فإن أمت فلتشكرنك أعظمي في قبرها

ذكر الله تعالى : كما أمرنا الله بشكره ، أمرنا بذكره ، فقال تعالى :

« فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ »

« البقرة »

الشرح والتفسير

إن الله سبحانه وتعالى كلفنا في هذه الآية الكريمة بأمرين وهما :
الذكر ، والشكر ، فقال تعالى : (فاذكروني) أيها العباد بالطاعة (اذكركم)

بالثواب (واشكروا لي) بما أنعمت به عليكم من النعم (ولا تكفرون)
بإنكارها ، وعصيان ما أمرتكم به

واعلم أن الذكر الذي أمرنا الله تعالى به في هذه الآية هو : أن
العبد يحمده ويسبحه ويمجده ، ويقرأ كتابه العزيز بلسانه وحضور قلبه
معاً ، وأن يتفكر في الدلائل على وجود ذاته تعالى وصفاته ، وفي الأجوبة
عن شبه الطاعنين فيها ، وفي الدلائل على كيفية تكاليفه وأحكامه ، وأوامره
ونواهيه ، ووعده ووعيده ، ليعمل بمقتضاها

ثم يفكر في أسرار المخلوقات وعجائبها ، ويكون الذكر بالجوارح
وهو أن تكون جوارح العبد مستغرقة في الأعمال المأمور بها ، متباعدة
عن الأشغال المنهي عنها ، فذكر الله تعالى كل عمل له تعلق بالثواب
وإظهار الرضا واستحقاق المنزلة والإكرام ، وقال الله تعالى :

« وَأَذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ

الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ » « الأعراف »

الشرح والتفسير

خاطب الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بهذه الآية وهي في الحقيقة
خطاب لعموم المكلفين ، فأمرهم فيها بأن يذكروه تعالى في أنفسهم ؛ لأن
انتفاع الإنسان بالذكر لا يكمل إلا إذا كان بهذه الصفة ، ولأن الذكر في
النفس أقرب إلى الإخلاص في الإجابة

فلهذا أمر الله تعالى به في جميع الأحوال فقال : (واذكر) أيها

المؤمن (ربك) أى الربى الحقيقى لك والمنعم عليك (فى نفسك) أى فى قلبك مخلصاً له، ومجتنباً عن الرياء، وعارفاً بمعانى الأسماء التى تذكره بها وافقلاً هذا الذكر (تضرعاً) أى متضرعاً وخاصماً لإلهك (وخيفةً) أى وخائفاً منه. فالنضرع لإظهار ذل العبودية، والخوف منه إما أن يكون خوفاً من عقابه، وهو مقام المذنبين، وإما أن يكون خوفاً من جلاله وعظمته وهيبته، وهو مقام العارفين، فإذا انكشفت لهم حقيقة جلاله صاروا مدهوشين، وإما أن يكون خوفاً من الخاتمة عند الموت، نسأل الله حسنهما (ودون الجهر من القول) أى واجعل هذا الذكر متوسطاً بين الجهر والإخفاء بأن يكون على طريقة يسمع الذاكِر نفسه بها فقط

وإنما أمر الله تعالى أولاً بالذكر القلبي؛ لأنه تحصل منه قوة فى النفس ولا يزال يتزايد نوره إلى أن يجرى على اللسان، بل يسرى فى جميع أعضاء الذاكِر وجوارحه، سرّاً تامتدلاً خالياً عن التكلف. فالزم أيها الذاكِر ذكر الله تعالى (بالقدو) أى فى وقت الغداة الذى هو ما بين طلوع الشمس إلى الزوال (والآصال) أى فى وقت الآصال الذى هو ما بعد العصر إلى المغرب

وإنما أمر الله تعالى عباده بالذكر فى هذين الوقتين، لأن المكلف فى وقت الغداة ينتقل من النوم الذى هو كاللوت إلى اليقظة، التى هى كالحياء، فيتحول من الظلمة التى هى طبيعة عدمية إلى النور الذى هو طبيعة وجودية؛ وفى وقت الآصال ينتقل من ضد الأول إلى ضد الثانى

ولما كان في هذين الوقتين تغير عجيب يدل دلالة باهرة على وجود صانع قدير حكيم خبير، وجب أن يكون المكلف فيهما مشتغلا بالذكر والحضور، مداوماً عليهما بقدر الإمكان، فلازمهما أيها المؤمن (ولاتكن) في حال من الأحوال (من الغافلين) أي من اللاهين عن ذكر الله؛ بل كن من الذين يداومون عليه، والمستحضرين لجلال الله وكبريائه، بحسب الطاقة البشرية، ليتنور جوهر نفسك، وتستعد لقبول الإشراقات القدسية فتكون متشبهاً بالملائكة الروحانية الكرام
ولله در الشاعر الذي قال رثماً بذكر الله :

خيالك في عيني وذكرك في فمي ومثواك في قلبي فأين تغيب ؟
وقد نهى الله عن إطاعة من غفل قلبه عن ذكر الله واتبع هواه وكان من المفرطين فقال تعالى :

« وَلَا تَطِيعُ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا » « الكهف »

وقال تعالى :

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا » . « الأحزاب »

الشرح والتفسير

أمر الله تعالى في هذه الآية عباده المؤمنين بما يجب أن يكونوا محافظين

عليه من الذكر الكثير، ودوام التسبيح الدال على تعظيمه تعالى، وتزويه ذاته عن كل نقص، ويلزم من كثرة الذكر ودوام التسبيح الإقبال على الله تعالى بجميع العبادات، والتباعد عن السيئات، فلهذا خاطب الله تعالى المؤمنين خاصة فقال :

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا) إيماناً يقيناً (اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا) باللسان وحضور القلب والإخلاص مع تمام المناجاة في السرِّ ، بحيث لا تشاهدوا في حالة ذكركم إلا ذاته العلية وأنتم عارفون به ، فيظهر حبكم لله تعالى وبفضلكم لغيره (فَإِنَّ مِنْ أَحَبِّ شَيْئًا أَكْثَرَ مِنْ ذِكْرِهِ) ومتى ظهرت محبتكم لله تكونوا من الأحرار المقربين فتتخلصوا من رق الأشرار المحرومين

ومتى كنتم من الأحرار المقربين تكفيكم هذه الإشارة الإلهية له فإن الحر تكفيه الإشارة، ولا يحتاج إلى العبارة (وسبحوه) أى وزهوه تعالى عما لا يليق به (بكرةً) أى فى أول النهار (وأصيلاً) أى فى آخره

وقد أمر الله تعالى بالتسبيح فى هذين الوقتين لظهور فضلها على سائر الأوقات، وهذا لا ينافى أن التسبيح مطلوب فى كل وقت

الذكر الشرعى

أما الذكر الشرعى الذى يحبه الله ورسوله وأصفىاء الأمة المحمدية ويؤجر عليه فاعله، فهو ما ورد به كتاب الله وسنة رسوله، صلى الله عليه وسلم، وضبطه الأئمة الذين يعول عليهم، وهو قول : (لا إله إلا الله)

والحذر كل الحذر من اللحن فيها ، لأنها من القرآن فيمد اللام على قدر الحاجة ، ويحقق الهمزة المقصورة بعدها ، ولا يمدّها أصلاً ، ويفتح هاء (إله) فتحة خفيفة ولا يفصل بين الهاء وبين (إلا الله)

ويحترز من تمطيط الذكّر والعجلة الشديدة؛ لأنها تخرج الذكّر عن حده ، فالميزان ألا يخرجوه عن حده الشرعي

وبعض العوام من أهل الذكّر يزيدون حروفاً كثيرة في كلمة التوحيد كقولهم : (لا بلاها ابلا الله) وكلها حرام بالإجماع في جميع الأوقات فهم يذكرون الله تعالى ، وبعبدته بالسيئات ، فيصيرون من الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً

ولا يجوز الرقص في الذكّر ، الذي هو هز المعاطف والأكمام ، وكله حرام في حرام ، ولا التصفيق فإنه مناقض للشرع الشريف ، وهو بدعة سيئة ، ولا يفعله إلا الفساق من العوام

ويرحم الله الإمام عبد الرحمن الأخرى إذ يقول :

ومن شروط الذكّر ألا يسقطا	بعض حروف الإسم أو يفرطاً
في البعض من مناسك الشريعة	عمداً فتلك بدعة شنيعة
والرقص والصراخ والتصفيق	عمداً بذكر الله لا يليق
وإمّا المطلوب في الأذكار	الذكّر والخشوع بالوقار
فقد رأينا فرقة إن ذكروا	تبدعوا وربما قد كفروا

الدهاء لله : وقد أدب الله تعالى عباده المؤمنين أدباً يوصلهم إلى السعادة الأبدية ، وبين لهم فيها أنه تعالى مطلع على بواطن العبد وضائره

وبين لهم أيضاً أن قربه تعالى من عبده أشد من قرب قلبه ، فقال :
« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا
يُحْيِيكُمْ وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ »
« الأُنْفَالِ »

الشرح والتفسير

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا) أى الذين صدقوا بالله ورسوله تصديقاً كاملاً
فتنورت قلوبهم وأرواحهم بنور الإيمان ، وانجلت بسعادة العرفان
(استجيبوا) أى أطيعوا وامتثلوا (لله وللرسول) بالمتابعة (إذا دعاكم)
أى إذا حرضكم وحسكم الرسول (لما) أى للحق والصواب الذى
(يحييكم) الحياة الطيبة، فيدخل فى ذلك الإيمان والقرآن والجهاد وكل
أعمال الطاعة ، فإن بهذا كله تحصل الحياة الأبدية ، كما أن الجهل هو
الموت الحقيقى

(واعلموا) أيها المؤمنون (أن الله) تعالى (يحول) أى يفصل
(بين المرء وقلبه) فيحول تعالى بين الكافر وطاعته فيصير من الأشقياء
ويحول بين المطيع ومعصيته فيصير من السعداء
فالسعيد من أسعده الله أزلاً ، والشقى من أضله الله أزلاً ، والقلوب
كلها بيد الله يقبلها كيف يشاء، فيخلق فيها المقاصد والدواعى والعقائد
على حسب ما يريد

فجميع الأسباب راجعة إليه سبحانه وتعالى ، وليس في الكون

مسبب غيره

فبادروا إلى الأعمال الصالحة، ولا تعتمدوا على طول العمر، فإنكم
خلقتم إما مثايين فيكون مصيركم إلى الجنة، وإما معاقبين فيكون مصيركم
إلى النار ، ولا تتركوا ما أمركم الله به مهملين معطلين كالأنعام، واعلموا
(أنه) تعالى (إليه تحشرون) لا إلى غيره، فيجازيكم بحسب مراتب
أعمالكم

الدعاء المستجاب

مرّة إبراهيم بن آدم بسوق البصرة فاجتمع الناس إليه وقالوا :

يا أبا اسحق مالنا ندعو فلا يستجاب لنا ؟

قال : لأن قلوبكم ماتت بعشرة أشياء :

الأول - أنكم عرفتم الله فلم تؤدوا حقه - الثاني - زعمتم أنكم
تحبون رسوله ثم تركتم سنته - الثالث - قرأنتم القرآن ولم تعملوا به
- الرابع - أكلتم نعمة الله ولم تؤدوا شكرها - الخامس - قلمتم ان
الشیطان عدوكم ووافقتموه - السادس - قلمتم إن الجنة حق ولم تعملوا لها
- السابع - قلمتم إن النار حق ولم تهربوا منها - الثامن - قلمتم إن الموت
حق ولم تستعدوا له - التاسع - انتبهتم من نومكم واشتغلتم بعيوب
الناس وتركتم عيوبكم - العاشر - دفنتم موتاكم ولم تعتبروا بهم
فالعاقل من يتعظ بهذه النصائح الدينية الأدبية ويعمل بها ليكون
دعاؤه مستجاباً

وقد حث الله على الدعاء ورفع أ كف الضراعة فإنه يقبل دعوة الداعي إذا دعاه ويحبب سؤله ، وأوعد المستكبرين عن عبادته بالدخول في نار جهنم فقال تعالى :

« وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ » « المؤمن »

التفسير

(وقال ربكم) أيها العباد (ادعوني) أي اسألوني واطلبوا مني ما فيه الحكمة والمصلحة لكم وأنتم معترفون بالذلة والمسكنة والعبودية والإخلاص إلى غير ذلك غير معتمدين على ما لكم أو جاهكم أو أقاربكم أو أصدقائكم ، أو جدكم واجتهادكم ، فإنكم إن دعوتوني على هذا الشرط (أستجب لكم) أي أجب سؤلكم (إن الذين يستكبرون) أي يتعاضمون ويتكبرون (عن عبادتي) أي عن دعائي الذي هو أعظم أبواب عبادتي فلا يدعوني بالتضرع والخضوع ، بل تتصف أنفهم بصفة الكبر والعظمة (سيدخلون جهنم داخرين) أي صاغرين مقهورين ؛ لأن الكبرياء والعظمة من صفات الله تعالى ، فمن نازعه في صفته استحق هذا العذاب ، وإلى الله المآب

تعظيم الله — وقد أرشدنا الله جل ثناؤه على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم إلى كيفية تعظيمه والثناء عليه ، وأرشدنا أيضاً إلى أننا إذا طلبنا منه شيئاً نكون معتمدين أنه إذا فضل بخير على عباده لا يمكن

(م — ٣)

لغيره أن يمنعه ، وإذا أحرمه منه لا يمكن أحداً غيره أن يعطيه له فانه
لا مانع لما أعطى ، ولا معطى لما منع ، وان الخير والشركه منه تعالى فقال :

« قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ
مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ
شَيْءٍ قَدِيرٌ تُؤَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ
الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ
حِسَابٍ » « آل عمران »

الشرح والتفسير

(قل) يا محمد (اللهم) أى يا الله (مالك الملك) أى يملك كل الملك
فلا يتصرف فيه تصرف الملاك غيرك . فهو سبحانه وتعالى مالك لأفعال
العباد حتى ان قدرتهم على كل ما يقتدرون عليه ظاهراً من أى فعل
لا تكون إلا بإقداره تعالى ، فهو الذى يُقدر كل قادر على فعل ما يقدر
عليه ، ويملك كل مالك مملوكه ، فهو المالك والمتصرف ، والمؤثر فى الحقيقة
ثم بعد أن أجهل جميع الملك فصل فى بعضه فقال : (تؤتى) أى
تعطى يا الله (الملك) أى التسلط الظاهرى ، وهو الاقدار على المال
بجميع أنواعه ، وعلى الجاه كالفبية والوجاهة والغلبة ونفوذ الكلمة
تعطى كل ذلك من (تشاء) أى لمن تريد أن تعطيه له بفضلك
لا بوجوب عليك ، فتجعل من ملكته ملكاً بارادتك متسلطاً عليه

بالمسكية في الظاهر ، فأنت تعطى (وتنزع) أى تأخذ (الملك ممن تشاء)
أيضاً وذلك بأن تجعله في يد غيره يتصرف فيه ؛ ولكن في الحقيقة ليس
في الوجود سواك ، فأنت المتصرف فيه على كل حال ، وإنما ينقل الملك
من يد الى يد حسب إرادتك . (وتمز من تشاء) أى تجعله عزيزاً
بإلقاء نور من أنوار عزتك عليه (وتذل من تشاء) أى تجعله ذليلاً
بسلب تلك الأنوار عنه . وتكون العزة والمذلة في الدنيا والآخرة

فالعزة في الدنيا كإعطاء الأموال الكثيرة ، وإلقاء المهيبة في قلوب
الخلق والتقوى ، والعزة في الآخرة بالدرجات العليا

والمذلة في الدنيا كسلب العقل السليم الفارق بين الحق والباطل

والمذلة في الآخرة كالحرمان من الدرجات العليا

وكل ذلك بتقديره الأزلى تبارك وتعالى فكأنه يقول :

يا الله أنت المالك والمعطى والآخذ والمعز والمذل

ويحصل (بيدك) أى بقدرتك (الخير) أى جميع الخيرات وليس

في يد غيرك شيء منها (إنك على كل شيء قدير) أى قادر على فعل كل

شيء (تولج) أى تدخل (الليل في النهار وتولج النهار في الليل)

وذلك بأن يجعل الله الليل قصيراً ويدخل ما نقص منه في النهار

ويجعل النهار قصيراً ويدخل ما نقص منه في الليل ، فإن في كل منهما

نظام العالم

(وتخرج الحي) أى المؤمن ، أو الحيوان (من الميت) أى من الكافر

أو النطفة كما إخراج الشخص الحى من المني ، وكإخراج الدجاجة من البيضة، وبالعكس (وتخرج الميت من الحى) ومعناه : أن الله تعالى شبه إخراج الشخص من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان بالحياة؛ لأن الإيمان بالله يحيى القلب ، وشبه إخراج الشخص من نور الإيمان الى ظلمات الكفر بالموت ؛ لأنه محجوب عن نور الإيمان (وترزق) أى تعطى من خزائن نعمك (من تشاء) أى من تريد أن توسع عليه (بغير حساب) أى بغير محاسبة لك فإن نعم الله لا تعد ولا تحصى

دعوة عموم الأنبياء إلى عبادة الله وتوحيده

عموم الأنبياء صلوات الله عليهم كانت دعوتهم واحدة وهى قول كل نبي إلى قومه :

« يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ » « الاعراف »

ثانياً - الأحاديث النبوية

١ - قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(إِنَّ لِرَبِّكَ عَلَيْكَ حَقًّا وَلِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا ، وَلِأَهْلِكَ عَلَيْكَ

حَقًّا فَأَعْطِ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ) عن عو بن أبى جحيفة

« رواه البخارى »

الشرح

(إن لربك عليك حقاً) أى واجبا يلزمك أدائه باتباع أوامره واجتناب نواهيه ، أى طاعته والعمل بما جاء فى شريعته
(ولنفسك عليك حقاً) أى لبدنك وروحك عليك حقاً فلا تتعب نفسك إتعباً يهلكها ويوردها موارد الخسف والهلاك ؛ بل ارفق بها فى غير كسل ولا تفريط وأعطها نصيبها من الراحة ، وتهذبها ورعايتها على خير الوجوه الدينية والدنيوية (ولأهلك عليك حقاً) أى لذوى قرابتك عليك حقاً يجب أن تراعيه ولا تهمله، وحقهم عليك اعطاؤهم ما يستحقون ومساعدتهم على قدر الاستطاعة وإرشادهم إلى الطريق القويم
(فأعط كل ذى حق حقه) أى اعرف لكل نصيبه من الطاعة وحظه فى الرعاية

٢ - (اتقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ وَأَتَّبِعِ السُّبَّةَ الْحَسَنَةَ تَمَحُّهَا

وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ) « رواه الترمذى »

أولاً - فى هذا الحديث الحث على تقوى الله وطاعته فى السر والعلن وفى كل زمان ومكان ، فلا يتظاهر الإنسان بالتقوى أمام الناس ويرتكب الآثام فى غيبتهم ؛ لأن هذا دليل النفاق والخبث والخديعة ، وهى أمور لا تخفى على الله الذى يعلم ما فى السموات والأرض ، ولا تدل على خلق كريم ولا طبع سليم ، ولا بد أن يعرف صاحبها ويشتهر أمره بين الناس فيلقى

جزاءه من احتقارهم وسوء معاملتهم واتقباضهم منه . وهذا شر الجزاء
ثانيا - الإسراع إلى عمل الحسنة بعد عمل السيئة ؛ لأن السيئة
إن كانت في حق الله أو العبد فرمما يعفو عنها بسبب ما جاء بعدها من
عمل صالح وفعل طيب ، وإن لم يعف عنها فقد كسب بها صاحبها جزاء
طيبا من أجلها ، وهي دليل الندم على الفعل السيء السابق منه ، وأمارة
على تأنيب النفس ، وتوبيخ الضمير ، فلا يعود الإنسان في الغالب إلى
ارتكاب الإثم ثانيا . فيكون هذا العمل الطيب قد محا من النفس الميل
إلى عمل ذلك الفعل السيء فلا تعود إليه ثانيا

ثالثا - معاشره الناس بالخلق الحسن ليكون محبوبا منهم ومقربا

إليهم

٣ - حديث في تسبيح الله تعالى وتقديسه

عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(كَلِمَتَانِ حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ ، خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ ثَقِيلَتَانِ

فِي الْمِيزَانِ : سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ ، سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ

« رواه الشيخان وغيرهما »

الشرح

ذكر الله تعالى يحيي ميت القلوب ، ويدكي فطر الهمم ، ويحوظ

المرء بسياج من العصمة ، وبقية نزغات الشيطان ، ويباعد بينه وبين المعاصي لقوله تعالى :

«إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ»

وقد بين الرسول صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث صيغة من صيغ الذكركر لا مشقة في حفظها ولا صعوبة في استيعابها ، وهى مع ذلك عظيمة الأثر كبيرة الجدوى ، تغدق على المؤمن من فيض الخير الكثير والأجر الوفير ، تثقل من الطيبات حسناته وتمحو من أوزاره وسيئاته ، ولئن كانت التكاليف شاقة على النفس ، إنَّ الذكر بها لهين سهل لا يستدعى قوة ولا استعدادا ، وإنما يوجب إخلاصا وتفريغا للنفس من شواغل الدنيا وهو اجس القلب

وليس بكثير على الله الذى وسعت رحمته كل شىء أن يجزل الثواب العظيم على العمل القليل لما فى هذه الصيغة من تنزيه الله تعالى عن الشريك والنظير، وتحميده على سوابغ النعم ، وجزيل الفضل ، وتعظيمه بما هو أهله

وأنت خبير أن هذه الفضائل إنما هى لمن أخلصوا فى دعائهم ، وكلوا فى إيمانهم وتجنبوا المعاصى والحرام ، ونأوا عما يغضب الله من الآثام

ولا تظن أن من أدمن الذكر ، وأصر على ما شاء من شهواته ،

وانتهك حى الله وحرمانه يلتحق بالمقدسين الطاهرين ويبلغ منازلهم
بكلمات يجريها على لسانه لا يتجاوز أمرها فمه

يرشدك هذا الحديث إلى أن للأعمال والأقوال ثقلاً وخفةً ، يشغل
منها ما كان خالصاً لله ، ويخف ما شابه الرياء والغفلة ، ولم يكن في
حضور القلب وانتباهه ، وأن الأعمال صور مائلة ، وأرواحها وجود
الإخلاص فيها، ولقد قال الله تعالى :

« فَأَذْكُرُوكُمْ »

وقال صلى الله عليه وسلم : « من قال سبحان الله وبحمده في اليوم
مائة مرة مُحطت خطاياهُ وإن كانت مثل زبد البحر »

٤ — حديث في حق الله على العباد وحقهم عليه

عن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال :

(بينما أنا رديف النبي صلى الله عليه وسلم ليس بيني وبينه إلا آخرة
الرحل ، فقال : يا معاذ ، قلت : لبيك ، يا رسول الله وسعديك ، ثم سار
ساعة ، ثم قال : يا معاذ ، قلت : لبيك رسول الله وسعديك ، ثم سار ساعة ،
ثم قال : يا معاذ بن جبل ، قلت : لبيك رسول الله وسعديك . قال :
هل تدري ما حق الله على عباده ؟ قلت : الله ورسوله أعلم

قال : (حَقُّ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا)

ثم سار ساعة ثم قال : يا معاذ بن جبل ، قلت : لبيك رسول

الله وسعديك ، قال : هل تدري ما حق العباد على الله إذا فعلوه ؟
قلت : الله ورسوله أعلم ، قال (حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ أَنْ لَا يُعَذِّبَهُمْ)
« رواه البخارى ومسلم وأحمد وغيرهم »

الشرح

كان معاذ بن جبل الشاب العابد ، الأمة القانت ، الشهم المجاهد
الذى حضر الغزوات كلها ، راكباً في سفر خلف الرسول صلى الله عليه
وسلم على دابته لا يفصل منه إلا آخره الرجل التى كان يسند اليها الرسول
صلى الله عليه وسلم ظهره ، وكان إردافه له تواضعاً منه صلى الله عليه
وسلم وإكراماً للشباب المجاهد فقال : يا معاذ ، قال : إجابة لك يا رسول
الله بعد إجابة ، وطاعة لك بعد طاعة ، فتركه الرسول صلى الله عليه
وسلم دون أن يتحدث

وبعد أن سار ساعة قال : يا معاذ ، قال : أتجاهاً إليك يا رسول الله
بعد اتجاه، وإسعاداً بعد إسعاد، فتركه الرسول صلى الله عليه وسلم أيضاً
بدون محادثة

وبعد أن سار فترة قال : يا معاذ بن جبل ، قال : إخلاصاً لك
يا رسول الله بعد إخلاص ، ومساعدة غيب مساعدة (فتلك ثلاثة نداءات
نبهت معاذاً إلى العناية بما يلقى ، وصرف الذهن إليه ، وإرهاق الأذن له
وإيقاظ الحافظة لضبطه ووعيه ، وعرفته أنه نبأ عظيم ، وحديث خطير)
ثم قال له : هل تدري يا معاذ ما حق الله على عباده ؟ وما الذى يجب

عليهم أن يحققوه شكراً له؟ وقد رد معاذ علم ذلك إلى الله الذي أحاط بكل
شئ، علماً، وإلى الرسول صلى الله عليه وسلم الذي يبلغ عن الله وحيه، وهذا
من معاذ كمال أدب، ووقف عند حده، ولم يقف ما ليس له به علم
وقد بين له الرسول صلى الله عليه وسلم أن حق الله على عباده أن
يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، كلمة جامعة لم تترك من الدين صغيرة
ولا كبيرة، فعبادته الخضوع له والتذلل، وذلك بطاعته فيما أمر ونهى،
فثمن برسوله، ونصدق بكتابه، ونقيم الصلاة، ونؤتي الزكاة، ونهذب
نفوسنا، ونصحح أجسامنا بالصيانة، ونحج البيت الحرام ما استطعنا إلى
ذلك سبيلاً، ونحسن عشرة الناس ونصدق في معاملتهم، ونخالقهم بخلق
حسن، ونقف عند ما شرع الله لا تتعدى حدوده، ولا نتجاوز رسومه
ونجانب كل ما نهى عنه من الخبائث مما هو اعتداء على النفس أو المال
أو العرض وإضرار بالخلق، وأساس ذلك علمنا بكتاب الله وبما احتواه،
وهذا بتلاوته وتدبره ودراسته وتفهمه

أما توحيده وعدم الإشراف به فإننا نعتقد أنه وحده صاحب الخلق
والأمر، وأن من دونه لا يملك ضراً ولا نفعاً إلا ما شاء الله سواء كان
ملكاً مقرباً أم نبياً مرسلًا، أم ولياً عابداً

ومن توحيده أن تكون الأعمال خالصة لوجهه لا يشوبها خداع
ولا رياء ولا تدليس ونفاق، وألا ندعومه غيره، أو نقدم إليه القرابين
أو نسوق النذور، أو نتخذ وسيلة إليه، فإن كل ذلك شرك ينافي مقام

التوحيد

ثم سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم معاذاً عن حق العباد على الله وما وعدهم به وكتبه على نفسه، فإذا هم عبدوه حق عبادته، وأخلصوا له الدين وأسلموا الوجوه وغمروا القلوب بتوحيده، وطهروها من دنس الإشراك فقال له مثل مقاتله الأولى : الله ورسوله أعلم

فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم : حق العباد على الله ألا يعذبهم وكيف يعذب من توفر على طاعته وكان عبده السميع ؟ فقرع أذنه آي الوحي فإذا به قد مثلها في عمله وأظهرها في خلقه ، ويسمع هدى الرسول صلى الله عليه وسلم فإذا به قد أخذها إماماً وقدوة ، وهادياً وأسوة ، كيف يعذب ذا النفس العالية ، الطاهرة النقية ، التي لا يرى فيها إلا بياض التوحيد ونوره ، ليس بها نكتة من دنس أو شرك ؟

بل كيف لا يسبغ نعمته ، ويدخل جنته عباده المقربين ، وجنده المخلصين وهو البر الرحيم (وقد كتب على نفسه الرحمة) وأكرم الأكرمين ؟ قال تعالى :

« وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ فَيَنَّ أَنَّهُ جَنَّاتٍ ۖ فِيهَا جَنَّاتٌ هِيَ الْأَمْوَىٰ »
« الأدب النبوي ص ١٧٣ »

هـ - أحاديث في ذكر الله

(أَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ أَنْ تَمُوتَ وَلِسَانُكَ رَطْبٌ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ)

« عن معاذ »

(جَدُّوا إِيمَانِكُمْ ، أَكْثَرُوا مِنْ قَوْلِ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ)

« عن أبي هريرة »

فإن المداومة عليها تملأ القلب نوراً وتزيده يقيناً

(أَحَبُّ الْكَلَامِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى أَرْبَعٌ : سُبْحَانَ اللَّهِ ، وَالْحَمْدُ

لِلَّهِ ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ ، لَا يَضُرُّكَ بِأَيِّنٍ بَدَأْتَ

« عن سمرة بن جندب »

٢- الأدب مع رسول الله ﷺ

اعلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعظم رجل في العالم يجب احترامه وتهذيبه وتوقيره ، والأدب معه قولا وفعلا ؛ لأنه صلى الله عليه وسلم هو السبب في هداية الخلق وإرشادهم إلى الحق ، وإخراجهم من ظلمة الكفر إلى نور الإيمان ، قال الله تعالى :

« هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَىٰ الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ » « التوبة »

ورفعهم من حضيض الشقاوة إلى أوج السعادة مع مقاساة المشقات

والتعاب

ولما كان علو مقامه صلى الله عليه وسلم وجليل مقداره بالمكانة العظمى فقد سنَّ الله سبحانه وتعالى لعباده المؤمنين من الآداب ما به يعرفون كيف يعاملونه صلى الله عليه وسلم ويتأدبون معه سواء أكان ذلك من جهة عدم فعل ما يكرهه بين يديه أو الاستعلاء عليه في كلام أو مشى أو دخول بيته بغير إذنه أو غير ذلك ، أو من جهة طاعته ولزوم متابعتها والنزول عند حكمه والرضا بحكمه وقضائه أو غير ذلك مما يوجب تعظيمه واحترامه وتوقيره ، قال الله تعالى :

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا

اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ، يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ
فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ
تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ . إِنَّ الَّذِينَ يَفُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ
عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ
وَأَجْرٌ عَظِيمٌ « الحَجَرَات »

الشرح والتفسير

تشمّل هذه الآيات على صنوف الآداب التي أدب الله بها عباده
المؤمنين فيما يعاملون به نبيه صلى الله عليه وسلم من الإجلال والتعظيم
والتبجيل والتكريم سواء كانت هذه الآداب فعلية أو قولية
أما الآداب الفعلية فأشار الله تعالى إليها بقوله :

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدُمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ
سَمِيعٌ عَلِيمٌ)

أى لا تسرعوا فى شىء من الأشياء بين يديه ، أى قبله ؛ بل كونوا
تبعاً له فى كل الأمور

ومن ذلك عدم الإسراع فى الجواب عن مسألة جرت بين يديه
وعدم الحكم إلاّ تبعاً لسنة صلى الله عليه وسلم دون الرأى وهكذا من
كل شىء ينافى احترامه صلى الله عليه وسلم وتعظيمه

وبعد أن نهى جل شأنه عن التقدم بين يدى الله ورسوله بشىء

ينافى الأدب في حقه صلى الله عليه وسلم أمر بالتقوى ومراقبة جانب الله تعالى في كل شيء . ومن ذلك الترك للتقدم المهى عنه فيما تقدم معللاً ذلك بأنه سبحانه وتعالى سميع لأقوالنا عليم بنياتنا ، لا يخفى عليه من ذلك خافية ، فقال :

(واتقوا الله إن الله سميع عليم) أى ومن كان كذلك فمن حقه أن يتقى ويراقب

أما الآداب القولية فقد أشار الله تعالى إليها بقوله :

(يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون)
أى لا ترفعوا أصواتكم عند محادثكم له صلى الله عليه وسلم ومكالتكم معه إلى حد يكون فوق ما يبلغه صوته صلى الله عليه وسلم ، لأن ذلك يدل على قلة الاحترام وترك الاحترام له صلى الله عليه وسلم ولأن خفض الصوت وعدم رفعه من لوازم التعظيم والتوقير عادة

وليس المراد ما يقصده الشخص من ذلك على سبيل الاستخفاف فإنه كفر والعياذ بالله ، وإنما المراد أن يكون الصوت في نفسه غير مناسب لما يقع في مواقف من يجب تعظيمه وتوقيره

ولا يجهروا له بالقول كما يجهر أحدكم لأخيه إذا كلمه لأن ذلك إنما يكون بين الأكفاء الذين ليس لبعضهم على بعض مزية توجب احترامه وتوقيره مع ما فيه من الجفاء في مخاطبته صلى الله عليه وسلم وعدم الأدب معه

ثم علل سبحانه ما ذكره بقوله : (أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون) أي إنمنا نهيناكم عن رفع الصوت عنده والجهر له بالقول كما يبجر أحدكم لأخيه إذا كلمه خشية أن يفضب من ذلك فيغضب الله تعالى لفضبه فيحبط عمل من أغضبه وهو لا يشعر ولا يدري

ثم ندب الله تعالى إلى خفض الصوت وحث عليه ورغب فيه فقال :
(إن الذين يفضون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة وأجر عظيم)

أي إن الذين يخفضون أصواتهم عند رسول الله إجلالاً له وتعظيماً أولئك الذين أخلص الله قلوبهم للتقوى وجعلهم لها أهلاً ومحللاً وكان جزاؤهم لذلك مغفرةً وأجرًا عظيمًا

وقد بين الله تعالى في كتابه العزيز تعليم عباده المؤمنين كيف يتأدبون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لا سيما إذا وجدوا معه في المجتمعات العمومية فقال :

« إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا أَسْتَأْذِنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأَذَنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ »

الشرح والتفسير

تشير هذه الآية الكريمة إلى ما أرشد الله إليه عباده المؤمنين من الآداب نحو الرسول عليه الصلاة والسلام في حال ما إذا كانوا مجتمعين معه على أمر مهم ، يجب اجتماعهم في شأنه ، كالجمعة والجماعة والعيد والجهاد والتشاور في الأمر وغير ذلك من الأمور الداعية إلى الاجتماع لغرض من الأغراض ، وذلك بأنهم لا يتفرقون عنه صلى الله عليه وسلم ولا ينصرفون عما اجتمعوا له لعروض عذر لهم حتى يستأذنه في الذهاب فيأذن لهم ، فإن هم خالفوا ذلك وتسلموا من عنده خفيةً واحداً بعد واحد كان ذلك علامةً على نفاقهم وعدم ثبات إيمانهم؛ لأن الخروج من مجلسه صلى الله عليه وسلم بغير إذنه من أمارات عدم الاكتراف له وعدم مكانته في قلوبهم، وعدم رغبتهم فيما جاء به واجتمعوا لأجله، وذلك من أعظم الجنايات وأكبرها

ولذا جعل الله جل شأنه استئذانه صلى الله عليه وسلم عند إرادة الانصراف من مجلسه من علامات كمال الإيمان في قوله :

« إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ »

أى ومن لم يستأذنك عند إرادة الانصراف فليس بكامل الإيمان ومن الآية الكريمة يؤخذ أدب الرؤوس مع رئيسه ، وأدب المريدين مع أستاذهم ، وأدب المتعلم مع معلمه ، وأدب المصلين مع إمامهم ، وأدب الرعية مع راعيهم ، فإن مراعاة الأدب معهم واعتبار حرمتهم من

الواجبات فلا يرمون أمراً دونهم ولا يرسمون لهم خطة إلا اتبعوها ،
ولا يأمرونهم بأمر إلا بادروا بتنفيذه ، ولا ينصرفون من مجلسهم إلا بعد
استئذانهم

وبالجملة يفعلون كل ما فيه تجيلهم وتعظيمهم واحترامهم ويتركون
كل ما فيه تحقيرهم وإهانتهم

وبعد أن بين جل شأنه كيف يعاملونه صلى الله عليه وسلم ويتأدبون
معه عند إرادة الانصراف من مجلسه أمره عليه الصلاة والسلام أن
يأخذهم باللين ويعاملهم بالرفق ويصانهم بكل ما فيه رضى نفوسهم
وجلب محبتهم له مما يكون داعية الألفة والتوادد

فاذا استأذنه أحد منهم أن يخرج من المجلس لعروض عذر له أذن له
إن شاء ومنعه إن شاء حسب مقتضيه المصلحة التي يراها رسول الله
صلى الله عليه وسلم ، وهذا معنى قوله تعالى له صلى الله عليه وسلم :
« فَإِنِ اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأَذِنْ لِمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ
لَهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ »

أى فإذا طلبوا منك الإذن فى أن يخرجوا من مجلس الاجتماع فأنت
تخير بين أن تأذن لهم أو لا تأذن

وفى هذا التفويض له صلى الله عليه وسلم من رفع شأنه وعلو منزلته
عند الله تعالى ما لا يخفى

ولما كان الاستئذان وإن كان لعذر مسوغ لا يخلو من شائبة تقديم

أمر الدنيا على أمر الآخرة ، وهو اغتنام مجلسه صلى الله عليه وسلم أمره أن يستغفر لهم ، معللاً ذلك بقوله : (إن الله غفور رحيم) أى كثير المغفرة لفرطات عباده والرحمة بالتيشير عليهم بالغ فيها إلى الغاية التي ليس وراءها غاية

وفي الآية الكريمة من المبالغة في الحفاوة به صلى الله عليه وسلم ما لا يخفى ، حيث جعل سبحانه الاستئذان للذهاب عنه ذنباً محتاجاً للاستغفار فضلاً عن الذهاب بدون إذن ، ورتب الإذن منه على الاستئذان لبعض شأنهم لا على الاستئذان مطلقاً ولا على الاستئذان لأى أمر مهما كان ، أو غير مهم ، ومع ذلك فقد علق الإذن على المشيئة وليس ذلك بالغريب فالرسول الله صلى الله عليه وسلم عند ربه مكانة دونها كل مكانة ، والله يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم

ومن الأدب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عدم الدخول في بيوته بغير إذنه وبدون دعوته ، والمكث فيها بعد الإطعام ، وتسليم أزواجه بغير حجاب ، والتزوج بهن بعد وفاته صلى الله عليه وسلم ، ولذا قد نهى الله عن ذلك بقوله :

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرِ نَاطِرٍ إِنَّمَا هُوَ وَاكِنٌ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذَى النَّبِيَّ فَيَسْتَعْجِلِي

مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ
مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ
أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ
ذَلِكَ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا » « الأحراب »

الشرح والتفسير

تفيد هذه الآية الكريمة وجوب احترامه صلى الله عليه وسلم وتوقيره
وتعظيمه وتبجيله بما اشتملت عليه من الأحكام والآداب الشرعية التي
أدب الله بها عباده المؤمنين التي يجب عليهم مراعاتها بالنسبة لمقامه السامي
صلى الله عليه وسلم
وتشتمل على أربعة آداب :

الأول : عدم دخول بيوت رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا
بإذنه فإنها مظنة عدم التحفظ على ما يجب التحفظ عليه في غيرها . ففي
الدخول فيها بغير إذن منه صلى الله عليه وسلم اطلاع على عورات منازل
وعدم رعاية حقوق أزواجه صلى الله عليه وسلم والتهجم عليهن في بيوتهن
وربما كانت إحداهن مكشوفة بعض الأعضاء وذلك مما تأباه النفوس
الشريفة ، ولذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكره ذلك ويتأذى منه
كثيراً؛ ولكن كان يكره أن ينهائم عنه من شدة حيائه كما قال تعالى :
(إن ذلكم كان يؤذي النبي فيستحي منكم والله لا يستحي من الحق)

وما زالوا كذلك ورسول الله صلى الله عليهم وسلم يكره منهم ذلك حتى أنزل الله تعالى :

(يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إناه ولكن إذا دعيتم فادخلوا فإذا طعمتم فانتشروا ولا مستأنسين لحديث)

فصاروا لا يدخلون بعد ذلك إلا بإذنه وبدعوته

والمعنى : يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا بإذن منه ومدعويين إلى طعام حالة كونكم غير منتظرين ومرتبين إناه أى نضجه واستواءه فإن ترقب ذلك لا يقع إلا من سفلة الناس وأدنيائهم

وفي الآية دليل على حرمة التطفل ، وهو أن يترقب الشخص وليمة أو يتحرى وقت أكل فلان من الناس ويتوجه إليه في حينه ؛ فإن ذلك مع مافيه من خسة النفس ودناءتها وسوء تربية صاحبها وانصافه بالشره والجشع لا بد وأن يلحق صاحبه الذل والهوان ، لأنه ربما طرده صاحب المنزل وألحق به من الهوان والتقريع والتوبيخ ما لا يرضى به إلا أخس الناس نفساً وأسقطهم مروءة وأحطهم منزلة

الثاني : أنه إذا دعاهم النبي صلى الله عليه وسلم إلى طعام فعليهم أن يبادروا إلى إجابته ويدخلوا عليه ولكن بعد الإذن لهم به ، لأن مجرد الدعوة لا يكون إذناً كافياً في الدخول ، وعليهم بعد ذلك إذا قضوا غرضهم من الأكل والشرب أن لا ينقلوا بمكثهم بعد الأكل يتحدثون ويتسامرون

فإن ذلك مع ما فيه من التصديق على أهل بيته وعدم تفرغهم لأعمالهم فيه أنه ربما كان النبي صلى الله عليه وسلم مضطراً إلى الخروج إلى مهم ويخشى إذا مكث معهم أن تفوت منفعته وتضيع فائدته ، وإذا خرج وتركهم في المنزل يخشى أن يكون في ذلك حط من قدرهم وإهانة لهم وأمر لهم بالخروج بلطف ، فالواجب عليهم لذلك أن يكفوه مؤنة ذلك كله ولا يكفوه فوق طاقتهم . وهذا ما لم يكن مكثهم بعد الأكل لهم آخر يدعو إلى ذلك فإنه لا بأس به حينئذ ، وهذا الذي أشار الله تعالى إليه بقوله :

(ولكن إذا دعيتم فادخلوا فإذا طعمتم فانتشروا ولا مستأنسين
لحديث)

أى لا يسوغ لكم الدخول بغير دعوة ؛ ولكن إذا دعيتم فادخلوا
فإذا دخلتم وأكلتم فتمت ففرقوا ولا تمكثوا يستأنس بعضهم ببعض لأجل
حديث يحدته

ثم بين جل شأنه علة النهي عن المكث بعد الأكل بقوله :
(إن ذلكم كان يؤذي النبي فيستحي منكم والله لا يستحي من الحق)
الثالث : عدم النظر إلى أزواجه صلى الله عليه وسلم ، فإذا اضطرت
إلى سؤالهن عن حاجة يريد تناولها منهن فلا ينظر إليهن ولا يسألن إلا
من وراء حجاب وستر ، فإن ذلك أطهر لقلبه وقلوبهن من الريبة
وخواطر السوء التي تعرض للرجال في أمر النساء ، وللنساء في أمر

الرجال وأبعد للهمة ، وهذا ما أشار الله تعالى إليه بقوله :
(وإذا سألتهم عن متاعاً فاسألوهم من وراء حجاب ذلكم أطهر
لقلوبكم وقلوبهن)

وفي ذلك أدب لكل مؤمن وتحذير له من أن يثق بنفسه في الخلوة
مع من لا يحل له ، والمكاملة من غير حجاب لمن تحرم عليه ، فإن
مجانبة ذلك أحسن بحاله ، وأحصن لنفسه وأتم لعصمته

الرابع : عدم التزوج بأزواجه صلى الله عليه وسلم بعد وفاته أو فراقه
لأنهن أمهات المؤمنين ، ولا يحل للأولاد زواج الأمهات ، وهذا ما أشار
الله تعالى إليه بقوله :

« وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تُنكِحُوا أَزْوَاجَهُ
مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكَ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا »

أى ان نكاح أزواجه صلى الله عليه وسلم من بعده كان عند الله
ذنبا عظيما وجرما هائلا كبيرا . وهذا من أعلام تعظيم الله لرسوله
وإيجاب حرمة حيا وميتا ، وإعلامه بذلك مما يطيب نفسه ويسر قلبه

ملحوظة هامزة : ثم اعلم أن هذه الآداب ، وإن كانت بالنسبة
لرسول الله صلى الله عليه وسلم واجبة العمل والاتباع إلا أنه لا بأس
أن تكون كذلك بالنسبة لمعوم الناس ؛ لأن الله عز وجل ما ذكر ذلك
في القرآن الكريم مع علمه بأن هذه أمور قد فات وقتها إلا ليرشدنا
كيف يعامل بعضنا بعضا ، ويتأدب بعضنا في حق بعض ، وكذا سائر

القصص الموجودة في القرآن فإنها إنما تذكر على سبيل الاعتبار والإرشاد إلى ما كان عليه الأمم الماضية وما كان يفعله الله سبحانه وتعالى معهم عند ما كانوا يطيعون أو يعصون

ومن الأدب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم متابعتة في كل ما جاء به عن ربه والنزول على حكمه والرضا بقضائه لقوله تعالى :
« وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا »
« الأحزاب ٣٦ »

الشرح والتفسير

تفيد هذه الآية الكريمة بيان ما أرشد الله إليه عباده المؤمنين من الأدب وحسن المعاملة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإذا حكم على أحدهم بشيء فليس له أن يختار من أمره شيئاً ، بل يجب عليه أن يجعل رأيه تبعاً لرأيه عليه الصلاة والسلام ، واختياره تبعاً لاختياره حتى يكون بذلك مؤمناً حقيقة كما قال تبارك وتعالى :

« فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا »
وقال عليه الصلاة والسلام « لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعًا لِمَا جُتُّ بِهِ »

وذلك لأن من لم ينزل على حكمه صلى الله عليه وسلم ولم يرض
بقضائه ؛ إما لكونه يرى أن هذا الحكم منه صلى الله عليه وسلم وقع
في غير محله فهو ظلم وجور ، فهو يمتنع عن قبوله لذلك ، وهذا نهاية
الضلال والخسران

وإما لأنه يرى أن حكمه عليه السلام وقع في محله ولكن لا يقبله
عناداً وكبراً ، أو لأنه لا يوافق هواه . وعلى كل حال فهو كفر والعياذ
بالله .

ولذا شدد الله سبحانه وتعالى على من لم يرض بحكمه صلى الله عليه
وسلم ، واختار غير ما اختاره بقوله : (ومن يعص الله ورسوله فقد ضل
ضلالاً مبيناً)

أى ومن يعص الله ورسوله في أمر من الأمور ، ومن ذلك عدم
الرضا بقضائه وحكمه صلى الله عليه وسلم فقد ضل عن طريق الحق
ضلالاً ظاهراً واضحاً لا يخفى

فإذا كان العصيان عصيان رد وامتناع عن القبول فهو ضلال وكفر
وإذا كان عصيان فعل مع قبول الأمر واعتقاد الوجوب فهو ضلال
وفسق ؛ وعلى كل حال فهو من الضلال وقلة الأدب معه صلى الله عليه
وسلم بحالة لا يصح لمؤمن ولا مؤمنة أن يتلبس بها ويكون عليها

ومن الأدب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حسن متابعتة
والتأسي به في أقواله وأفعاله وأحواله ، وفي ذلك يقول الله تعالى :

« لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا » « الْأَحْزَابُ ٢١ »

الشرح والتفسير

ترشد هذه الآية الكريمة إلى لزوم الأدب معه صلى الله عليه وسلم بوجوب متابته والتأسي به في أقواله وأفعاله، إلا ما علم أنه من خصوصياته صلى الله عليه وسلم (ككنكاح ما فوق أربع نسوة وعدم التزوج بأزواجه من بعده وغير ذلك من خصوصياته) . ولذا أمر الله تبارك وتعالى الناس بالتأسي به يوم الأحزاب في صبره ومصابرة ، ومجاهدته وانتظار الفرج من ربه ، فقال للذين تضجروا وتزلزلوا واضطربوا في أمرهم : (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة) أي واقتدوا به صلى الله عليه وسلم اقتداءً حسنًا ، وهو أن تنصروا دين الله وتؤازروا رسوله ولا تتخلفوا عن نصرته وتصبروا على ما يصيبكم كما فعل هو صلى الله عليه وسلم حيث كسرت رباعيته وجرح وشج وجهه وجاعت بطنه وأوذى بضروب الأذى فصر وواساكم مع ذلك بنفسه ، فافعلوا أنتم كذلك مثل ما فعل بنفسه واستنوا بسنته

ولما كانت متابته صلى الله عليه وسلم والاقتداء به في مثل هذه الأمور العظام والمواطن الصعبة التي لا يتحمل عبأها إلا من تيقن بثواب الله ورحمته ورسخ إيمانه وكمل يقينه فلازم طاعته بكثرة ذكره قال الله تعالى (لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا)

أى هذه الأسوة الحسنة للذين يرجون ثواب الله ولقائه ورحمته
في اليوم الآخر والذين يذكرون الله كثيراً
والآية وإن كان سببها خاصاً كما علمت إلا أن العبرة بعموم اللفظ ،
فإن التأسى به صلى الله عليه وسلم ومتابعته في كل ما جاء به حسنة في
كل حال

وقد أرشد الله إلى وجوب متابعته صلى الله عليه وسلم في كل ما أمر
به ونهى عنه ، وأن من خالف ذلك فله العقاب الشديد والعذاب الأليم
فقال تعالى :

« وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا
اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ »
« الحشر ٧ »

الشرح والتفسير

تفيد هذه الآية وجوب متابعته صلى الله عليه وسلم في كل ما جاء
به بفعل كل ما أمر به وترك كل ما نهى عنه وذلك لأنه تعالى يقول :

(وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا)

أى مهما أمركم به من الطاعات وفعل الخيرات فافعلوه ، ومهما نهاكم
عنه من الخبائث والمنكرات فاجتنبوه لأنه صلى الله عليه وسلم لا يأمر
إلا بخير ولا ينهى إلا عن شر؛ على أنه إنما يأمر بأمر ربه وينهى بنهى ربه ،
فعدم متابعته صلى الله عليه وسلم في كل ما جاء به أو بعضه مخالفة لأمر
الله ونهيه ، ولا يجزئ على مخالفة الله ورسوله إلا قليل الأدب فاقد الحياء

ولما أمر جل شأنه بالانتهار بأمره صلى الله عليه وسلم والانتهاه بنهيته ،
أمر بتقواه ، وخوف من شدة عقوبته فقال :
(واتقوا الله إن الله شديد العقاب)

أى اتقوه بامتنال أو امره وترك زواجه ، فإنه شديد العقاب لمن عصاه
وخالف أمره وأباه ، وارتكب ما عنده زجره ونهاه

أما محبة الرسول صلى الله عليه وسلم فهي من محبة الله سبحانه
وتعالى

وقد جعل الله تعالى لسكالم عنايته به صلى الله عليه وسلم اتباعه في
كل ما جاء به من عنده تعالى دليلاً على محبته تعالى فقال : (قل إن كنتم
تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله) وسبق شرح هذه الآية في محبة الله ،
وقرن محبته بمحبته في قوله : (قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم
وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها
ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فترهبوا
حتى يأتي الله بأمره) فانظر كيف فضل الله محبته صلى الله عليه
وسلم على الآباء والأبناء والأخوات والأزواج والأقارب والأموال
والتجارة والمساكن ، وبين أن من كانت محبته لهذه الأشياء أكثر من
محبته له صلى الله عليه وسلم كان جزاؤه النكال الشديد والعقاب الأليم
فهو صلى الله عليه وسلم أحب الناس إلى الله وأقربهم منزلة لديه

وقد جعل الرسول صلى الله عليه وسلم من شروط الإيمان حب الله
وحب رسوله فقال :

(لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولَهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا
سِوَاهُمَا)

المعنى

لا يوجد إيمان كامل يسطع نوره في قلب المسلم إلا إذا اعتقد أن
رسول الله صلى الله عليه وسلم أعز عزيز لديه في أهله وماله وكل شيء ،
ولماذا ؟

لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم رحمة ونعمة ، لقوله تعالى :

« وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ » الأنبياء

فتجب محبته ، وتناكد أشد من محبة الوالد والولد والأهل
والمال بل والعالم أجمع ، ولأنه صلى الله عليه وسلم دعا إلى الحق وأخرج
الناس من الظلمات إلى النور

وقال تعالى : « هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ »

لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا » « أَلْفَتْح »

بين لهم سبل الهداية، وأضاء لهم طرق الحكمة والصواب، لينهجوا

مناهج السعادة والسيادة

قال القاضي عياض : ومن محبته صلى الله عليه وسلم نصر سنته
والذب عن شريعته ، وتمنى حضور حياته فيبذل ماله ونفسه دونه
وإن حقيقة الإيمان لا تتم إلا بذلك ، ولا يتحقق الإيمان إلا
بتحقيق محبة النبي صلى الله عليه وسلم وإعلاء قدره ومنزاته على
كل والد وولد ومحسن ومفضل ، ومن لم يمتقد هذا فليس بمؤمن ،
والله أعلم .

٣- الأدب مع أولى الأمر

أمرنا الله عز وجل بالأدب مع أولى الأمر، وهم رؤساؤنا الذين يسعون في جلب الخير لنا ورفع الضر عنا بكل ما أوتوا من قوة وجهد ومنع تعدى بعضنا على بعض حتى لا يختل النظام ويستتب الأمن العام فلا يظلم القوي منا الضعيف، ولا يتعدى الأشرار الفجار على الأبرار الأخيار الذين كملت أخلاقهم وحسنت سيرتهم وسريرتهم وذلك بمنع السرقة والنهب والسلب والغصب والقتل

فالواجب علينا إطاعتهم واحترامهم وتعظيمهم عملاً بقوله تعالى :
« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا » «النساء» ٥٨

المعنى

(بأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول) أي امثلوا أوامر الله ورسوله واجتنبوا نواهيها (وأولى الأمر منكم) أي وأطيعوا أيضا أصحاب الأمر من أمراء المسلمين وزعمائهم وقادتهم (فإن تنازعتم) أي إن اختلفتم فيما بينكم (في شيء) من الأمور الدينية سواء كان الاختلاف فيما بينكم فقط أو فيما بينكم وبين رؤسائكم (فردوه) أي فردوا معرفة

حكم ما اختلفتم فيه (الى الله) أى إلى كتاب الله (والرسول) أى إن لم تجدوه فى كتاب الله فردوه إلى الرسول إن كان حياً وإلا فارجعوا الى سنته وافعلوا ذلك (إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر) أى تصدقون بالله ويوم البعث والجزاء

(ذلك) أى ردكم ورجوعكم عند الاختلاف الى الكتاب والسنة (خير) عند الله فى آخرتكم وأصلح لكم فى دنياكم ، لأنه يدعوكم إلى الاتفاق وترك الاختلاف (وأحسن تلاويلاً) أى وأحمد عاقبة فإذا أطعناهم كما أمرنا الله رضوا عنا وأسرعوا للسمى فيما فيه مصلحتنا وراحتنا واطمئنان بالنا واسعاد حالنا

حديث فى طاعة الأئمة والرؤساء فى المعروف ومخالفهم فى المعصية عن عبد الله بن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :
(الْأُطَاعَةُ وَالطَّاعَةُ عَلَى الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ فِيمَا أَحَبَّ أَوْ كَرِهَ مَا لَمْ يُؤْمَرْ بِمَعْصِيَةٍ فَإِذَا أُمِرَ بِمَعْصِيَةٍ فَلَا سَمْعَ وَلَا طَاعَةَ)
(رواه البخارى)

الشرح

قال الله تعالى : (بأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم) فأمر عباده المؤمنين بطاعته وطاعة رسوله وأولى الأمر وأولو الأمر هم الذين وكل إليهم القيام بالشئون العامة ، والمصالح الهامة ، فيدخل منهم كل من ولى أمراً من أمور المسلمين : من ملك ووزير ، ورئيس ، ومدبر ، ومأمور ، وعمدة ، وقاض ، ونائب ، وضابط وجندى

وقد أوجب الرسول ﷺ على كل مسلم السمع والطاعة لأوامر هؤلاء ،
والمبادرة إلى تنفيذها سواء أ كانت محبوبة له ، أم بغیضة إليه «وعسى أن
تكرهوا شيئاً وهو خير لكم» فإذا دعونا إلى الحرب وبذل المال في سبيلها
لبينا الطلب ، وإذا طالبونا بالضرائب المشروعة دفعناها ، وإن طلبوا منا
المساعدة على حفظ الشواطئ والمزارع من المياه الطاغية أجبنا أوامرهم ،
وإن رغبوا في معونتنا لأهل بلد اجتاحتهم حريق أو نابتهم نائمة حققنا
رغبتهم ، وهكذا نسمع كل ماأمروا به ، وننفذه سواء وافق رغباتنا وميولنا
أو خالفها ، وسواء شق علينا أم سهل ، مادام في ذلك المصاحبة العامة ، وما
دام في دائرة الحلال المشروع

أما إن أمرونا بمعصية كإتهام برى أو حبسه ، أو إيذائه ، أو مصادرة
ماله ظلماً وعدواناً ، أو رغبوا إلى القضاء أن يجحد عن الحق ويحكم بالباطل
أو أرادوا مالنا وحيواننا ورجالنا لمساعدة عدونا ، أو أرادوا أن نخط
بيدنا صك الاستعباد لنا ولأبنائنا وأحفادنا ، أو طلبوا أن نرخص لمن
يرغب في الاتجار بأعراضهن ، أو من يتجرون في الخمر ، أو يفتحون
نادياً للميسر ، أو مسرحاً للرقص والتمثيل الهزلي الخليع ، إن أمرونا
بشيء من ذلك أطعنا الله وعصيناهم ، وأرضيناهم وأغضبناهم ، فطاعتهم إذاً
محرمة ، ومخالفتهم واجبة عملاً بالقول المأثور : « لا طاعة لمخلوق في معصية
الخالق »

حديث في الواجب على الرؤساء لمرءوسيهـم

عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

« كُلكُم راعٍ ، وكُلكم مسؤلٌ عن رعيته : الإمامُ راعٍ ومَسْئُولٌ عن رعيته ، والرَّجُلُ راعٍ في أهله وهو مسؤلٌ عن رعيته ، والمرأة راعيةٌ في بيت زوجها ومسئولةٌ عن رعيتها ، والخادمُ راعٍ في مال سيده ومسؤلٌ عن رعيته . قال : وحسبتُ أن قد قال : والرَّجُلُ راعٍ في مال أبيه وهو مسؤلٌ عن رعيته وكُلكم راعٍ ومسؤلٌ عن رعيته » « رواه البخارى ومسلم »

الشرح

ما من إنسان إلا وقد وكل إليه أمر يديره ويرعاه ، فسكلنا راعٍ ، وكلنا مطالب بالإحسان فيما استرعيه ، ومسئول عنه أمام من لا نخفى عليه خافية ، فإن قام بالواجب عليه لمن تحت يده كان أثر ذلك في الأمة عظيماً ، وحسابه عند الله يسيراً ، وثوابه جزيلاً ؛ وإن قصر في الرعاية ، وخان الأمانة أضرَّ بالأمة وعمَّر على نفسه ، وأوجب لها المقت والعذاب فإن فرَّ في الدنيا من يد الإدارة أو النيابة ، أو برأه القضاء ، أو لم يكن

تقصيره داخلاً في حدود القوانين القائمة فإن حساب الله آت ، وعقابه بالمرصاد ، وكل امرئ بما كسب رهين

فإمام الناس من ملك أو أمير راع كفيل ، وحافظ أمين ، مسئول عن أهل مملكته أو إمارته ، فعليه إقامة العدالة فيهم ، ورد الحقوق لأربابها ، واحترامه حرياتهم ، في دائرة الحق والأدب ، واستشارتهم في الأمور ، والاستماع لنصائحهم ، والذود عن كرامتهم ، والحرص على مصالحهم ، والدفاع عن حقوقهم ، وفتح الأبواب لمعايشهم ، وتذليل السبل لتنمية ثروتهم ، والضرب على أيدي المفسدين ، والتنكيل بالمجرمين الخائنين ، والعمل على قطع الفساد في الأرض ، ومنع الجرائم منها ، إلى غير ذلك مما ترقى به الأمة وتسلم من الأضرار

وإن الإمام لمسئول أمام الله عن أمته وجماعته ، يسأل عن كل فرد فيها ، وعن كل عمل من أعمالها ، يسأل عن ثروتها مورداً ومصرفاً ، وعمّا عمل لمصلحتها ، وسلك لسعادتها ، بل يسأل عن حيوانها ماذا صنع لراحته ، وتخفيف مشقتها ؟ وبعبارة أوجز ، بقدر ما في يده من الشئون وما وكل إليه من الأمور يكون الحساب ، وتكون المسؤولية ، فلا يُبله ذو منصب بمنصبه عن القيام بما وجب عليه ، ولا يعترن الرؤساء بمظاهر الرياسة ، عن الحيطة والكياسة ، وإعداد العدة لحساب أحكم الحاكمين

كذلك الزوج أو رب الأسرة راع في أسرته ، ومؤتمن على من تحت

ولايته ، فعليه لهم التعليم والتثقيف ، والتربية والتهديب ، بنفسه أو
بوساطة ماله ، حتى يكونوا كملة في الأخلاق ، أمة في الأدب ، سواء في
ذلك بنوه وبناته ، وإخوته وإخوانه ، وزوجه وخدمه

وفي مقدمة التهديب تعليمهم فرائض الدين ، وتأديبهم بأدب العليم
الحكيم ، وتأديبهم له من طريق عمله أجدى عليهم من حكمه ؛ وعليه
الأخذ بهم عن طرق الدنيا ، والابتعاد عن مواطن الريب ، ومبائات
الفتن ، وعليه أن يقدم لهم مسكناً مناسباً ، وطعاماً وشراباً موافقاً ، ولباساً
في دائرة الأدب والحشمة ، وتربية لا تدعو إلى الفتنة ، كل ذلك في غير
تقتير ولا إسراف ، بل يسلك طريق الاقتصاد ، ويدخر لهم ما يكون عدة
للشدائد وسعة في المضايق ، وتركه تقيهم ذل المسألة ، وتحفظ عليهم
الكرامة

وليكن في بيته عيناً راعية ، وأذناً واعية ، يتفقد الأمور ، ويتحرى
الصالح ، ويقيم العدل في رعايا هذه المملكة الصغيرة ، وليعلم أن الله سائله
عن زوجه هل عاشرها بالمعروف ، وقام لها بالحقوق ، ولم يخنها في غيبته؟
وسائله عن ولده ، ما صنع في نفسه ، وعمه عمل في ماله ؟ وعن أقربائه
الذين هم تحت كنفه ، ماذا قدم لهم ، وكيف واسمهم ؟

فليمد الجواب الحسن من عمله وحقه ، وكرم رعايته وحسن ولايته
قال تعالى : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا
الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد »

وكذلك المرأة في بيت زوجها راعية ومؤتمنة موكلة ، وربة مملوكة
رعيته البنات والبنون ، والزوج الرؤوم ، والبيت وما وعى ، والمال
والخدم ، فلتكن للأولاد خير مربية ، ولزوجها خادماً طائمة ، وفي بيتها
حكيمه مدبرة ، وعلى المال قائمة راعية ، حافظة له خدمته ، ولخدمها
قدوةً صالحه ترشدهم إلى الواجب ، وتهديهم إلى الصالح ، تهذب من
أخلاقهم ، وتقوم بواجبهم ، تراقب سيرتهم ، وترعى نفوسهم ، ولا تهجر
في زجرهم

وبعبارة أخرى : تزيد من المرأة بيتاً نظيفاً منظماً ، وولداً صحيحاً
مؤدباً ، ومالاً مرعياً ، وطعاماً شهيماً ، ونمراً جنياً ، وطاعةً لزوج
في معروف ، وأدباً في منطلق ، وكلاً في نفس ، ونظافةً في بدن
وزى ، وفي ولد وخدم ، فإن فعلت ذلك فنعمت الراحية ، ونعمت
من رعى

وإن المرأة لمسئولة أمام الله عن هذه الرعية ، أقامت بواجبها أم
قصرته في حقها ؟

فإن كان القيام فروح وريحان وجنة نعيم ، وإن كان التقصير فنزل
من حميم وتصلية جحيم

فليتق الله نساؤنا ولا يكن كل همهن الطعام والشراب ، وزيارة
الأحباب ، والتفنن في الزينات ، والمشى في الطرقات ؛ أما البيت وتدييره
والولد وتقويمه ، والزوج وشئونه فلا عناية ولا رعاية ، ذلك شين في

الدين ، الخطر فيه كبير ، والوزر عظيم ، والحساب عليه عسير
كذلك الخادم راع في مال سيده ، وحافظ مؤتمن ، فليعه كما يرعى
ماله ، ينمي به بما استطاع ، ويحفظه من الضياع ، يرحم حيوانه ويرأف به
ويتفقد صالحه وخيره ، أليس من هذا المال يطعم ويشرب ، ويلبس
ويسكن ؟ أليس منه يأخذ الأجر ؟ فلم لا يكون فيه أميناً ، ولا على
تميره حريصاً ؟ وإذا كان مكلفاً برعاية المال فما بالك برعاية الأهل
والولد ؟ فلا يخن سيده في ماله ، أو ولده أو أهله ، وليبعد عنهم الناس
والدنيا ، ولينصح لسيده في كل ماله صلة به ، (والدين النصيحة) وليعلم
أن الله سائله عن رعيته

كذلك الولد راع في مال أبيه يستثمره وينمي به ، ويحفظه ويرعاه
فلا يبذره تبذيراً ، ولا يبدده تبديداً ، ولا يخونه فيه بالسرقة
أو الاغتصاب ، أو الكذب عليه في الحساب ، وهل مال أبيه إلا
ماله ؟ فإن راعه فإنما يرعى لنفسه ، ويدير لمستقبله ، وسيسأل
الله الأبناء عما صنعوا في مال الآباء ، فليتقوا الله فيه ، وليعملوا
ما يحمدون عليه

وكلنا راع ، وكلنا مسئول عن رعيته : فالعمدة راع في بلده ،
ومسئول عن رعيته ، والمأمور راع في مركزه ومسئول عن رعيته ،
والنائب أو الشيخ راع في دائرته ومسئول عن رعيته ، ورئيس النواب
أو الشيوخ راع في مجلسه ومسئول عن رعيته

والناظر راع في مدرسته ومسئول عن رعيته ، والمدرس راع في
فصله ومسئول عن رعيته ، وكل رئيس راع في مصالحته ومسئول
عن رعيته، والصانع راع في صنعته ومسئول عن رعيته ، والتاجر راع في
تجارته ومسئول عن رعيته، والزارع راع في مزرعته ومسئول عن رعيته
فالحديث الشريف دعامة كبيرة في القيام بالحقوق والواجبات ،
والإحسان في الأعمال، والرعاية لما تحت اليد، وإنه ليقرر مسؤولية كل
فرد فيما وكل إليه من نفوس وأموال، ومصالح وأعمال
والله الموفق كل فرد إلى ما فيه صلاح الحال وبلوغ الآمال

٤ - الأدب مع الوالدين

إعلم يا بني أن أباك هو الذي ربك صغيراً ، وأجهد نفسه في تحصيل ما ينفقه عليك في مأكلك ومشربك وملبسك وجميع لوازمك إلى أن صرت شاباً قادراً على الكسب ولولاه لمت جوعاً

وأما أمك فقد تحملت فيك المشقات العظيمة ، والتعب الخطيرة في مدة حملك وولادتك ورضاعك وتنظيفك من الأوساخ والقاذورات وسهرت لأجلك الليالي الطوال ، تتألم لألمك ، وتسر لرؤيتك ، وتفرح لفرحك ، داعية الله بأن تراك رجلاً عظيماً .

وهما فوق ذلك يحبانك حباً حمماً ، ويتمنيان لك السعادة في الدنيا والآخرة معاً فهذان الوالدان الكرميان لهما عليك حقوق لا بد من أدائها ، وواجبات لا بد من قضائها ، فتلك الحقوق هي : الحب ، والطاعة ، والاحترام ، والشكر والمساعدة

أما الحب : فعاطفة فطرية ، أوجدتها القسرة الربانية في قلب الولد فإن لم يشعر الولد في دور الطفولة بأنه منجذب بميل طبيعته لمحبة والديه الموليين عطفاً وحناناً عليه فلا شك أنه يشعر بذلك إذا شب ، وكما نما إزداد إدراكه وشعوره بالمحبة ، حتى إذا بلغ أشده تحولت محبته لأهله شفقة فيعمل لسعادتهم كما كانوا يعملون لسعادته ، فإذا وجدت ولدك لا يحب والديه فألقه بالبهايم ، أو اجعله في عداد الوحوش

أما الطاعة : فهي دليل على إخلاصه وحبها لها ، فواجب عليه أن
يمثل أوامرهما، وأن يتجنب نواهيهما ، وأن يعمل بنصائجهما ، وأن يعتقد
كل الاعتقاد أن الفوز والنجاح في امتثال أوامرها، والخيبة والخسران في
مخالفتها؛ لأنهما أعرف منه بالنافع والضار، وأكثر خبرة منه بأمور الدنيا
ولا يهملهما إلا نفسه وراخته وسعادته
وما أحسن قول الشاعر :

أطع الإله كما أمر وامتلاً فؤادك بالحذر
وأطع أباك لأنه ربك في عهد الصغر
واخضع لأمك أرضها فعموقها إحدى الكبر

أما الإهترام النبوي لها : فيكون برعاية الأدب نحوهما، في قوله
وفعله ، وإكرامهما والبر والإحسان إليهما ، فلا يعاملهما معاملة الأنداد
النظرية؛ بل معاملة الصغير للكبير، حتى إذا بلغا من الكبر عتياً وجب عليه
إحتمال ما يبدو منهما، معها كان مخالفاً للعقل، والصبر مع التلطف في إرشادهما
إلى جادة الحق والصواب ، ولقد جاء في الأمثال :
« من قرأه طالت أيامه » وقال الشاعر :

إن للوالدين حقاً علينا بعد حق الإله في الإحترام
أوجدانا وربيانا صفارا فاستحقا نهاية الإكرام

أما الشكر لها : فيجب ألا يحده حد ، ولا يحصيه عد ، لأنهما
سبب وجوده في الحياة الدنيا ، وهما اللذان حملاه صغيراً وأحياه، واشتغلا

من أجله، وكابد الآلام المرة في سبيل معيشته وراحته، وسهر على حياته وأقل نمن على ذلك الشكر لها، إعترافا بفضلها عليه، عملا بقول الرسول

صلى الله عليه وسلم : (لا يشكر الله من لا يشكر الناس)

ومن أحق بالشكر منهما على معروفهما عنده ، لأن هذا المعروف في حقيقته نعمة من الله سبحانه وتعالى على مسديه

أما المساهرة : فتكون بالعمل لنفعهما ، وتخفيف أعباء الحياة عنهما

بالإففاق عليهما إذا كبرا، وتقطعت بهما أسباب العيش ، فهو عندهما في الحياة ، وفلذة كبدهما ، وموضع هنائهما، ومحل عنايتهما

وأن يكون قيامه بهذا العمل بلا من ولا ضجر، بل بالعطف والصبر والحنو، لأن أداء هذا الواجب لا يعادل ما أنفقاه عليه من المال والصحة والراحة، وما صادفاه من المشاق العظيمة في سبيل تربيته منذ ولد إلى أن صار شابا، بل رجلا يكسب المال بجده ونشاطه بفضل رضائهما وحبهما وتثقيفهما عقله بالعلم والأدب

وبالجملة يجب أن يفعل جميع الوسائل التي تكون سببا في مرضائهما

وزوال غضبهما وكدرهما

وقد بين لنا الله عز وجل في كتابه العزيز بعض ما يلزم لهما من

الحقوق والآداب فقال :

١- « وَقَضَى رَبُّكَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا

يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا وَلَا تَنْهَرَهُمَا

وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ
رَبِّ أَرْحَمُهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا » « الاسراء ٢٣ و ٢٤ »

الشرح والتفسير

ترشد هاتان الآيتان الكريمتان إلى أهم الأمور وأولاها بالعناية
وأجدرها بالرعاية، وأقربها لرضا الله تعالى، وأبعدها من سخطه ومقته، ألا
وهو (بر الوالدين) الذي جمع من الخير أكمله، ومن الإحسان أجمله، ومن
المروءة أرفعها، ومن الخيرات أنفعها، وكفى به فضلا وشرفاً أن قرنه الله
بتوحيده وعبادته، وبالغ في التوصية به، وبالغة تقشعر لها جلود أهل العقوق،
وتحمل ذوى العقول السليمة على تأدية الواجب لهما من الحقوق، فأمر جل
شأنه بالإحسان إليهما، وقرنه بتوحيده وعبادته في قوله :

(وقضى ربك أن لا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا)

أى أمر أمراً جازماً، وحكم حكماً قاطعاً، بتوحيده وعبادته، وبر الوالدين
والإحسان إليهما

وفي هذا الاقتران من الدلالة على تأكد حقهما، والعناية بشأنهما
ما لا يخفى

ثم شدد الأمر في مراعاتهما حتى لم يرخص في أدنى كلمة تنفلت من
المتضجر مع موجبات الضجر من أحوال لا يكاد يصبر الإنسان معها
فإذا حصل منهما شيء يكرهه ولا يستحسنه فلا يصح له أن يتكلم
معهما بأى كلام يكون من ورائه تضررهما وتكدر خاطرهما؛ بل الواجب

عليه في هذه الحالة أن يقول لها قولاً ليناً سهلاً جميلاً بأحسن ما يمكن من التعبير به من لطف القول وكرامته ، مع حسن التأدب والحياء والاحتشام ، وخصوصاً إذا كانا كبيرين ، فإنهما في هذه الحالة أحق بالمجاملة وحسن التلطف والتعطف ؛ لأنهما يظنان أنهما عالمة عليه ، فكل كلمة تصدر منه ولو صغيرة يتأثران منها ، وتنكسر قلوبهما من أجل ذلك

ولذا خص الله سبحانه وتعالى حالة الكبر بالذكور في قوله :

(إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا

تنهرهما وقل لهما قولاً كريماً)

أى إن كبرا وهما في كنفك وكفالتك لا يصح أن تقول لهما أى قول يكدر خاطرهما ، ويستجلب غضبهما ، أو يؤذيهما ، حتى ولا التأفف الذى هو أدنى مراتب القول السيئ ، إذا حصل منهما ما لا يلائمك ولا يعجبك ؛ بل الواجب عليك بدل ذلك أن تعاملهما بالحسنى ، وتقول لهما القول اللين الطيب الحسن مع الأدب والتوقير والتعظيم والاحترام ، وأن تخفض لهما جناح الذل ، وتتواضع وتتذلل لهما بجميع أنواع التذلل والمسكنة ؛ لأنهما صارا أفقر الناس إليك ، بعد أن كنت أفقر الناس إليهما ، واحتياج المرء إلى من كان محتاجاً إليه غاية الضراعة والذل والمسكنة فكانا لذلك أولى بشدة الرحمة والشفقة ، وزيادة التعطف

ثم ختم جل شأنه الوصية عليهما والحث على برهما والإحسان إليهما بطلب الدعاء لهما من الله أن يرحمهما برحمته الباقية الدائمة فقال :

(وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيراً) كأنه تعالى يقول له : لا تكثف

برحمتك التي لاتدوم؛ ولكن اطلب لها من الله الرحمة الدائمة وهي رحمتي
وقل رب ارحمهما رحمةً مثل رحمتكما وتربيتكما لي وأنا صغير

٢ - وقال تبارك اسمه في الوصية بالوالدين، والحث على الإحسان

إليهما :

« وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ
كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ
سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ
وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ
وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا
وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعَدَا الصَّدَقِ الَّذِي كَانُوا
يُوعَدُونَ » « الأحقاف »

الشرح والتفسير

ترشد هاتان الآيتان الكريمتان إلى بيان ما أمر الله به الإنسان من
برِّ الوالدين والإحسان إليهما، والحنو عليهما، وخصوصاً أمه لأنها تعبت
فيه، وتسكبت من المشاق والتعب في حملها ووضعها ورضاعه ما لم يشاركها
الأب في شيء منه ؛ ولذلك كان حقها أوكد من حقه ، وبرها أوجب
من بره وإلى ذلك الإشارة بقوله تعالى :

(ووصينا الإنسان بوالديه إحساناً حملته أمه كرهاً ووضعته كرهاً وحمله وفصاله ثلاثون شهراً)

وبعد أن أوصى جل شأنه ببر الولدين والإحسان إليهما وبيان ما اختصت به الأم من الفضل والمزية وزيادة رعاية الحقوق على الأب، بين أن الإنسان متى بلغ أشده وبلغ أربعين سنة من عمره كان عليه أن يجدد التوبة والإجابة إلى الله تعالى، ويكثر من هذه الدعوات الصالحات التي علمها الله تعالى له بقوله :

(حتى إذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة قال رب أوزعني) أى ألهمني ووفقني (أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وأن أعمل صالحاً ترضاه وأصلح لي في ذريتي) أى اجعلهم صالحين متمكنين في الصلاح (إنى تبت إليك وإنى من المسلمين) أى المستسلمين المنقادين لطاعتك المخلصين في توحيدك

ثم بعد ذلك كله بين جزاء من اتصفوا بهذه الأوصاف فبروا وأنابوا إلى الله تعالى فقال : (أولئك الذين نتقبل عنهم أحسن ما عملوا وتتجاوز عن سيئاتهم في أصحاب الجنة وعد الصدق الذي كانوا يوعدون)
فبين جل شأنه أن جزاءهم عنده أن يقبل ما عملوه من الأعمال الصالحة وأن يتجاوز عن سيئاتهم ، فلا يعاقبهم عليها ، وأن يدخلهم الجنة حسبما وعدهم الله تعالى وعده الصادق الذي وعدهم به على لسان رسوله الكرام عليهم الصلاة والسلام

٣- وقد أوصى الله تعالى الإنسان بوالديه، والشكر لهما، وطاعتهما في كل ما أمر به ، ما لم يكن فيه معصية الله فقال :

« وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالَهُ
فِي عَامَيْنِ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَى الْمَصِيرِ وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى
أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبِهُمَا فِي الدُّنْيَا
مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ
بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ » « لقمان ١٤ »

الشرح والتفسير

يؤخذ من هاتين الآيتين الكريمتين وجوب بر الوالدين والإحسان
إليهما ، والحنو عليهما ، وخصوصا الأم؛ لأنها تعبت في تربيته وتحملت
المتاعب والمشقات في ذلك، وقاست الشدائد في سهرها عليه آناء الليل
وأطراف النهار حتى استولى عليها بسبب ذلك الوهن والضعف ، وهذا
الذي أشار إليه الله تعالى بقوله : (حملته أمه وهنا على وهن وفصاله في
عامين) أى حملته في بطنها وهى تزداد كل يوم ضعفاً على ضعف مما
تقاسيه في حال الحمل والولادة، والتعب الذى تقاسيه مدة تربيته وإرضاعه
بعد وضعه وهى عامان

فيجب عليه أن يشكرها، ويقوم لها بأعظم الخدمات، وأكبر المبرات
جزاء ما تكبدته معه فيهما من المتاعب والمشقات، ولذا يقول جل شأنه:
(أن اشكركم ولو اللذين لكم المصير) أى وصيتنا بشكرنا وشكر
والديه ، متى قام بأداء هذا الشكر جازيناه أوفر الجزاء ؛ لأن المصير

والمرجع إلينا ، وما أعظم هذه العناية من الله جل شأنه بالوالدين حيث قرن شكرهما بشكره !

وقد حدث جل شأنه الحد الذي يجب طاعتهما ومتابعتهما فيه وامثالهما في كل ما أمرا به أو نهيا عنه بأن ذلك ما لم يكن فيه معصية الله تعالى ، فإن كان الأمر بمعصيته والنهي عن طاعته فلا حرج في مخالفتهما، ولا تعد مخالفتهما وعدم طاعتهما حينئذ عقوباً؛ لأنه (لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق) إلا أنه مع ذلك لا يصح له أن يقطعهما ويمنع الإحسان عنهما ، بل يصنع المعروف معهما ، وهذا الذي أشار الله تعالى إليه بقوله :

(وإن جاهدك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفاً) أى وإن حرصا كل الحرص على أن تتابعهما على دينهما وتشرك بي فلا تطعهما ولا تقبل منهما ذلك ، ولا يمنعك ذلك من أن تصاحبهما في الدنيا بالمعروف والإحسان إليهما ، والتصديق عليهما ثم أمر جل شأنه بعد الفراغ من الوصية ببر الوالدين باتباع سبيل من رجع إليه من عباده الصالحين بالتوبة فقال : (واتبع سبيل من أناب الى) أى اتبع أيها الإنسان طريق من أقبل على طاعتي من عبادي الصالحين بالتوبة والإخلاص ، وهو النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه والتابعون (ثم إلى مرجعكم) جميعاً في الآخرة (فأنبئكم) وأخبركم بالذي كنتم تعملونه من خير أو شر فأجازى كل عامل بما عمل

وقد حث الله على بر الوالدين بالإِنفاق عليهما ، وإن أفضل الصدقات وأعظم القربات التي يتقرب بها العبد إلى ربه هو ما كان للوالدين ثم من يليهما ، فقال تعالى :

« يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلَّوَالِدَيْنِ
وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ
فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ »
« البقرة ٢١٤ »

الشرح والتفسير

ترشد هذه الآية الكريمة إلى بر الوالدين والإِحسان إليهما ، وأن أفضل شيء يتصدق به الإنسان ويحسن به ويفعله من المعروف والبر والخير والصدقة هو ما كان للوالدين والأقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل وقد بين الله ذلك عندما سئل النبي صلى الله عليه وسلم كيف ينفقون أموالهم وعلى من يصرفونها ؟ فقال له :

(قل ما أنفقتم من خير فلولوالدين والأقربين واليتامى والمساكين
وابن السبيل)

أى اصرفوها في هذه الوجوه ، وذلك لأن الوالدين هما السبب في وجوده حتى أمكنه أن يكتسب هذا المال وينفقه فهما أولى من يصرف إليهم المال ، وأجدر بالتصدق عليهما من كل من عداهما ؛ ثم من بعدهم الأقربون ؛ لأن الإنسان لا يمكنه أن يسع جميع الفقراء بصدقته وإِحسانه

فتقديم الأقرباء أولى من غيرهم

ثم من بعدهم اليتامى؛ لأنهم لا كسب لهم، وليس لهم من يقوم بأودهم
ويتكفل بمصالحهم فهم لذلك أولى بالإحسان إليهم بعد الوالدين والأقربين
ثم من بعدهم المساكين المحتاجين الذين لا يجدون ما يقوم بكفائتهم
فهم أولى بالتصدق بعد من ذكروا

ثم من بعدهم ابن السبيل ، والمراد به المسافر الذى فرغ زاده وبينه
وبين غرضه مسافة محتاج إلى المؤنة فينفق عليه ما يبلغه إلى مقصده
ثم أعقب ذلك كله بعبارة تدل على الترغيب ، والحث على الإنفاق
بلطف فقال : (وما تفعلوا من خير فإن الله به عليم) أى فيجازيكم عليه
أوفر الجزاء لأنه لا يظلم أحداً مثقال ذرة ، ولا شك أن من أيقن بالخلف
جاد بالمعطية

وقد حث الله تعالى على بر الوالدين والإحسان إليهما والحنو والشفقة
عليهما وعلى من يليهما فقال :

« وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي
الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْأَجْرَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْأَجْرَارِ الْجُنُبِ
وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ
لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا »
« النساء ٢٥ »

الشرح والتفسير

لقد جمعت هذه الآية الكريمة من صنوف البر وأنواع الخير وحسن

المعاملة مع الله والناس ما لو عملت به وتخلقت به لكنت من أسعد السعداء وأنبل النبلاء ، فمن ذلك توحيد الله تعالى وحسن عبادته ، وبر الوالدين بالإحسان إليهما والحنو عليهما ، وصلة الرحم بمد يد المساعدة لهم إن كانوا فقراء والتودد إليهم بالزيارة والهدايا والطيب من القول إن كانوا أغنياء ، والإحسان إلى اليتامى والمساكين بالنظر في مصالحهم والقيام بأودهم وكل ما يحتاجون إليه ، وحسن الجوار سواء كان الجار ملاصقاً أو غير ملاصق ، وخصوصاً إن انضم إلى الجوار القرابة فيكون له حقان : حق الجوار ، وحق القرابة ، وحسنه يكون بالإحسان إلى جاره والتصدق عليه إذا كان محتاجاً ، والتودد إليه بالزيارة والمبادرة برد السلام والمساعدة له في كل ما يحتاجه ، فلا يمنع عنه شيئاً مما يطلبه

وحسن الصحبة وهو المراد بقوله تعالى : (والصاحب بالجنب) أى الذى كانت صحبته بسبب مرافقته بالجنب سواء كان ذلك بجلوسه بجنبه في طلب العلم ، أو تعلم صناعة ، أو مباشرة تجارة أو مرافقة في سفر ، أو قعود بجنبه في مسجد أو مجلس أو غير ذلك

وحسن الصحبة معه بأن يكون له في النوائب ، ويؤثره بالرغائب وينشر حسنته ، ويطوى سيئته ، ويكتم سره ، ويستر عيبه ، وإذا سأله أعطاه وإذا سكت وكان محتاجاً ابتدأه ، وإن نزلت به نازلة واساه

ومواساة ابن السبيل ، وهو المسافر وتكون بسد عوزه وإعانتة بما يوصله إلى محل أوبته والشفقة والرحمة بالأزقاء والعبيد والإحسان إليهم

لأن الرقيق ضعيف الحيلة ، أسير في أيدي الناس ، ويكون ذلك بتربيته وتعليمه وعدم تكليفه في العمل ما لا يطيق ، وأن يكسوه مما يلبس ، ويطعمه مما يأكل ، حتى إذا أنس فيه النباهة والمعرفة والقدرة على أن يملك زمام نفسه بنفسه ويعرف أن يتصرف في معيشته باستقلاله أعتقه فإن ذلك هو المقصود من الاسترقاق

وقوله تعالى : (إن الله لا يحب من كان مختالاً فخوراً) أى مختالاً في نفسه ، معجباً متكبراً فخوراً على الناس ، يرى أنه خير منهم فهو في نفسه كبير ، وهو عند الله حقير ، وعند الناس بغيض

الأحاديث

١ - حديث في رضا الوالد

قال عليه الصلاة والسلام : (رِضًا الرَّبِّ فِي رِضَا الْوَالِدِ وَسُخْطُ الرَّبِّ فِي سُخْطِ الْوَالِدِ) « عن أبي عمرو ورواه الترمذي »

المعنى

رضا الرب عز وجل الذي تترتب عليه المغفرة والتوبة والنجاة يكون في رضا الوالد ، أى ملازم لرضا الأب مترتب عليه وسخط الرب ، أى غضبه ونقمته في سخط الوالد ، أى في غضبه الناشئ من عقوقه ، وعدم رعاية حقوقه

وقال على كرم الله تعالى وجهه :

وأطع أباك بكل ما أوصى به إن المطيع أباه لا يتضعضع
وقال بعض الفضلاء في التوصية بالوالدين خصوصاً الأم وعدم
عقوقها :

فيا ويح شخصاً غير خالقه أمّا	قضى الله ألا تعبدوا غيره حتماً
برهما فالأمر في ذلك والرحم	وأوصاكم بالوالدين فبالغوا
وكم منحنا وقت احتياجك من نما	فكم بذلاً من رافة ولطافة
تواصل مما شفيها البؤس والغما	وأملك قد باتت بثقلك تشتكي
مشاقاً تذيب الجلد واللحم والعظا	وفي الوضع كم قاست وعند ولادها
وأكبادها لهفأً بجمر الأسي تحمي	وكم سهرت وجدأً عليك جفونها
جنواً وإشفاقاً وأكثرت الضما	وكم غسلت عنك الأذى بيمينها
وضقت بها ذرعاً وذوقتها سما	فضيعتها لما أسنت جهالة
مكبأً على اللذات لا تسمع اللوما	وبت قريبر العين رياناً ناعماً
تلين لها مما بها الصخرة الصما	وأملك في جوع شديد وغربة
لأنت لذو جهل وأنت إذاً أعمى	أهذا جزاها بعد طول عنائها

حملته أمه كرهاً ووضعته كرهاً وحمله وفضاله ثلاثون شهراً)
فتراه وصى الإنسان بالإحسان إلى والديه ، ولم يذكّر من الأسباب
إلا ما تعانیه الأم إشارة إلى عظم حقها
ومن حسن الصحبة للأبوين الإنفاق عليهما طعاماً وشراباً ،
ومسكناً ولباساً وما إلى ذلك من حاجات المعيشة إن كانا محتاجين ، بل
إن كانا في عيشة دنيا أو وسطى ، وكنت في عيشة ناعمة راضية فرفعهما
إلى درجتك أو زد فإن ذلك من الإحسان في الصحبة ، واذكر ما صنع
يوسف مع أبويه ، وقد أوتي الملك إذ رفعهما على العرش بعد أن جاء
بهما من البدو

ومن حسن الصحبة بل جماع أمورها ما ذكره الله تعالى بقوله :
(وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً) إلى آخر
الآية .

وقال على كرم الله تعالى وجهه :
عليك ببر الوالدين كليهما وبرّ ذوى القربى وبر الأبعد

٣ - حديث في الصلاة لوقتها وبر الوالدين والجهاد
(عن عبد الله بن مسعود قال : سألت النبي صلى الله عليه
وسلم : أي العمل أحب إلى الله ؟ وفي رواية : أي العمل أفضل ؟

قَالَ : الصَّلَاةُ عَلَى وَقْتِهَا . قَالَ : ثُمَّ أَيْ ؟ قَالَ : بَرُّ الْوَالِدَيْنِ . قَالَ :

ثُمَّ أَيْ ؟ قَالَ : الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ (

قَالَ حَدَّثَنِي بِهِنَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَوْ أُسْتَزِدْتُهُ

لَزَادَنِي « رواه البخارى ومسلم والترمذى والنسائى »

الشرح

سأل عبد الله بن مسعود رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أحب الأعمال إلى الله وأفضلها عنده ، ليكون حرصه عليه أشد وعنايته به أكبر فأجابته الرسول صلى الله عليه وسلم بأن الأحسن والأفضل والأرفع درجة ، والأجزل ثواباً هي الآتية :

١ - الصلاة على وقتها ، وفي رواية : الصلاة لوقتها لأنها تعود الإنسان النظام واحترام المواعيد وذكر الله والقيام بين يديه ، ومناجاة خمس مرات في اليوم والليلة ، والدأب على رياضة النفس وتهذيبها ، والمبادرة إلى الخيرات ، وملك النفس والشهوات وأداء الصلاة كل يوم في أوقاتها أو في أول الأوقات أفضل عند الله من سائر الأعمال

٢ - ثم سأله عبد الله عما يلي ذلك في المرتبة ، فقال له : بر الوالدين وكان الرسول صلى الله عليه وسلم استنبط ذلك الترتيب من قوله تعالى في وصية الإنسان بوالديه (أن اشكر لى ولوالديك) فشكر الله

بالصلاة وشكر الوالدين ببرهما ، وبرهما بطاعة أمرهما وتفقد مصالحهما ،
والإففاق عليهما ، وحسن معاملتهما ، وخفض الجناح لهما ، وأن تقول :
(رب ارحمهما كما ربياني صغيراً)

وحسبك بياناً لمنزلة الوالدين والإشادة بحقوقهما أن الله قرن الإحسان
إليهما بالأمر بتوحيده فقال تعالى : (وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه
وبالوالدين إحساناً)

٣ — ثم سأله عبد الله عما يلي بر الوالدين فأخبره الرسول صلى الله
عليه وسلم بأنه الجهاد في سبيل الله ، وسبيله دينه الذي شرعه والحق
الذي رسمه

وما الجهاد إلا بذل المستطاع من مال ونفس ومركز وجاه ، وقوى
وتفكير ، وقلم ولسان في سبيل إعلاء كلمته وحفظ دينه ونشره بين
الناس وتعليمه ، وحفظ البلاد التي يقطنها الإسلام ، وحفظ أهله ممن
أرادهم بسوء من الأمم الفاشية والدول المستعمرة ، ورفع لواء القرآن
والتمسكين للحق في الأرض ، وفي نفوس الناس عامة

قال الله تعالى : (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله مع
المحسنين)

٤- حديث في النهي عن سب الرجل والديه

عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إِنَّ مِنْ أَكْبَرِ الْكِبَائِرِ أَنْ

يَلْعَنَ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ

قِيلَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ وَكَيْفَ يَلْعَنُ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ ؟

قَالَ : يَسُبُّ الرَّجُلُ أَبَا الرَّجُلِ فَيَسُبُّ أَبَاهُ وَيَسُبُّ أُمَّهُ)

« رواه البخارى ومسلم »

الشرح

إن من الذنوب ما ضرره عظيم ، وسوء أثره في المجتمع كبير ، كالقتل والزنا وشرب الخمر والسرقة ، وشهادة الزور ، وقطيعة الرحم ، وأكل مال اليتيم . وهذا النوع يسمى بالكبائر لكبر المفسدة منه ، وللوعيد الشديد عليه

وهذا النوع درجات بحسب الضرر الذى فيه ؛ فكلما كانت دائرته أوسع كان فى الكبر أدخل ، فكتمان الشهادة كبيرة ، ولكن أكبر منه الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وما كان ضرره فى الذنوب يسيراً يسمى بالصفائر ، كمبوسة الوجه وهز الرأس احتقاراً والحديث يبين أن سب الرجل أبويه من أكبر الكبائر وأعظم الذنوب ، لأن الإساءة فى موضع الإحسان ، والإثم الكبير مكان البر

العظيم ، والشتم الذميمة عوض القول الكريم ، وهل هو إلا كفر بنعمة التريية منهما وغمط لحقوقهما ، ودناءة نفس وخسة طبع ؟
وهل يرجى من شخص يسىء إلى أبويه اللذين ربياه صغيراً أن يحسن إلى أحد من الناس ؟ كلا فهو مصدر شر ، ومبعث فساد ، فلا جرم أن كان ذنبه عظيماً ووزره خطيراً ؛ ولذلك عجب الصحابة واستغربوا وقالوا :

كيف يسب الرجل والديه ؟ استبعاداً أن يكون في بنى الإنسان من يقدم على هذا الجرم العظيم ، فبين لهم الرسول صلى الله عليه وسلم أنه سب غير مباشر بأن يسب شخص أباً شخص آخر ، فيسب هذا أبويه انتصاراً لنفسه وانتقاماً مضاعفاً لعرضه ، فذلك سب من الأول لأبويه لأنه تسبب فيه ، وإذا كان التسبب لذلك من أكبر الكبار ، فما بالك بمن يسبهما كفاحاً بلاءً من يؤذيها ويضرهما ؟

إن ذلك للوزر الأكبر لا يفوقه إلا الشرك

والأصل في الحديث قوله تعالى : (ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدواً بغير علم)

فهى المسلمون عن سب الآلهة التي يعبدونها المشركون مخافة أن يسبوا الله انتصاراً لآلهتهم

٥ - حديث في النهي عن عقوق الأمهات

عن المغيرة بن شعبة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ عُقُوقَ الْأُمَّهَاتِ »

الشرح

نهى الله عن عقوق الأمهات، وعدم القيام بحقوقهن، والوفاء لهن بما
يجب ، من حسن الطاعة والإفناق والمعونة وطيب القول، والبعد عما
يفضهن ، أو يسبب سخطنهن ؛ لأنه طالما شقيت الأم بابنها حملاً
وفصلاً ورضاعاً وتربية وحياطة من كل أذى وضرر ، تسهر لينام ،
وتتعب ليرتاح ، وتشقى ليسعد ، ابتسامته وهو صغير أشهى لديها من
الدنيا وما فيها ، وصحته وسروره أعلى ما يتبغى الحصول عليه ، تفتديه
بكل مرتخص وغال ، وتقويه بما تستطيع وتملك من كل غائلة وشر ، إن
بكي طارت نفسها شعاعاً عليه ، وإن مرض تقرحت جفونها التباغاً ،
فليس من حسن الصنيع أن يقابل ذلك بالجحود والكفران، أو يجعله في
مطارح النسيان

وقد خص الأم في هذا الحديث؛ لأن العقوق إليها أسرع لضعفها ،
ولينبه على أن بر الأم مقدم على بر الأب في التلطف والحنو .
وقال عليه الصلاة والسلام : « الجنة تحت أقدام الأمهات »

٦- حديث في النهي عن عقوق الوالدين

« كُلُّ الذُّنُوبِ يُؤَخَّرُ اللَّهُ تَعَالَى مَا شَاءَ مِنْهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ
إِلَّا عُقُوقَ الْوَالِدَيْنِ فَإِنَّ اللَّهَ يُعَجِّلُهُ لِصَاحِبِهِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا قَبْلَ
الْمَمَاتِ »
« عن أبي بكرة - رواه الطبراني »

المعنى : الذنوب (الخطايا) يؤخر الله تعالى ما شاء منها ، أى من حسابها ، والعقاب عليها إلا عقوق الوالدين ، وهو الخروج عن طاعتها وإهانتها فإن الله تعالى يعجله أى لا يمهله عقابه للعاق في الحياة الدنيا ، وذلك بأن يسلط عليه أبناءه فيعقونه ويخرجون عليه ، فإن لم يكن له ولد سُلط عليه من يجحد فضله

وقال الشاعر في عقوق الوالدين :

وإن عقوق الوالدين كبيرة فبرها تبرر كذاك وتحمده

٥- الأدب مع الأقارب (ذوي الرحم)

رحم الإنسان أقرابه ، وصلتهم أن يطعمهم من جوع ، ويؤمنهم من خوف ، ويقضى عنهم ديناً ، ويفرج عنهم غمماً ، ويقوم بما يحتاجون إليه ، ويتودد إليهم بالزيارة والهدايا ، والطيب من القول ، والبشاشة عند اللقاء ، والمبادرة بالسلام ، ورد ضالتهم ، والمحافظة على فعل كل ما يجب محبتهم إليه

وصلة الرحم من أفضل الخصال ، وأجمل الخلال ، فيها يكثر التوادُّ والتواصل ، وتؤمن الفوائل ، ويحول التباغض والتحاسد ، وتستمال القلوب ، وتلتئم الشعوب ، وتغفر الذنوب ، وتصفو الضمائر ، وتحسن السرائر ، وتنتظر الرحمة ، وتستدام النعمة ، ويستحكم الوداد ، ويتمكن الإيسعاد

ولما اشتملت عليه من هذه الثمار اليانعة ، والفوائد النافعة ، حثَّ الشرع عليها ، وبالغ في التمسك بها ، حتى جعلها رسول الله صلى الله عليه وسلم سبباً في إدرار الرزق وسعته ، وفأحة الخير وزيادته ، فقال عليه الصلاة والسلام :

(إِنَّ أَعْجَلَ الطَّاعَةِ ثَوَابًا صَلَاةُ الرَّحْمِ حَتَّىٰ إِنَّ أَهْلَ الْبَيْتِ

لَيَكُونُونَ فُجَّارًا ، فَنَمُو أَمْوَالَهُمْ وَيَكْثُرُ عَدَدُهُمْ إِذَا وَصَلُوا
أَرْحَامَهُمْ)

وقال عليه الصلاة والسلام : (مَنْ سَرَّهَ أَنْ يُمَدَّ لَهُ فِي عُمْرِهِ
وَيُوسَّعَ لَهُ فِي رِزْقِهِ فَلْيَتَّقِ اللَّهَ وَلْيَصِلْ رَحِمَهُ) وسيأتي شرحه

وقال رجل لابنه في بعض وصاياه : يا بني لا تقطع القريب ، وإن
أساء ، فإن المرء لا يأكل لحمه وإن جاع

وقال بعض الحكماء : من وصل رحمه ، وصله الله ورحمه ، ومن
قطعها قطعه الله وحرمه

وحكمة الشارع في الحث عليها ، والتشديد في أمرها والترغيب
فيها ، والتحذير من قطعها ، ومجانبة ذلك جهد الاستطاعة ، أن
أقارب الرجل هم أكثر الناس بعد أبويه له تناصرا ، وأكثرهم رغبة
في الخير له ، وأشدهم شفقة عليه ، وأعظمهم محبة له ، بهم يعلو بين
الأنام قدره ، ويعظم نخره ، ويرتفع ذكوره ، وهم أكثر الناس به
اختلاطاً ، فإذا قطعهم تنغص عيشه ، وكثر شره وقل خيره ولأنهم
أبعاض أبويه ، ومنهما نشثوا أو اختلطوا معهما في نسب فكل هذه
حقوق تحم على الإنسان أن يصلهم بقدر جهده واستطاعته

وقد حث الله تبارك اسمه على صلة الرحم ، وبين أن ذوى القربات في
إبصال الخيرات لبعضهم أولى من غيرهم ممن ليس بينهم وبينهم قرابة فقال :

« وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ »
« الأنفال ٧٥ »

الشرح والتفسير

يستفاد من هذه الآية الكريمة بيان حقوق الأقرباء بعضهم على بعض، وأنهم أولى من غيرهم في تأدية هذه الحقوق لهم فمن ذلك أنهم يورثونهم دون غيرهم ، وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم آخى بين أصحابه ، فكان المهاجري يرث الأنصاري دون قرابته وذوى رحمه للأخوة التي عقدها بينهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله هذه الآية لتخصيص الأقرباء بالميراث دون غيرهم من الأجانب لأنهم أولى ببعضهم من غيرهم ، وذلك منه جل شأنه حث على انتفاعهم ووصول الخير لهم وصالتهم

وقد حث الله عز وجل في آية أخرى على صلة الرحم وبرها والنهي عن قطعها فقال :

« يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً . وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا »

« النساء »

الشرح والتفسير

ترشد هذه الآية الكريمة إلى أمرين :

الأول - الحث على التقوى

الثاني - الحث على صلة الرحم وبرها وعدم قطعها وهذا الذي أشار

إليه بقوله : (واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام)

أى واتقوا الله الذي يسأل بعضكم بعضاً به ، وذلك يكون بطاعتكم إياه ، واتقوا قطع مودة الأرحام فإن قطعها من أكبر الكبائر ، وصلتها باب لكل خير ، فتزيد في العمر وتبارك في الرزق ، ولذا وصل جل شأنه تقوى الرحم بتقواه

وقوله تعالى (إن الله كان عليكم رقيباً) أى مطلعاً عليكم فيعلم من امتثل أمره بتقواه وصلة الرحم ، ومن لم يمتثل فيجازى كلا منهما بما يستحق

وقال جل شأنه في النهى عن قطع الرحم مع بيان ما يترتب على ذلك من العقاب الشديد والعذاب الأليم والخسران المبين :

« الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ »

« البقرة ٢٧ »

الشرح والتفسير

ترشد هذه الآية الكريمة إلى بيان ما أعده الله تعالى من النكال

(م - ٧)

الشديد، والعذاب الأليم، والخسران المبين، لمن اتصفوا بهذه الأوصاف الرذيلة، وتخلقوا بهذه الأخلاق القبيحة، وهي :
أولاً --- نقض العهد بعد ما أخذ الله عليهم الميثاق به، وهو كل ما أمر الله به ونهى عنه في كتبه أو على ألسن رسله الكرام، ونقضه عدم العمل به

ثانياً --- قطع الرحم التي أمر الله بها أن توصل

ثالثاً --- الفساد في الأرض بارتكاب كل معصية يتعمد ضررها ويطيّر في الآفاق شررها

وقد وعدهم الله بالخسران العظيم فقال : (أولئك هم الخاسرون)
أي الناقصون أنفسهم حظوظها في رحمة الله بمعصيتهم له كما يخسر الرجل في تجارته؛ بأن يوضع من رأس ماله في بيعه، فكذلك هؤلاء الناس الذين اتصفوا بالأوصاف المذكورة قد خسروا بحرمان الله تعالى لهم من رحمته التي وعدها عباده المتقين يوم القيامة أحوج ما كانوا إلى رحمته
وقال الله تعالى في آية أخرى :

« وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ الْعَنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ »

« الرعد ٢٧ »

المعنى

أي هؤلاء الناس الذين اتصفوا بهذه الأوصاف القبيحة لهم اللعنة

ودار سوء ، وذلك بما اشتملت عليه من الأحوال والمشقات ، ومناقشة الحساب

وقال تعالى في آية أخرى :

« فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَارَهُمْ » (محمد)

حديث في ثمرات صلة الرحم

حديث في أن صلة الرحم تطيل العمر وتزيد في الرزق
عن أبي هريرة رضى الله عنه أنه قال : سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

(مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ وَأَنْ يُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ)
(رواه البخارى ومسلم)

ورواه الترمذى بلفظ : (إِنْ صَلَّى الرَّحِمَ مَحَبَّةً فِي الْأَهْلِ ،
مَثْرَاةً فِي الْأَعْمَالِ مَنْسَأَةً فِي الْأَثَرِ)

الشرح

رتب الرسول صلى الله عليه وسلم على صلته الرحم أمرين : بسط الرزق، والإنساء في الأثر

أما ترتيب السعة في الرزق على صلة الرحم فلأنه بالصلة يستجاب
محبتهم ومودتهم ، فيعاونونه على كسب الثروة فتزداد ، وينبى بالصلة
عداوتهم التي إذا شغل بها استنفدت كثيراً من وقته يتعطل فيه عن
ابتغاء الرزق ؛ ولأنه بالصلة يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له أضمافاً
كثيرة ، وبالصلة يدخل في زمرة المتقين (ومن يتق الله يجعل له مخرجاً
ويرزقه من حيث لا يحتسب) وقال جل شأنه : (ومن يتق الله يجعل له
من أمره يسراً)

وفي القرآن الكريم آيات كثيرة ترتب السعادة الدنيوية على الأعمال
الصالحة

وأما ترتيب الإنشاء في الأثر على الصلة ، فإن فسرنا الأثر
بالذكرى الطيبة للإنسان بعد وفاته ، فلا إنشاء فيها معناه التأخير
والإطالة ، فالسنة الناس ثناء عليه ، ودعاء له لقيامه بواجب القرابة ،
وربما استمرت هذه الذكرى أمداً طويلاً ، فنفسه الرحيمة كأنها خالدة
في عالم الأحياء

وإن فسرنا الأثر ببقية العمر ، فظاهره أن الأجل يمتد بصلة الرحم
وذلك يعارض قوله تعالى (وإن يؤخر الله نفساً إذا جاء أجلها)
فالجواب : أن الأجل محدد بالنسبة إلى كل سبب من أسبابه
فإذا فرضنا أن الشخص حدد له ستون عاماً إن وصل رحمه ،
وأربعون إن قطعها ، فإذا وصلها زاد الله في عمره الذي حدد له إذا لم يصل

فالأجل لا يتأخر بالنسبة إلى سببه الخاص ، ويتأخر بالنسبة إلى سبب آخر ، وأحسن من هذا أن نفسر مد الأجل بالبركة في العمر ، فيهبه الله قوة في الجسم ، ورجاحة في العقل ، ومضاء في العزيمة ، فتكون حياته حافلة بالأعمال الطيبة ، فهي حياة طويلة ، وإن كانت في الحساب قصيرة

وذلك لأن المقياس الحقيقي للحياة المباركة ليست الشهور والأعوام ولكنه جلائل الأعمال ، وكثرة الآثار ، فرب شخص عمر طويلاً ، وكأنه لم يكن ، ورب آخر عاش قليلاً وكأنه لبث فينا قروناً لكثرة ما عمل وعظم ما خلف ، وإنما رتبت البركة في العمر على صلة الرحم لأن المرء إذا وصل أقرباءه أجلوه واحترموه فامتلات نفسه سروراً وشعر بمكانة عالية من أجل صنيعه الذي صنع ، والسرور منشط ، كما أن الحزن مُثَبِّطٌ ، والشعور بالعظمة دواعٍ للإكثار منها ، وبذل الجهد في سبيلها

والحديث الشريف يقرنا على حب البسطة في العيش ما آمننا وعملنا الصالحات ، ويقرنا أيضاً على الرغبة في زيادة الحياة إن كانت في سبيل الطيبات ، كما يحثنا على بر الأقرباء لقوله تعالى :

« وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ »

وقال أحد الفضلاء في منظومة له :

وكن واصل الأرحام حتى لكاشح

توقر في عمر ورزق وتسمد

وقال صاحب مرآة أهل الزمن في النهي عن مقاطعة الأرحام :
ولا تقاطع ذوى القربى ولو قطعوا وكن إذا زلت الإخوان مغتفرا
وروى البخارى عن عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه قال :
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :
(قال الله تعالى : أنا الرحمن ، أنا خلقت الرحم ، وشققت لها
اسماً من اسمى ، فمن وصلها وصلته ، ومن قطعها قطعته)

٦ - الأُدب مع الجار

لما كان الجار من جاره بمنزلة القريب من قريبه أوصى الله به وطالب بالإحسان إليه ، فقال تعالى :

« وَأُجَار ذِي الْقُرْبَىٰ » أي الأقرب إلى دارك ، وفسره بعضهم بالسلم

« وَأُجَارَ الْجُنُبِ » أي البعيد بيته عن بيتك ، وفسره بعضهم

باليهودى والنصرانى

والمرجع فى القرب والبعد إلى العرف

والإحسان إلى الجار يكون بمعاملته بالصدق والإخلاص ، وكف

الأذى عنه ، والإهداء إليه ، ودعوته إلى الطعام ، ومساعدته بالمال

والجاه إذا احتاج إلى ذلك ، وفعل كل ما يرضيه فى طاعة الله ، وترك كل

ما يؤذيه فى طاعة الله

فإذا تمت الألفة بين الجيران عاشوا آمنين مطمئنين ؛ أما إذا حل

بينهم التنافر فقد ساءت عيشتهم ، وترى بعض لبعض ، واحتدم الجدل

والخصام واللجاج ، وأدى ذلك إلى الضرب أو القتل

والجار أعرف الناس بمعايب جاره ، وسبل الإيقاع به

لذلك ولنغير ذلك طالب الله تعالى بالإحسان إلى الجار ، وأوصى به

النبي صلى الله عليه وسلم

فمن أبى شُرَيْحَ الْخَزَاعِي أَن النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :

(مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُحْسِنِ إِلَى جَارِهِ)

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : سمعت رسول الله صلى الله

عليه وسلم يقول :

(مَا زَالَ جَبْرِيلُ يُوصِينِي بِالْجَارِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُورَثُهُ)

وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قيل للنبي صلى الله عليه وسلم :

إن فلانة تقوم الليل وتصوم النهار وتعمل وتصدق وتؤذى جيرانها

بلسانها

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لَا خَيْرَ فِيهَا فَهِيَ مِنْ

أَهْلِ النَّارِ)

وعنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

(وَاللَّهِ لَا يُؤْمِنُ ، وَاللَّهِ لَا يُؤْمِنُ ، وَاللَّهِ لَا يُؤْمِنُ . قَالُوا : وَمَا ذَلِكَ

بِأَرْسُولِ اللَّهِ ؟ قَالَ : جَارٌ لَا يُؤْمِنُ جَارَهُ بَوَائِقَهُ . قَالُوا : مَا بَوَائِقُهُ ؟

قَالَ : شَرُّهُ) وسيأتى شرح هذا الحديث

وأخرج البخارى فى الأدب عن ثويان فقال :

(مَا مِنْ جَارٍ يَظْلِمُ جَارَهُ وَيَقْهَرُهُ حَتَّى يَحْمِلَهُ ذَلِكَ عَلَى أَنْ يَخْرُجَ

مِنْ مَنْزِلِهِ إِلَّا هَلَكَ)

والجار يشمل : القريب ، والأجنبي ، والمسلم والكافر ، غير أنه يبدأ
بصلته ومعروفه القريب فالأقرب المسلم ، فالأبعد المسلم ، فالأقرب الكافر ،
فالأبعد الكافر

وقد ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم عاد ولد جاره اليهودي
وروى البخارى فى الأدب عن عبد الله بن عمر رضى الله عنها أنه
ذبح له شاة فجعل يقول لعلامة : أهديت لجاننا اليهودى ؟
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

« مَا زَالَ جِبْرِيلُ يُوصِينِي بِالْجَارِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُورَثُهُ »

والجار هو من تجاوره ، وتراه ويراك فى غدوك ورواحك ، وحزنك
وفرحك

ومن الأدب مع الجار أن تبدأه بالسلام ، والتعظيم والإكرام ، وألا
تطلع على ما يفعله فى بيته ، فإن ذلك يسمى تجسسا ، وألا تذكره بما يكره
فقد نهى الله عن ذلك

ومن الواجب ألا تؤذى جارك لا بالقول ولا بالفعل عملاً بقوله
صلى الله عليه وسلم :

« مَنْ كَانَ يَوْمًا مِنَ اللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يُؤْذِ جَارَهُ »

ومن الواجب عليك أن تعود فى مرضه ، وتعزیه فى مصائبه ، وتهنیه
فى فرحه ، وتظهر السرور لسروره ، والحزن لحزنه ، كأنه أخ أو قريب لك

ومن حق الجار عليك ألا تضع التراب والأوساخ أمام بيته أو بجانب حائطه حتى لا يفضب ولا يفتاظ ، وألا تضع بجواره أشياء من الطيور أو الحيوانات المقلقة للراحة فتتغص عليه عيشه ، وربما تضطره لرفع قضايا ضدك أو يتعد عن مجاورتك

ولا يليق بك أن تنظر من النوافذ (الشبائيك) على حريمه وبناته فإن هذا مخالف للشرع والآداب ، كما أنه لا يليق النظر إلى ما بيده من المآكل والمشرب وهو داخل في داره ، ولا تنطلع إلى عوراته ولقد جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم حقوق الجار والآداب معه في حديث كله حكم عالية بحسب الآداب الإسلامية ، فقال عليه السلام :

(أَتَدْرُونَ مَا حَقُّ الْجَارِ؟ إِذَا أَسْتَعَانَ بِكَ أَعْنَتَهُ ، وَإِنْ أَسْتَنْصَرَكَ نَصَرْتَهُ ، وَإِنْ أَسْتَقْرَضَكَ أَقْرَضْتَهُ ، وَإِنْ مَرِضَ عُدْتَهُ ، وَإِنْ عَاتَ تَبِعْتَ جَنَازَتَهُ ، وَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ هَنَأْتَهُ ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ مُصِيبَةٌ عَزَيْتَهُ ، وَلَا تَسْتَطِلْ عَلَيْهِ الْبِنَاءُ فَتَحْجُبَ عَنْهُ الرِّيحُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ، وَلَا تُؤْذِهِ ، وَإِذَا اشْتَرَيْتَ فَأَكْهَةً فَأَهْدِلْهُ ، وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَأَدْخِلْهَا سِرًّا ، وَلَا يَخْرُجْ بِهَا وَلَدُكَ لِيَعْيِظَ بِهَا وَلَدَهُ ، وَلَا تُرْزِئِهِ بِقِتَارِ قَدْرِكَ (رائحة طعامك) إِلَّا أَنْ تَعْرِفَ لَهُ مِنْهَا

ثم قال : أَتَدْرُونَ مَا حَقُّ الْجَارِ ؟ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يَبْلُغُ
حَقَّ الْجَارِ إِلَّا مَنْ رَحِمَهُ اللَّهُ)

حديث في إكرام الضيف والإحسان إلى الجار

عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه

وسلم :

(مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمِ ضَيْفَهُ ، وَمَنْ
كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُحْسِنِ إِلَى جَارِهِ)

« أخرجه الشيخان »

الشرح

ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديث أموراً ثلاثة يقتضيها
الإيمان بالله واليوم الآخر وهى : إكرام الضيف ، والإحسان إلى الجار
والنطق بالخير أو الصمت ؛ وإنما خص بالذكر الإيمان بالله واليوم الآخر
دون غيرها مما يجب الإيمان به كالرسول والكتب الإلهية ؛ لأن الله
تعالى مبدئ كل شيء ، وبيده الخير والشر ، واليوم الآخر نهاية الحياة الدنيا
وهو ينتظم البعث والنشر والحشر والحساب والجنة والنار ، فهو يوم
جامع لكثير مما يجب الإيمان به

وإنما كان الإيمان بهما مقتضياً لهذه الأشياء ؛ لأن من صدق بالله
وعلم أنه خبير بما يعمل ، ومحاسبه عليه ، وأن بيده الثواب والعقاب يجد

في عمل الطيبات ، وبدع السيئات ؛ ومن آمن بيوم يحيى فيه الناس جميعاً ، وتعرض عليهم فيه أعمالهم من خير أو شر ، ويلقون جزاءهم من جنة أو نار - من آمن بكل ذلك طمع في الثواب بالمسارعة إلى الخيرات ونفر من العقاب باتقائه الشرور

ولنشرح الثلاثة الأمور الواردة في الحديث المذكور :

١ - إكرام المضيف : إكرام الضيف يكون بحسن استقبله فيقبله بوجه باش ويظهر له السرور بحضوره ، ويقدم له خير ما عنده من الطعام والشراب ووسائل الراحة ، وإن كان ذا سعة والضيف فقير مد إليه يد المعونة ، ويودعه كما استقبله بالحفاوة والإكرام إلى غير ذلك وقد قال العلماء : إن الضيافة الشرعية ثلاثة أيام ، وما زاد عليها فهو صدقة فنحن مأمورون بإكرامه في هذه الثلاثة الأيام وما زاد عليها فضل من المضيف

٢ - الإحسان إلى الجار : يكون بعمل ما يستطيع معه من ضروب الخير ، فإن استقرضك أقرضته ، وإن استعانك أعنته ، وإن احتاج أعطيته ، وإن مرض عدته ، وإن أصابه خير هنأته ، وإن اتابته نأبته عزبته وواسيته ، وكن أميناً على أسراره ، متودداً إليه بالهدايا ، حريصاً على مصالحه ، كما تحرص على مصالحك

فإذا كان الإحسان للجار مطلوباً ، فدفع الأذى عنه أمر محتم وفي حديث البخاري عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه)

حديث في النهي عن أذى الجار

عن أبي شريح قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم :
« وَاللَّهِ لَا يُؤْمِنُ ، وَاللَّهِ لَا يُؤْمِنُ ، وَاللَّهِ لَا يُؤْمِنُ ، قِيلَ وَمَنْ
يَأْرَسُوْلَ اللَّهِ ؟ قَالَ : الَّذِي لَا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ (شره) »
« رواه البخارى ومسلم وغيرها »

الشرح

من سعادة المرء أن يكون في بيئته يشعر فيها بالمعطف عليه ، والمحبة له
ومن شقائه أن يكون بين جماعة يضمرون له الشر ويدبرون له المكائد
فالشخص الذى بجانبه جيران سوء يعملون للإضرار به فى نفسه
أو ماله أو عرضه ، ويحكون له العظام والدواهي ، منغص فى عيشه ،
لا يهتأ له بال ، ولا ينعم بمال ، تراه مقطب الوجه ، محزون النفس ،
مكجوم الفؤاد ، وكل ذلك من سوء الجوار

ولقد بين الرسول صلى الله عليه وسلم أن من هذه خلقته وتلك
دخيلته مع جاره غير مؤمن ، وأكد ذلك بالحلف والتكرار ثلاث مرات
وهل المؤمن إلا من آمنه الناس على أرواحهم وأموالهم وأعراضهم ؟
وهل الايمان إلا من الأمن ؟ فإذا كان الجار لجاره حرباً ، وله
ضداً فكيف يكون من المؤمنين الذين أخلصوا دينهم لله ؟
لقد كان الواجب عليه أن يتفقد أمور جاره ، ويساعده بكل ما استطاع

ويعمل على جلب الخير له، ودفع الشر عنه، حتى يكونا في عيشة راضية ،
وحياة طيبة

أفما كفاه أن يترك كل ذلك حتى يقف منه موقف العداء ؟

يدبر له الموبقات المدمرات ، والمفطعات المهلكات إلا يحسن إليه

فلا يسيء ؟ وليقف موقف الحياد إن لم يكن لصنع المعروف أهلاً

والحديث يؤكد حق الجار ، وأنه من بين الحقوق بالمسكان العظيم

حتى إن من ينتهك حرمانه يساب عنه الإيـمان الذي هو معقد السعادة

في الدنيا والآخرة « ومن يكفر بالإيمان فقد حبط عمله وهو في الآخرة

من الخاسرين »

٧ - الأدب مع الصاحب

قد بين الله تعالى حق الصاحب للصاحب فقال :

« وَالصَّاحِبِ بِالْجَنَبِ » قيل : هو الرفيق في السفر ، وقيل هو

الزوجة والزوج وكل منهما مطالب بالإحسان إلى الآخر

وقالوا : هو الذي يزاملك في مهنتك أو تعليمك أو صناعتك أو أى عمل
يشاركك فيه ، وهو أوفق وأعم حتى يتم التواد بين زملاء ويعيشوا على
المحبة والصفاء وفي ذلك نفع للأمة والبلاد

عن ابن عباس رضى الله عنهما في قوله : (والصاحب بالجنب) قال :

الرفيق في السفر

وعن زيد بن أسلم قال : هو جلسك في الحضر ، ورفيقك في السفر

وامراتك التي تضاجعك

وعن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

(خَيْرُ الْأَصْحَابِ عِنْدَ اللَّهِ خَيْرُهُمْ لِصَاحِبِهِ ، وَخَيْرُ الْجِيرَانِ عِنْدَ

اللَّهِ خَيْرُهُمْ لِجَارِهِ)

وجاء في الحديث الشريف : (الْمَرْءُ عَلَى دِينِ حَلِيلِهِ فَلْيَنْظُرْ

أَحَدَكُمْ مَنْ يُخَالِلُ)

ولهذا وجبت مصاحبة الأخيار ممن يتصفون بالأخلاق الكريمة
والخلال الجميلة كاشتهار بعلم أو أدب أو حسن خلق أو تقوى جامعة
فهم هؤلاء يكتسب المرء بصحبتهم ويستفيد بقرهم في أخلاقه القوائد
الجميلة بمكس حال مصاحبة الحمقى والتنطمين وأرباب الفساد والشر
خصوصاً

وما أبلغ هذه النصيحة والحكمة في اختيار الصاحب التي قالها
الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: « عليك بإخوان الصدق تمش في
أكنافهم فإنهم زينة في الرضاء ، وعدة في البلاء ، وضع أمر أخيك على
أحسنه حتى يجيئك ما يقلبك منه ، واعتزل عدوك واحذر صديقك
إلا الأمين في القوم ، ولا أمين إلا من خشى الله ، فلا تصاحب الفاجر
فتتعلم من فجوره ، ولا تطامه على شرك ، واستشر في أمرك الذين
يخشون الله »

أما حقوق الصعبة وآدابها فتتخصر فيما يلي :

١ - الحق في المال لقوله صلى الله عليه وسلم : (مثل الأخوين
مثل اليدين تغسل إحداهما الأخرى) يريد المعاونة في الشؤون
المالية بالأقراض

٢ - الاعانة بالنفس في قضاء حاجات الإخوان

٣ - السكوت باللسان عن القدر في حق الأصحاب فيما بعد تنقيصاً
لشأنهم ، وحطاً من كرامتهم أو اغتيالهم ، ونصح الصديق
إذا رأته قد وقع بلسانه في منكر

- ٤ - الإخلاص والوفاء ، وهما أوكد ما تدوم بهما الصحبة ،
وتعرف بهما المروءات في الهيئة الاجتماعية
- ٥ - التخفيف وترك التكلف من أجل الآداب وأعظم الأصول
حتى لا تثقل على الصديق بالزيارات ولا بالتكاليف ولا
بالنغالى وإظهار مالا يقدرون على القيام له بمثله في الضيافات
والحفلات الأخوية

٨- أدب المرء مع نفسه

إن أدب المرء مع نفسه أن يكون على أحسن صفات الكمال، وأجل الخلال، فلا يصدر منه ما يوجب الذم واللوم، ولا يقع منه ما يخجل بالروءة والشهامة، أو يقلل من قيمته، أو يحط من منزلته

فإن وعد وفي، وإن أوتمن لم يخن، وإن تمكن من فعل محرم عفا عنه نفسه، وكف عن إتيانه، وإن رأى منكراً غيرَه، وإن تكلم غض من صوته، وإن مشى لم يختل ولم يتعجب في مشيته، وإن رأى كبيراً وقره وعظمه، وإن مر بلغوا من القول أو الفعل تجنبه إن لم يقدر على دفعه، وهكذا من الخصال الحميدة والصفات الجميلة

وقد بين الله أنواع الآداب على أكمل وجه وأحسن حالة فمنها:

أولها - غض البصر، وحفظ الفرج، وعدم التبرج بالزيينات وعدم فعل أي شيء من دواعي الشهوة وإثارة الفتنة، سواء كان ذلك للرجال أو للنساء، قال تعالى:

« قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ (٣٠) وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ، وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ

مِنْهَا ، وَلْيَضْرِبَنَّ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ، وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْأَرْبَابَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ ، وَلَا يَضْرِبَنَّ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتَوْبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيَّةَ الْمُوْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝ ٣١ « النور »

الشرح والتفسير

ترشد هاتان الآيتان السكرتتان إلى بيان أكمل الآداب التي يجب على كل من الرجال والنساء أن يتخلقوا بها ويتجملوا بحلها وهي بالنسبة للرجال : (١) أن يفضوا أبصارهم عن النظر إلى ما لا يحل النظر إليه من أجنبية غير محرم لهم، لا سيما إذا مشوا في الطرقات أو في غيرها

لأن العين مبدأ الزنا، والنظر يزرع في القلب الشهوة التي هي مجلبة لسائر المعاسد والمنكرات ، ولذا نهى صلى الله عليه وسلم عن الجلوس في الطرقات ، لأنه لا يخلو الجالس عليها من النظر إلى ما لا يحل النظر إليه غالباً بقوله :

(إياكم والجلوس على الطرقات ، قالوا : بلى يا رسول الله ، لا بد لنا من مجالسنا نقعد فيها . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن أبيتهم

فأعطوا الطريق حقه . قالوا : وما حق الطريق يا رسول الله ؟ قال : غض
البصر ، وكف الأذى ، ورد السلام ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن
المنكر (

(٢) وأن يحفظوا فروجهم من التعدي على عرض الغير ، وأن يمنعوا
أنفسهم من النظر إليها ، وهذا ما أفاده الله تعالى بقوله :

(قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم)

ثم بين جل شأنه الحكمة التي من أجلها أمره بذلك ، فتوعد من
يخالف أمره ويتعدى حدوده بقوله :

(ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعون)

أى ما ذكر من غض النظر وحفظ الفرج أطهرهم من دنس الريبة
وأطيب من انتلبس بهذه الدنيئة ، وعليهم بعد علمهم ذلك أن يراقبوا الله
فيما به أمر ، ويتركوا ما عنه نهى وزجر ، لأنه جل شأنه خبير بما
يصنعون فيجازيهم عليه

وأما بالنسبة للنساء فهى : أن يفضضن أبصارهن ويمنعنهن النظر إلى
غير أزواجهن ؛ وأن يحفظن فروجهن من الزنا ، ومن رؤية أحد لها ،
ولا يظهرن شيئاً من زينتهن للأجانب إلا ما ظهر منها ، ولم يمكن
إخفاؤه ، كالرداء والثياب الظاهرة ، وأن يلقين على صدورهن ومخورهن
مقانع ليسترنها من أعين الناظرين ، فلا يرون منها شيئاً ، ولا يبدن
زينتهن إلا لأزواجهن أو آبائهن أو أبناء أزواجهن أو أبناءهن أو أبناء

أزواجهن ، أو إخوانهن أو بنى إخوانهن ، أو بنى أخواتهن أو نساءهن
المختصات بهن لخدمة أو صحبة ، بشرط أن يكن مسلمات ؛ لأن غيرهن من
الكفار لا يتخرجن من وصفهن للرجال ، وذلك يجر إلى المفسدة ،
أو ما ملكت أيمانهن من الإماء أو الأجراء والأتباع الذين لا حاجة لهم
إلى النساء ، لانقطاع شهواتهم ، أو الأطفال الذين لا يعرفون ما العورة
ولا يميزون بينها وبين غيرها . فهؤلاء لا بأس من إظهار الزينة لهم لعدم
توقع حصول ضرر منهم ، وهذا ما أشار الله تعالى إليه بقوله :

(وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن) الى
آخر الآية

وقد شدد الشارع الحكيم في عدم إبداء الزينة من النساء لما يعلم
ما يترتب على ذلك من المصرة والمفسدة حتى نهى المرأة عن أن تضرب
برجلها الأرض ليعلم ما خفي من زينتها كالخلخال ونحوه فقال :

(ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن)

ومثل ذلك ما لو كان شيء من زينتها مستوراً فتتحرك لتظهر ما خفي
منه ، أو أن تتعطر وتطيب عند خروجها من بيتها فيشم الرجال طيبها
وكذا لبس الملابس التي يتخذها مترفات النساء في زماننا من
« فساتين وبالطوات » وغيرها ، فإن ذلك كله داخل تحت هذا النهي
لما فيه من المفسدة والمصرة ، وقد عمت البلوى بذلك

ومثله ما عمت به البلوى أيضاً من عدم احتجاب النساء عن أخوان

أزواجهن ، وعدم مبالاة أزواجهن بذلك ، بل اختلاطن بأصحاب
أزواجهن ، وكثيراً ما يأمرهن به ، فإن ذلك كله مما لم يأذن به الله
ورسوله ، وأمثال ذلك كثير ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم
ولما كانت أوامر الله تعالى ونواهيه في كل باب لا يكاد العبد
الضعيف يقدر على مراعاتها وإن ضبط نفسه واجتهد فلا يخلو من تقصير
يقع فيه وصى الله المؤمنين لذلك بالتوبة فقال :

(وتوبوا إلى الله جميعاً أيه المؤمنون لعلكم تفلحون)

أى افعلوا ما أمركم به من الصفات الجميلة والأخلاق الجليلة ، وأتركوا
ما أنهاكم عنه من الأخلاق والصفات الرذيلة ، فإن الفلاح كل الفلاح
في فعل ما أمر الله ورسوله به وترك ما نهى عنه وحذر منه

ثانياً — إقامة الصلاة ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر
والصبر وعدم الإعراض عن الناس احتقاراً لهم واستكباراً عليهم ،
واستعمال الحد الوسط في المشي وعدم المشي في الأرض على سبيل العجب
والكبر ، وعدم رفع الصوت عند التكلم ، فقال تبارك وتعالى حاكياً
ذلك عن لقمان عليه السلام يوصي ابنه :

« يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ
وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ (١٧) وَلَا تَصْعَقْ
خَدَّكَ لِلنَّاسِ ، وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرْحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ

مُخْتَالٍ فَخُورٍ (١٨) وَأَقْصُدْ فِي مَشِيكَ وَأَغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنْ
أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتِ الْحَمِيرِ (١٩) « لقمان »

الشرح والتفسير

تشمّل هذه الآيات الكريمة على أهم مكارم الأخلاق والوصايا النافعة
والآداب الفاضلة ، فمن ذلك :

١ - إقام الصلاة التي من أقامها على الوجه الشرعي في الخشوع
والخضوع والتعظيم والحياء والذلة والاستكانة ، لازم الأدب
قلبه، والخشية جوارحه، ونهته عن الفحشاء والمنكر والبغى،
وذلك غاية الأدب، ونهاية مكارم الأخلاق

٢ - الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، وذلك من لقمان
عليه السلام لابنه من باب تدليل النفس ورياضتها لاقبالها على
الطاعات ونبذها للمنكرات بلطف . وهذا شأن المعلم الحكيم
فان من يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر تستنكف نفسه
وتكره أن يراه الناس حيث نهائم فيفعل المليح، ويجتنب القبيح
من حيث لا يشعر ، ذلك إلى ما يترتب على الأمر بالمعروف
والنهي عن المنكر من إرشاد الخلق إلى ما فيه صلاح حالهم
واستقامة أحوالهم، وانتظام شؤونهم، وتقويم ما عوج من أخلاقهم

٣ - التمسك بالصبر على المصائب وتحمل الآلام والشقات التي تحصل له في سبيل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ولذا أمر لقمان ابنه بالصبر وبين له أن الصبر من عزم الأمور ، وهذا ما أشار الله تعالى له بقوله :

« واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور »

٤ - أمر لقمان ابنه بأن يكون متصفاً بأحسن صفات الكمال من الأدب والتواضع والحلم وعدم التكبر على الخلق وعدم احتقارهم والاستخفاف بهم فقال له : (ولا تصغر خدك للناس) أي لا تعرض عنهم بوجهك إذا كلمتهم أو كلموك احتقاراً لهم واستكباراً عليهم بل أن جانبك لهم وتواضع لصغيرهم وكبيرهم واجلب محبتهم إليك بحسن طبعك معهم ولطف معاملتك لهم فإنهم بذلك يطيعون أمرك ويجتنبون نهيك

٥ - ثم أخذ يبين له ما يجب أن يكون هو عليه في نفسه من الأخلاق الفاضلة والصفات الكاملة في عدم المشي خيلاء على سبيل العجب والكبر مبيناً له أن ذلك يفضب الله تعالى ومن استعمال الحد الوسط في المشي وفي غض الصوت وعدم رفعه عن الحاجة عند التكلم فقال :

(ولا تمش في الأرض مرحاً إن الله لا يحب كل مختال فخور)
 (واقصد في مشيك واغضض من صوتك إن أنكر الأصوات لصوت الحمير)
 أي إذا مشيت في الأرض فلا يكن مشيك خيلاء لأن الله
 يبغض من هذه حالته ، وإذا مشيت فليكن مشيك لا بالبطيء ولا
 بالسرير ، وإذا تكلمت فاخفض صوتك ولا ترفعه زيادة عن الحاجة ،
 فإن الجهر بأكثر من الحاجة مما يضر السامع وبؤذيه ، ولأن صوته
 بذلك يكون منكراً يشبه صوت الحمير الذي هو أقبح الأصوات
 وأنكرها

وقال الله تعالى في ذم المتكبرين : « سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ
 يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ » « الأعراف »

وقال تعالى : « إِنَّ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا
 لَا نَفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَابَ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِدِجَ الْجَمَلُ
 فِي سَمِّ الْخِيَاطِ » « الأعراف »

وقال تعالى : « إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ » « النحل »

ثالثاً — نهى الله سبحانه وتعالى عن الفحش والسب والشتم
 وبذاءة اللسان والجهر بالسوء من القول فقال تعالى :

« لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ وَكَانَ اللَّهُ
 سَمِيعاً عَلِيماً » « النساء »

الشرح والتفسير

يؤخذ من هذه الآية الكريمة النهي عن البذاءة باللسان والجهر بالسوء من القول ، سواء كان ذلك القول السيئ شتماً أو سباً أو لعناً أو مراءً أو خصومة أو ذمّاً في حق الغير أو غير ذلك مما يدل على حقارة قدر صاحبه ودناءة نفسه وقلة حياته وسوء تربيته

ولما كان الجهر بالسوء من القول بهذه المكانة من القبح ، عبر الله عن النهي عنه بما يفيد شدة قبحه وزيادة نكره فقال :

(لا يحب الله الجهر بالسوء من القول)

ولم يقل ولا تجهروا بالسوء من القول ، أي وحيث كان مبغضاً لله وغير مرض له ، فهو أولى الأشياء المنكرة بالاجتناب وأحقها بالترك والابتعاد منه

ثم استثنى جل شأنه من بغضه للجهر بالسوء من القول جهر من ظلم بأن يدعوا على ظالمه أو يتظلم منه أو يذكره بما فيه من سوء لأنه إنما يستغيب ليغات ، ويستجبر لينجد ، ويذكره بسوء لعله يرد عليه ظلامته ، أو لأن المظلوم مصدر ولا بد أن ينفث ، وهذا لا بد منه من طريق الفطرة ، فرخص الشارع له ذلك

وفي ذلك دلالة على قبح الظلم والظالم ، وعدم نظر الله له ، وعدم اعتبار حرمة ، وعلى احتقاره له جل شأنه حتى رضى عن مذمة الجهر

بالسوء من القول في حقه

ثم أخذ جل شأنه يتوعد من يجهر بالسوء من القول فقال :
(وكان الله سميعاً علماً) أى سميعاً لما تقولونه في القول السيء ، علماً به

فيجازيكم عليه

رابعاً — نهى الله عن تتبع الإنسان ما ليس له به علم ، وعن
التكبر والتجبر والتبختر في المشى ؛ لأن ذلك مما يبغضه الله ويكرهه ،
فقال تعالى :

« وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ
أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ٣٧ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن
تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ
عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا (٣٨) » « الاسراء »

الشرح والتفسير

ترشد هذه الآيات إلى أديين من الآداب الشرعية ، وخلقين عظيمين
من الأخلاق الطاهرة الزكية :

أولاً — ألاّ يتتبع الإنسان ما لا يعلمه ، فلا يقول : رأيت ، والحال
أنه لم ير ، وسمعت ، والحال أنه لم يسمع ، وعلمت ، والحال أنه لم يعلم ،
وهكذا

لأن الله سبحانه وتعالى يسأله عن ذلك كله من أين جاءه العلم بما
رآه وسمعه وعلمه؟

وقد جعل جل شأنه لكل عضو من أعضاء الإنسان وظيفة قائماً
بها وعملاً خاصاً به يسأل عنه لا عن غيره ، فيسأل السمع عما سمعه ،
والبصر عما رآه ، والقلب عما علمه

فإن كان الجواب طبق ما ناط الله به هذه الأعضاء وخلقها لأجله
وكلفها به من الأعمال أثاب صاحبها حيث استعملها في ذلك

وإن كان الجواب غير مطابق للواقع عاقب صاحبها جزاء تقصيره
وعدم استعماله هذه الأعضاء فيما خلقت لأجله

ومعنى سؤال هذه الأعضاء ومخادمتها أن الله سبحانه ينطقها عند
سؤالها ، فتخبر عما فعلته وفعله أصحابها ، وهذا الذي أشار الله تعالى له
بقوله :

(ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك
كان عنه مستولاً)

ثانياً — عدم التجبر والتبخر والتميل في المشية ، فإن ذلك يبغيضه
الله ورسوله ، لأنه نتيجة إعجاب المرء بنفسه ، وهو أخبث سراير
القلوب ، وأعظم كباثر القلوب ، ودليل جهل المرء بمقدار نفسه ، وعماه
عن عيب نفسه ، حيث رأى قبيحه حسناً ، وخطأه صواباً ، فأوجب
لنفسه حقاً لم يستوجبه ، ورأى لها فضلاً لم تستحقه ، ولو أنه تبصر في

عيوب نفسه قليلاً وتأمل فيما هو عليه من المثالب والمعائب لاستنكف
بما عليه نفسه من الزهو والمعجب الذي حملها على هذه المشية التي يبغضها
الله ورسوله ، كما قال مطرف بن عبد الله المهلب بن أبي حفص عندما
نظر إليه وعليه حلة يسحبها ويمشي الخيلاء : يا أبا عبد الله ما هذه المشية
التي يبغضها الله ورسوله ؟

فقال له المهلب : أما تعرفني ؟

قال : أعرفك ، أولك نطفة مذرة (أى فاسدة) وآخرك جيفة
قدرة ، وحشوك فيما بين ذلك بول وعضرة (غائط)

فعلام الإنسان يتكبر وقد عرف مبدأه ومنتهاه ؟

ولذا يقول الله تعالى توبيخاً للمعجب بنفسه المتبختر في مشيته :

(إنك لن تحرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولاً)

أى لن تنقب الأرض حتى تبلغ آخرها بمشيتك متكبراً ، ولن تبلغ
الجبال طولاً بمايلك وفخرك وإعجابك بنفسك ، بل قد يجازى فاعل
ذلك بنقيض قصده ، كما أخبر جل شأنه عن قارون أنه خرج على قومه
في زينته فحسف الله به وبداره الأرض

ثم بين جل شأنه أن هذا الذي ذكر من الإعجاب والتبختر في

الشيء ، وتتبع الإنسان ما ليس له به علم وغيره مما تقدم ذكره ونهى الله
عنه هو قبيح مكروه عند الله تعالى يجب اجتنابه والتباعد عنه بقوله :

(كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروهاً)

فأما — بين لنا عز وجل أوصاف المؤمنين وما هم عليه من
الآداب الفاضلة ، والأخلاق الكاملة ، وحسن معاملتهم مع الله والخلق
ليكون لنا بهم الأسوة الحسنة ، والصلوات المستحسنة ، فقال تعالى :

« وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ
الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ٦٣ وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا ٦٤
وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ
غَرَامًا ٦٥ إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ٦٦ وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ
يَسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ٦٧ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ
مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا
يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ٦٨ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ٦٩ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ
يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ٧٠ وَمَنْ
تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا ٧١ وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ
الرُّزُورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ٧٢ وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا
بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ٧٣ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا

هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ٧٤
أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْعُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا ٧٥
خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ٧٦ « الفرقان »

الشرح والتفسير

ترشد هذه الآيات الكريمات إلى بيان أوصاف المؤمنين وأحوالهم
الدينية والأخروية، وما هم عليه من الأخلاق الزكية والصفات المرضية
وحسن معاملتهم مع الله والخلق، وما أعدده الله لهم من النعيم المقيم في
الآخرة، جزاء انصافهم بهذه الأوصاف الكريمة وتخلفهم بهذه الأخلاق
الحميدة

فمن هذه الصفات المرضية والأخلاق الزكية أن يكونوا في مشيتهم على
أحسن ما يكون من السكينة والوقار، وهذا الذي أشار الله تعالى
إليه بقوله :

(وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا) أي بسكينة
وتؤدة ووقار

ومنها أن يصابوا الناس ويعاملوهم ويحسنوا المعاملة معهم فإذا سفه
عليهم أحد منهم أو خاطبهم بما لا يليق قابله باللطف وعاملوه بالجميل
وتبرءوا منه ومن محآ كآه فيما يسفه به وهذا ما أشار الله تعالى إليه بقوله :

(وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً) أى سلامة وبراءة منكم وتركاً
للكم ولما تسفهون به ، حتى بذلك يسهلون من الوقوع في الإثم مثل
أولئك الجاهلين

ومنها أن يحسنوا المعاملة مع الله عز وجل بدوام ذكره وطاعته
وعبادته وشدة مراقبته ، فيبيتوا له تعالى ساجدين قائمين ذا كرين داعين
يقولون : (ربنا اصرف عنا عذاب جهنم إن عذابها كان غراماً) أى ملازماً
دائماً لأن بياتهم كذلك مما يوجب تنزل الرحمة والرضوان بهم ، لأن
الليل أجمع للفكر وأهدأ للبال وأسكن للخاطر وأبعد للذهن من إحاطة
الشواغل به ، فكل ذلك من أمارات القبول وإجابة الدعاء ،
وهذا ما أفاده الله تعالى بقوله :

(والذين يبيتون لربهم سجداً وقياماً ، والذين يقولون ربنا اصرف
عنا عذاب جهنم إن عذابها كان غراماً ، إنها ساءت مستقراً ومقاماً)
أى إنها بثست المنزل منظراً ، وبئس المقيلاً مقاماً
ومنها أن يدبروا أمر معاشهم فيحافظوا على أموالهم ولا يصرفوها
إلا في وجوه البر والخير

وقد بين الله جل شأنه الكيفية التي يتصرفون بها في أموالهم فقال :
(والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً)
أى لا يكونون مبذرين في إنفاقهم فيصرفون فوق الحاجة ، ولا
بخلاء فيمنعون أنفسهم وأهلهم وأصحاب الحقوق في هذه الأموال من

التمتع بها مع ادخارهم لها في غير منفعة ولا فائدة تعود عليهم منها ، وهذا منه جل شأنه من أكبر الحكم والتعبيرات الإلهية التي من الله على عباده المؤمنين بإرشادهم لها

ومنها أن يخلصوا في الإيمان لله تعالى وحده ، فلا يشركوا معه غيره في العبادة ، وأن يأتمروا بأوامره وينتهوا بنواهيه ، فلا يقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ، أى بسبب يسوغه ، وهو ثلاثة أشياء : زنا بغير إحصان ، وكفر بعد إيمان ، وقتل نفس بغير نفس ، ولا يتعدون على أعراض غيرهم ، وهذا ما أفاده الله تعالى بقوله :

(والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون)

ثم أشار جل شأنه إلى بيان جزاء من لم يأتمر بأوامره ولم يقف عند حدوده ونواهيه ، فقال : (ومن يفعل ذلك يلق أثاماً) أى عقاباً (يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهاناً) أى ذليلاً حقيراً ، جزاء مخالفته لأمر الله تعالى وارتكابه ما نهى عنه

ثم استثنى من هؤلاء من تاب إلى الله تعالى ، ورجع عما كان يفعل :
وندم على ما حصل منه ، فإن هؤلاء يتوب الله عليهم ويمحو عنهم ما كانوا عملوه من المعاصي ، ويثبت لهم مكانها طاعات
وهذا التبديل في الدنيا فيبدل الله لهم إيماناً مكان الشرك ، وإخلاصاً مكان الشرك ، وإحصاناً مكان الفجور ، وهذا معنى قوله تعالى :

(إلا من تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفوراً رحيماً ، ومن تاب وعمل صالحاً فإنه يتوب إلى الله متاباً)

ومنها ألا يحضروا مواطن اللهو واللعب ، وإذا مروا بالاتفاق من غير قصد إلى محل تعمل فيه الأعمال السافلة ، مما ينبغي أن تلتفى وتطرح أعرضوا عنها ولم يلتفتوا إليها ، وزهوا أنفسهم عن الوقوف فيها وهذا ما أفاده الله تعالى بقوله :

(والذين لا يشهدون الزور وإذا مروا باللغو مروا كراماً)
أى لا يحضرون الزور واللغو ، وإذا مروا باللغو (أى الكلام الفاحش) مروا مكرمين أنفسهم عن الوقوف عليه وانحوض فيه ومنها أنهم إذا وعظوا بآيات الله تعالى وذكروا بما فيها من المواعظ والحكم لقي منهم ذلك الوعظ صدرأ رحباً وأذناً تسمع وقلباً يتدبر ويفهم وجوارح تنقاد وتعمل ، وهذا ما أفاده الله تعالى بقوله :

(والذين إذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما وعمياناً)
أى لم يسقطوا ولم يقعوا عليها صما عن فهمها ، عماياناً عن التقدير فيها

ومنها ألا يقصدوا بقضاء شهواتهم مجرد التلذذ ؛ بل يقصدون أن يخرج من صلبهم ذكور يطيعون الله سبحانه وتعالى ويعبدونه حق عبادته ويدعون الله بذلك لعله يجيب دعاءهم كما يدعوهم بأن يرشدوا عباده ويهدونهم إلى ما فيه خيرهم وصلاتهم

وهذا ما أفاده الله تعالى بقوله :

(والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرّة أعين واجعلنا للمتقين إماماً) أى أئمة يقتدى بنا فى الخير وهداة مهتدين دعاة إلى الخير

ولما ذكر جل شأنه من أوصاف عباده المؤمنين ما ذكر من الصفات الجميلة، والأقوال والأفعال الجليلة ، بين بعد ذلك جزاءهم على اتصافهم بهذه الأوصاف وتخلقهم بهذه الأخلاق فقال :

(أولئك يجزون الغرفة بما صبروا وبلقون فيها تحيةً وسلاماً خالدين فيها حسنت مستقراً ومقاماً)

أى أولئك المتصفون بهذه الأوصاف يجزون الغرفة (أى الجنة) بسبب ما صبروا على مشاق التكليف والطاعات، ورفض الأهواء واللذات وبلقون فيها أى فى الجنة تحيةً وسلاماً ، أى يبتدرون فيها بالتحية والإكرام ، وبلقون التوقير والاحترام ، من الملائكة الذين يدخلون عليهم من كل باب ويقولون لهم : سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار خالدين فيها لا يموتون ولا يزولون، حسنت مستقراً ومقاماً، أى حسنت منظرًا وطابت مقيلًا ومنزلًا

الأحاديث النبوية

١ - حديث في النهي عن الكبر والعجب

عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(مَنْ جَرَّ ثَوْبَهُ مَخِيلَةً لَمْ يَنْظُرِ اللَّهُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)

« رواه البخارى »

الشرح

أحل الله سبحانه وتعالى لنا الطيبات من الرزق من ما كل ومشرب وملبس لنتمتع بها في غير معصية ولا طغيان ، ومن شر المعاصي الكبر والإعجاب ؛ لأن الكبر يسلب الفضائل ، ويكسب الرذائل ، ويباعد بين المؤمن وبين التواضع ، وهو رأس أخلاق المتقين ، ويورث الحقد والغضب والإزدراء بالناس واغتيابهم ، ويجافى بين المرء وبين الصدق وكظم الغيظ وقبول النصح ، والوقوف على ما يكون فيه من عيب ، واستفادة العلم ، والانقياد للحق ، ومنشأ ذلك استحقاره واستصغاراه ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (الكبر بطل الحق ، ونمض الخلق) أى رد الحق والمهارة فيه ، وازدراء الناس وللكبر أسباب كثيرة : منها العلم ، وما أسرع الكبر إلى العلماء

فلا يلبث أحدهم أن يستشعر في نفسه كمال العلم فيستعظم نفسه ويستحقر
الناس ويستجهلهم ، وذلك بأن ما هو عليه ليس بعلم حقيقي ، لأن العلم
الحقيقي ما يعرف العبد ربه ونفسه وخطر أمره ، وهذا يورث الخشية
والتواضع

قال تعالى : (إنما يخشى الله من عباده العلماء) أو بأنه سيء التحيز
خبث الدخيلة ، فلا يزيد العلم إلا خبثاً وسوءاً

ومنها الحسب والنسب ، فيتكبر من يعرف له علو نسب على من
دونه ، وربما يأنف مخالطة الناس ومجالستهم ، ويجرى على لسانه التفاخر
بنسبه ، ولقد روى أن أبا ذر رضى الله عنه قال :

لقيت رجلاً عند النبي صلى الله عليه وسلم فقلت له : يا ابن السوداء
ففضب النبي صلى الله عليه وسلم وقال : يا أبا ذر ليس لابن البيضاء على
ابن السوداء فضل)

ومنها المال والقوة والأتباع والعشيرة

ففي هذا الحديث يبين لنا الرسول سبباً من أسباب الخيلاء والعجب
وهو جر الثوب وإطالته من الرجل أو المرأة ، ولو كان اللبس مع
التشمير ؛ لأنه يضر بالنفس في الدنيا ، حيث يكسب المقت من الناس
وإضاعة المال ، وفي الآخرة حيث يكسب سوء الجزاء

أما من قصد إظهار نعمة الله عليه شاكراً عليها غير محتقر لمن ليس
مثله ، فلا يضره ما ليس من المباحات

قال عليه السلام : (كلوا واشربوا والبسوا وتصدقوا في غير
إسراف ولا مخيلة)

وقال ابن عباس : كل ما شئت والبس ما شئت ، ما أخطأتك
اثنتان : سرف ومخيلة

ولا شك أن ما هو في حكم جر الثوب إطالة الأكام وتوسيعها عن
المعتاد ، وقدر بعضهم المذمومة بما نزل من الكعبين إلا إذا كان لمداراة
عيب أو عاهة فلا بأس بها

وقيل بكرأيتها لما روى من أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أبصر
رجلاً قد أسبل إزاره فقال : ارفع إزارك . فقال : إني أخف (معوج
الرجل إلى الداخل) تصطك ركبتي ، فقال : ارفع إزارك ، فكل
خلق الله حسن ؛ ولأنها تدعو إلى الخيلاء ، وتعلق النجاسات بالثوب
فعليك أيها المؤمن بالتواضع تردد رفعة ، وبالعامل بآداب الدين
تردد من الله قرباً ومحبة ، وتذكر مبدأك وهو نطفة مذرة ، ومنتهاك وهو
جيفة قذرة ، فإنك إن عرفت ذلك لم تأخذك العزة في غير الحق ، ولا
تتعاظم على إخوانك المؤمنين

وإذا ذكرت لله عليك فضلاً ونعمةً فاذا كرر أن لذلك نهاية ومتحولاً
فإياك والبطر والخيلاء فإنها ممحقة للبركة ، مذهبة للنعمة ، تأكل
الحسنات كما تأكل النار الحطب

وقال صلى الله عليه وسلم في ذم الكبر والإعجاب :
(لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ ذَرَّةٌ مِنْ كِبَرٍ)

« رواه مسلم والترمذى »

وقال أيضاً : (إِنْ اللَّهُ أَوْصَى أَنْ تَوَاضَعُوا حَتَّى لَا يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَى
أَحَدٍ وَلَا يَبْغِيَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ) « رواه مسلم وأبو داود »
وقال أيضاً : (ثَلَاثٌ مُهْلِكَاتٌ : شُحُّ مَطَاعٍ ، وَهَوَى مُتَّبَعٍ ،
وَإِعْجَابُ الْمَرْءِ بِنَفْسِهِ)

٢ - حديث فى الحث على القناعة بالرزق والنظر لمن هو أسفل

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم :

(أَنْظَرُوا إِلَى مَنْ هُوَ أَسْفَلُ مِنْكُمْ وَلَا تَنْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ
فَوْقَكُمْ فَهُوَ أَجْدَرُ أَلَّا تَزْدَرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ)

« رواه مسلم »

ولفظ البخارى (إِذَا نَظَرَ أَحَدُكُمْ إِلَى مَنْ فَضَّلَ عَلَيْهِ فِي الْمَالِ
وَالْخَلْقِ فَلْيَنْظُرْ إِلَى مَنْ هُوَ أَسْفَلُ مِنْهُ يَمِّنُ فَضْلَ عَلَيْهِ)

الشرح

رضا المرء بما ناله من متاع هذه الحياة الدنيا أساس السعادة فيها، والرضا يدعو إلى شكر الله على ما وهب قليلاً كان أو كثيراً ، وفقد هذا الرضا مؤلم للنفس، موقع لها في الهم والحزن ، مذك فيها نار الحسد فالنفس التي لا ترضى شقية في هذه الحياة، ولن تكون يوماً سعيدة مهما حصلت من أغراض هذه الحياة فإنها كلما بلغت درجة تعودتها حمتها وتطلعت إلى غيرها فلم ترض بحالها فتتألم وقد أرشدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث إلى الطريق الذي يورثنا القناعة ، وعملاً نفوسنا بالرضا، ويعرفنا نعم الله علينا لنقوم بشكرها الواجب فيزيدنا من نعمه ، ذلك الطريق أن ننظر إلى من هو دوننا في أغراض الحياة الدنيا دون من هو فوقنا فيها ؛ لأن ذلك يدعو إلى الاعتراف بنعمة الله علينا وإكبارها والشكر عليها ، لا احتقارها والاستهانة بها

وما من حال للمرء إلا وفي الناس من هو دونه فيها ، كما فيهم من هو أعلى منه فيها، فالعاقل ينظر إلى المبتلى بالأسقام وينتقل إلى ما فضل به عليه من العافية ، التي هي أساس التمتع بطيبات الحياة ، وينظر إلى من خلقه نقص من عمى أو صمم أو بكم أو تشويه في الشكل ويزن ذلك بسلامته من هذه العاهات وأشباهاها

وينظر إلى من ابتلى بالدنيا وجمعها مع إهماله القيام بحق الله فيها ويعلم أنه قد رجحه بالإقلال وبقلة التبعة في الأموال وبسلامة دينه وينظر إلى من بلى بالفقر المدقع، والدين الثقيل، وينتقل إلى سلامته منهما، وهكذا يزن حاله بأحوال من دونه، فيرى تفضيل الله إياه على كثير من خلقه، ويستعظم نعم الله عليه فيلهج بشكركه، ويمجد في عبادته ويرضى ببعيشته، فيسعد في أولاه وآخرته

أما إذا قصر نظره على من علاه فهناك الحسد والغم، وهنالك ازدياء النعم، وهنالك التقصير في شكر الله، والولوع بغاية الغايات من وسائل هذه الحياة وستنفد حياته دونها

أما النظر إلى من فوّه في العلم والخلق والأعمال الطيبة ووسائل الشرف والعزة، فهو نظر محمود يدعو إلى الترقى في معارج السكّال، وذلك خليق بكل إنسان ينبغي مجدداً في دنياه، ونعيماً في أخراه

وفي هذا المعنى قول الشاعر :

من رام عيشاً رغيداً يستفيد به في دينه ثم في دنياه إقبالا
فلينظرن إلى من فوّه أدباً ولينظرن إلى من تحته مالا

٣ - حديث في ترك الإنسان ما لا يهيمه من الأمور

(مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْعَرَّةِ تَرَهُ كُهُ مَالًا يَعْنِيهِ)

« عن أبي هريرة »

المعنى

إن المرء يكون مسلماً حسن الإسلام إذا ترك ما لا يهيمه من الأمور، ولم يتعلق بما لا شأن له به في دينه ومعاشه، فلا يتداخل في أمور الناس

هذا ولا يحسن بالإنسان أن يكون همته حيوانية ، وإن كان هو حيواناً ، ولا إنسية فقط وإن كان إنساناً ؛ بل ينبغي أن يقصد بجميع قواه أن يحيا حياة طيبة ، ويعيش عيشة راضيةً ، فيتتبع أحوال نفسه حتى إذا رآها جائحة إلى السيئات زجرها

ثم يحاسبها كل ليلة قبل النوم ، وينظر ما اكتسب في نهاره من حسنة فيشكر الله عليها ، وما ارتكب من سيئة فيستغفره منها ، ويعزم بتأناً على عدم العود إليها ، ويرتب في نفسه ما يصنعه في غده من الحسنات ، ويسأل الله تعالى الإعانة على تكميمه ، والابتعاد عن المنكرات

فلا يلبث إن هو سلك بنفسه ذلك المهج القويم أن يرتدع عن
المساوى شيئاً فشيئاً ، ويتدرب على الآداب ومكارم الأخلاق حتى
يصبح كثير الحياء ، عظيم الوفاء ، يحب في الله ، ويبغض في الله ،
ويغضب في الله

٩ - آداب المعاشرة والمعاملة

مع جميع الناس

هي أن يحسن معاشرتهم ومخالطتهم ، وأن يعاملهم برفق ولين ويخفض جناحه للكبير والصغير ، ولا يخاطب أحداً من الناس بغلظة ولا يتكبر ولا يتعاضم على أحد منهم ؛ بل يستجلب محبتهم بمكارم أخلاقه وحسن معاملته ، ولطف حديثه وجميل صنيعه ، ولا يكثر المكر والخصومة معهم ، وأن يتندر من يعرف ومن لا يعرف بالتحية ، وإذا حياه غيره بتحية ردها بعينها أو بأحسن منها ، وأن يلقي غيره بالبشاشة والبشر وطيب الكلام وحسن الأخلاق والأدب ، وألا يسفه عليهم ويؤذيهم بقول أو فعل ، وأن يعفو عن مذنبهم ، ويصفح عن تائبهم ، ويتودد إليهم بكل أنواع التودد ، وألا يعد أحداً منهم بوعده إلا يفي به ، وأن يكرم حديث أخيه بالإفصاح إليه ، وحسن الإقبال عليه ، وأن يقوم لمن فوجه ويوسع له في المكان ويجلس بين يديه بغاية الأدب والسكون والوقار ، وألا يمتخط ولا يتنأب بحضرة من هو أكبر منه سناً أو فضلاً ، وإذا اضطر إلى ذلك حول وجهه وامتخط في مندبل ، أو وضع على فمه مندبلاً ، وألا يضع رجلاً على رجل بحضرة من هو أكبر منه من قريب أجنبي إلى غير ذلك من الأخلاق الفاضلة ، والصفات الكاملة

وقد جاء القرآن الكريم مبيناً لهذه الآداب على أحسن وجه وأكمل مرشد إلى ما يجب التخلق به ، ويلزم استعماله في معاملة الخلق في كل ما يجلب رضاهم ومحبتهم ، فتتحد كلمتهم ، وتتألف جامعتهم ، ويسعون لأنفسهم فيما يجلب لهم الخير ، ويدفع عنهم الشر والضير فمن ذلك ما حث الله سبحانه وتعالى عليه من مقابلة الإساءة بالإحسان ، والذنب بالغفران ، والغضب بالحلم ، والغيظ بالكظم ، مع بيان الثمرة المترتبة على ذلك وفضل من انصف بهذه الأخلاق الحميدة ، فقال تعالى :

« وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ، وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ » « فصلت ٣٣ »

الشرح والتفسير

ترشد هاتان الآيتان الكريمتان إلى بيان ما أمر الله به عباده المؤمنين من حسن المعاملة مع صنوف الخلق ، الصغير منهم والكبير ، فإن أغضبهم أحد صبروا ، وإن جهل عليهم حلوا ، وإن أساء إليهم عفوا عنه ، وإن أذنب في حقهم ذنباً غفروه ، وأغفوا عما حصل منه من الهفوات ، وتجاوزوا عما صدر منه من الغلطات ، فإن فعلوا ذلك صار العدو لهم صديقاً ، والبعيد عنهم قريباً ، والمبغض لهم حبيباً ، وهذا ما أفاده الله تعالى بقوله :

(ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن ، فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم)

أى إن الحسنة والسيئة متفاوتتان في ذاتهما ، فخذ بالحسنة التي هي أحسن من أختها وادفع بها السيئة التي تعرض عليك من بعض أعدائك كما لو أساء إليك رجل إساءة ، فالحسنة أن تغفو عنه ، والتي هي أحسن منها أن تحسن إليه مكان إساءته إليك . مثل أن يذمك فتمدحه ، أو يشتمك فتعطيه جائزة ، فإنك إن فعلت ذلك وأحسنت إليه من حيث أساء إليك ، قاده إحسانك إلى مصافاتك ومحبتك ، والحنو عليك حتى يصير كأنه ولي حميم ، أى قريب إليك من الشفقة عليك

ثم أشار جل شأنه بمد أن أوصى عباده المؤمنين بحسن المعاملة ومقابلة الإساءة بالإحسان ، وبين الثمرة المترتبة على ذلك ، وأخذ يمدح من عمل بهذه الوصية وحافظ على هذه المزية فقال :

(وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم)

أى وما يقبل هذه الوصية ولا يعمل بها إلا من اتصف بالصبر وثبات القلب وقوة العزيمة ، لأنها من الأمور الشاقة على النفس التي لا يحتملها إلا من كانت هذه حالته ، وذو نصيب وافر من السعادة في الدنيا والآخرة

وعلم الله نبيه صلى الله عليه وسلم محاسن الآداب ومكارم الأخلاق وحسن المعاملة مع صنوف الخلق سواء المطيع منهم والعاصي فقال :

« وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ
إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ » « الشعراء ٢١٥ »

الشرح والتفسير

ترشد هذه الآية الكريمة إلى بيان ما أرشد الله إليه نبيه عليه الصلاة والسلام عن كيفية معاملته لمن اتبعه من المؤمنين ومن عصاه منهم فقد أمره أن يلين جانبه ، ويتواضع للمؤمنين ؛ لأن ذلك أدعى إلى اجتماع كلمتهم ومحبتهم له ، وقيامهم بكل ما يرضيه ، وبذلهم النفس والنفيس في سبيل تنفيذ رغبته ، وسعيهم في إعلاء كلمته ، ونصرته على أعدائه وهذه الآية - وإن كان المأمور فيها بخفض الجناح واستعمال اللين والالطف وحسن المعاملة والمجاملة هو رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إلا أن الأمر يسرى لأئمة وأتباعه بطريق التبع ، لأن كل أمر له أمر لأئمة ما لم يرد نص مخصوص

وعليه فيجب على كل مؤمن أن يعامل جميع الناس بالرفق واللين والتواضع ، وأن يستجلب محبتهم إليه بمكارم أخلاقه وحسن معاملته ولطف صنعه ، سواء المحسن منهم والمسيء فإن ذلك أدعى لمعاونتهم له وقت الحاجة ، وإغااثهم له وقت الشدة ، ونصرته وقت الحرج والضيق

وقال جل ثناؤه يعلمنا حسن معاملة بعضنا بعضاً ويرشدنا إلى أهم أسباب المودة والمحبة من التحية وحسن السلام :

« وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ
كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا »
« النساء ٨٥ »

الشرح والتفسير

يقول الله تعالى إرشاداً لعباده المؤمنين ، وتعليةً لأمة نبيه محمد
صلى الله عليه وسلم :

(وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا)

أى إذا سلم عليكم المسلم فردوا عليه بأفضل مما سلم عليكم ، فإن قال
لكم : السلام عليكم ، فقولوا له : وعليكم السلام ورحمة الله ، وإن قال
لكم : السلام عليكم ورحمة الله ، فقولوا له : وعليكم السلام ورحمة الله
وبركاته ، وليس فى السلام زيادة على ذلك ، أو ردوا عليه بمثل ما سلم عليكم
واقصروا على مثل اللفظ الذى جاء به

وقوله تعالى : (إن الله كان على كل شىء حسيباً) أى يحاسبكم على
كل شىء من أعمالكم ، ويدخل فى ذلك ما أمروا به من رد التحية

ومن الآداب التى أدب الله بها عباده عدم السخرية بالناس ، وترك
اللمز والتناز بالآلقاب ، وسوء الظن بالناس ، والتجسس والغيبة ، فقال
تعالى :

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرَكُم مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءً مِّن نِّسَاءِ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ ، وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ »

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنْ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ »

« الحجرات »

الشرح والتفسير

ترشد هاتان الآيتان الكريمتان إلى ما علمنا الله من الصفات الحسنة والأخلاق المستحسنة وهي :

- ١ - الأ يسخر أحد بأحد ويستخف به ويستحقره
- ٢ - والأ يعيب أحد على أحد بشيء يكرهه
- ٣ - والأ يدعو أحد أخاه بلقب يكرهه
- ٤ - والأ يسىء ظنه بأحد من إخوانه المؤمنين
- ٥ - والأ يبحث ويفتش عن عورات المسلمين ومعايهم ويستكشف ما ستروه

٦ - وألا يذكر أحد أخاه بما يكرهه في غيبته

فإن ذلك كله مما نهى الله عنه، ورغب في التباعد منه

١ - فنهى الله عن السخرية بالناس، والاستخفاف بهم بقوله :

(يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً

منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيراً منهن)

أي لا يصح أن يستهزئ أحد بأحد، ولا يحقره، ولا يستخف به

سواء أكان من الرجال أم النساء لمجرد أن رآه رث الهيئة أوفقيراً أو ذاعاهة

في بدنه أو غير ذلك؛ لأنه ربما كان المسخور منه عند الله خيراً من الساخر

فيكون الساخر قد ظلم نفسه بتحقيقه من وقره الله تعالى

والسخرية إنما تحرم إذا كانت في حق من يتأذى بها ؛ أما من

جعل نفسه سخرية ، وربما فرح بها كما يفعل السفلة من الناس ، كانت

السخرية في حقه من جملة المزح وليس بمحرم

٢ - ونهى الله عن أن يعيب أحد غيره بقوله : (ولا تلمزوا أنفسكم)

أي لا يعيب بعضكم بعضاً بقول أو بفعل أو بإشارة ؛ لأن المؤمنين

كنفس واحدة فمتى عاب المؤمن المؤمن فكأنما عاب نفسه

وهذا أدب كبير أدب الله به عباده المؤمنين ليكون سبباً في أفهمهم

وإتحادهم وارتباط قلوبهم بعضها ببعض

٣ - ونهى الله عن أن يدعو أحد أخاه بقلب يكرهه بقوله :

(ولا تتابروا بالألقاب) لأن ذلك يزرع في القلوب الضغينة ويمكن

فيها الحقد والبغض ، وهو مما أمر الشرع الشريف بإزالته ، ولذا سمي
جل شأنه التنايز بالألقاب الذي هو داعية الحقد والبغض فسقاً ، وذمه
بقوله :

(بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون)

٤ - ونهى عن كثير من سوء الظن بالناس بقوله :

(يأيتها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم)

والمراد بالظن المنهى عنه مجرد التهمة التي لا سبب لها

ويشترط في حرمة هذا أن يكون المظنون به ممن شوهد منهم التستر

وعهد فيهم الصلاح والأمانة

أما من يتعاطى الرب ويجاهر بالفجور والمنكرات كاللدخول

والخروج إلى حوانيت الخمر وصحبة الغواني الفاجرات فلا يحرم

سوء الظن فيه

٥ - نهى الله عن البحث والتفتيش عن عيوب الناس وعوراتهم بقوله :

(ولا تجسسوا) أي لا تبحثوا عن عورات المسلمين ، ولا تستكشفوا

ما ستروه ، فإن ذلك فضيحة لهم وتعرض لما لا يعني ولا يفيد

٦ - ونهى عن أن يذكر أحد أخاه بما يكرهه في غيبته بقوله :

(ولا يغتب بعضكم بعضاً أي يحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً

فكرهتموه)

أي لا يذكر بعضكم بعضاً بما يكرهه في غيبته سواء أكان باللسان

أم بالفعل أو بالإشارة أو بالكتابة أو غير ذلك مما يفيد المقصود ويفهم نقصان الغير وتعريفه بما يكره ، فإن علة النهي عن الغيبة الابتداء بتفهم الغير نقصان المغتاب وهو موجود حيث أفهم الغير ما يكرهه المغتاب بأي وجه كان من طرق الافهام

وسواءً كان ذلك الشيء المسكروه الذي يذكره به نقصاً في بدنه أم نسبه أو في فعله أو في قوله أو في دينه أو في دنياه ، حتى في ثوبه وداره وماله وولده وزوجه ومملوكه وخادمه وغير ذلك من كل ما يتعلق به فذلك كله مما كرهه الله ونهى عنه حتى جعل المغتاب كأنه يأكل لحم أخيه ميتاً ، ذلك الأمر المستبشع طبعاً وعقلاً وشرعاً

ومحل حرمة الغيبة إذا لم يكن المغتاب مجاهرًا بالمعاصي ، منتهكاً لا يبالي بما يفعل ، فإن الغيبة في مثله جائزة ، وذلك لأن الذي يعلن بالفجور والفسوق، ولا يستحي من عصيان الخالق، ولا يستتر عن المخلوق فيما يأتي من الكبرياء، ويظهر من الفضائح والمناكر ، قد كشف أستاره وأبدى عواره ، فخرج من حد الظن إلى حد اليقين ، فمثل ذلك ليس هو المقصود من النهي ، وقيل : لا غيبة في فاسق

وبعد أن أمر جل شأنه بترك هذه المنهيات حث على التقوى فقال :

(واتقوا الله) ثم علم الأمر بالتقوى بقوله :

(إن الله تواب رحيم) أي كثير التوبة لمن اتقاه واجتنب ما نهى

عنه وتاب مما فرط منه

وقال تبارك وتعالى يعلم نبيه صلى الله عليه وسلم لطف المعاملة وحسن المصانعة مع اليتامى الأذلاء والفقراء الضعفاء :

« فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ

« الضحى »

فَحَدِّثْ »

الشرح والتفسير

يؤخذ من هذه الآية الكريمة وجوب حسن معاملة اليتيم ، وهو الذى فقد أباه وهو صغير ، والسائل الذى ألبسته الحاجة والفاقة إلى ذل السؤال، وتكفف الناس

فحسن المعاملة مع اليتيم ألا يقهره ولا يفضبه ، وألا يأخذ منه حقاً هو له ، وأن يكون له كالأب الرحيم للولد البسار ، فيسمى فى تمام ماله إن كان له مال ، وفى تعليمه وتربيته ، ويحسن كفالاته فلا يذله ولا ينهره ولا يهينه ، ولا يفعل به أمراً يكدره ، أو يحصل له منه ضرر

وحسن المعاملة مع السائل تكون إما بالإجابة عما سأل والنصح له مع عدم التكبر والتجبر والفضح فى القول ، وإظهار الفضل عليه إن كان سائلاً عن علم ، وإما بإعطائه سؤاله أو رده بلطف ولين ، وتعطف به إن كان محتاجاً ، يسأل ما يسد به رمقه ؛ لأنه لا يصح مع ذل السؤال الذى اضطرتة إليه الفاقة أن تكون معه الفظاظة والكبر والغلظة من المسئول ، فإن ذلك من قلة المروءة وخسة الطمع ما لا يخفى

وقد حث الله على الاتحاد والألفة والإخاء ، وما يترتب عليهما من
المودة والولاء ، فقال تعالى :

« وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ
عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا
وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ
لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ »
« آل عمران ١٠٣ »

الشرح والتفسير

ترشد هذه الآية الكريمة إلى فضل الاتحاد، وعظيم المنة به على العباد
وما تفضل به الله عليهم من عظيم المنة ، وجزيل النعمة ، إذ جمع
قلوبهم بعد الشتات ، ووحّد كلمتهم بعد الافتراق ، ومنحهم التحاب
والتواد ، بعد التباغض والتحاسد ، وصاروا إخواناً أحياناً ، بعد أن كانوا
خصوصاً ألداء ، وذكّرهم بجليل آلائه ، وجزيل نعمائه ، ليشكروه على
ما تفضل به وتكرّم ، وأحسن وأنعم

وقد أمرهم جل شأنه بالاعتصام بحبله المتين ، والتمسك بدينه القويم
والعمل بما فيه ، والنزول عند حكمه ، والاجتماع على نصرته ، والذب
عن حوزته ، والتفاني في إعلاء حكمته ، ونهاهم عن التفرق فيه ، وعدم
الائتلاف والسمي فما يجلب الشقاق والاختلاف ، فقال : (واعتصموا

يجبل الله جميعاً ولا تفرقوا) أى تمسكوا بدينه واعملوا بما فيه مجتمعين على ذلك ، ولا تفرقوا عن الحق الذى أمرتم بالاعتصام به .

ثم أخذ جل شأنه يذكرهم نعمته عليهم بأنهم كانوا أعداء مختلفين يقتل بعضهم بعضاً لا يهنأ لهم عيش ، ولا تصفو لهم حياة ، فألف بين قلوبهم فصاروا بعد هذه الأفعال الشنيعة ، والأعمال القبيحة ، إخواناً أحباء ، مجتمعين مؤتلفين متحابين يساعد بعضهم بعضاً ، ويود أحدهم لأخيه ما يود لنفسه فقال : (واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً)

وهذا الخطاب للأَنْصار رضوان الله عليهم ، وذلك أنه كان بينهم حروب كثيرة فى الجاهلية ، وعداوة شديدة وضغائن وأحقاد طال بسببها قتالهم ، ولم يكن بينهم وبين الوقوع فى النار إلا أن يموتوا كفاراً . فلما جاء الإسلام ودخل فيه من دخل منهم صاروا إخواناً متحابين متواصلين متعاونين ، يحب أحدهم لأخيه ما يحب لنفسه ، وذلك من أكبر النعم ، وأعظم المنن

ولذا أمرهم جل شأنه بتذكرها ليكون ذلك داعياً لشكره على إحسانه

إليهم

وهذا ما أفاده الله تعالى بقوله : (وكنتم على شفا حفرة من النار

فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون)

وقال جل ثناؤه في بيان أن التنازع والتفرق في الكلمة والرأى
يسبب الضعف والخذلان، والفشل في جميع الأزمان:

« وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَأَصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ
الصَّابِرِينَ » « الأنفال ٤٦ »

الشرح والتفسير

ترشد هذه الآية الكريمة إلى ما نهى الله عنه عباده المؤمنين عند
مقاتلة الأعداء من التنازع والاختلاف في الكلمة والرأى ، مبيناً لهم
المضار التي تنتج عن ذلك من الفشل والخذلان ، وتمكن العدو من
الوقعة بهم ، والنصر عليهم ، وذلك لأن اختلافهم في الرأى يحل من
عزائمهم ، ويضعف من قوتهم ، ويثبط من هممهم ، فإذا حمل عليهم العدو
قابلوه بقلوب خائرة ، وعزائم فآرة ، وهمم كليلة ، وقوة ضئيلة ، فينال منهم
العدو ما لا يمكن أن يناله مع الاتحاد ، ولأنهم بتنازعهم وتأذلم وضعف
هممهم قد أضافوا إلى العدو قوة بقدر الفتور الذي حصل في عزائمهم
والضعف الذي وجد في قلوبهم ، فبعد أن كانوا إلباً عليه ، صاروا عوناً له
ومن الغريب أنهم أمنوه على أنفسهم

فما أحسن ما أرشد الله إليه عباده من نعمة الاتحاد والائتلاف !
ولما كان عدم التنازع والفشل ليس كافياً في قمع العدو والنصرة
عليه ؛ بل لا بد معه من اصطحاب جميل الصبر ، به الله جل شأنه على
وجوب العمل به ، فقال : (واصبروا إن الله مع الصابرين)
أى معيهم وناصرهم

الأحاديث النبوية

١ — قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ
الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ ، وَالْمُؤْمِنُ مَنْ أَمِنَهُ النَّاسُ عَلَى دِمَائِهِمْ
وَأَمْوَالِهِمْ) « عن أبي هريرة »

المعنى

المسلم الكامل للإسلام من سلم الناس ، أى نجوا من شر لسانه
وأذى يده ، والمؤمن الصادق الإيمان هو الذى يجعل الناس فى أمن
واطمئنان إذا هم آمنوه على دماءهم ، أى أنفسهم وأرواحهم ، وعلى أموالهم
أى ما يملكون ، وفى حديث آخر :

(أَفْضَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِسْلَامًا مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ ،
وَأَفْضَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا) « عن ابن عمر »

٢ — حديث فى الظن والتجسس والتحسس والتحاسد والتدابير

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
(إِنِّي كُمُ وَالظَّنُّ ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ ، وَلَا تَجَسَّسُوا)

وَلَا تَحَسَّسُوا وَلَا تَحَاسَدُوا ، وَلَا تَبَاغَضُوا ، وَلَا تَدَابَرُوا ، وَكُونُوا
عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا ، كَمَا أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى

(الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ ، وَلَا يَخْذُلُهُ ، وَلَا يَحْقِرُهُ ،

بِحَسَبِ أَمْرِهِ مِنْ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى

الْمُسْلِمِ حَرَامٌ : مَالُهُ ، وَدَمُهُ ، وَعَرِضُهُ ، إِنْ اللَّهُ لَا يَنْظُرُ إِلَى

أَجْسَادِكُمْ ، وَلَا إِلَى صُورِكُمْ ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ

وَأَعْمَالِكُمْ ، التَّقْوَى هُنَا ، التَّقْوَى هُنَا - ويشير إلى صدره -)

« رواه البخارى ومسلم »

الشرح

في هذا الحديث الشريف نهى من النبي صلى الله عليه وسلم عن ستة

أشياء ، وأمر بالأخوة ، وبيان لما تقتضيه ، ولما حرم من المسلم على المسلم

ولما ينظر إليه الرب من المرء ، وهاك البيان :

١ - إياكم والظن : الظن هنا التهمة التي لا سبب لها كمن يتهم رجلاً

بالفاحشة من غير أن يظهر عليه أثرها ، فهذا ظن سوء لا مبرر له ، وهو

الذي نهى الله عنه بقوله :

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنْ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ)

ولا يدخل في الظن المحرم الظن بمن أورد نفسه موارد الريب جهرةً
ولا الظن في الأمور المعاشية ، ولا حسن الظن بالله تعالى ، ويدخل فيه
الظن في الالهيات والنبوات فإنه محرم ، والواجب فيها اليقين
وقد استدل بالحديث على منع العمل في الأحكام بالاجتهاد والرأى
لأنه عمل بالظن ، ولكن أجيب عن هذا بأن الظن المحرم ظن مجرد عن
الدليل ، ليس مبنياً على أصل ، ولا تحقيق نظر
وقد وصف الرسول صلى الله عليه وسلم الظن بأنه أ كذب الحديث
واستشكل ذلك من جهتين :

الأولى أن الظن ليس من قبيل الحديث حتى يكون أ كذبه ؛ بل
هو عمل نفسى ، والثانية أن تعمد الكذب الذى لا يستند إلى ظن
أصلاً أشد من الكذب الذى يستند إلى الظن ، فكيف يكون الظن أ كذب
الحديث ؟ والجواب عن الأولى : أن الظن حديث نفسى فيوصف
بالكذب ، إذ لم يطابق الواقع ، أو أن المراد بالظن ما ينشأ عنه من
الكلام

والجواب عن الثانية : أن وصفه بذلك للإشارة إلى أن المراد به
ظن لا يعتمد على شيء ، فهو لا يطابق الواقع ، فكان لذلك كذباً ،
وكان أ كذب الحديث ؛ لأن الاغترار به أ كثر من الكذب المحض
لخفائه فى الأكثر ، ووضوح الكذب المحض ، أو أن وصفه بالأ كذبية

مبالغة في ذمه ؛ لأن الكذب معروف ، وصاحب الظن معتمد بزعمه
على شيء

فكانه في نظره غير قبيح ، فقبحه بوصفه بذلك تنفيراً منه

٣٥٢ - ولا تجسسوا^(١) ، أى ولا تبحثوا على عورات الناس ، ولا

تستمعوا إلى حديث القوم من إخوانكم المؤمنين في أعراض الناس
وقد نهى القرآن عن التجسس ، والمراد المنع من تتبع عورات الناس
والبحث عن حالهم بأى طريق ولنكتفى منهم بالظاهر ، ونكل إلى أمر
الباطن . نعم لو تعين التجسس طريقاً لدرء مفسدة كبيرة ، أو جلب
مصلحة عظيمة لم يكن محرماً ، كما إذا علمنا أن أشخاصاً عزموا على
ارتكاب جريمة قتل أو سرقة مثلاً ، فتجسسنا عليهم لنحول دون وقوع
الجريمة أو لنقبض عليهم ، أو نجسسنا لمعرفة جناة ارتكبوا جريمة ، فإنه
لا حرج في ذلك

٤ - ولا تحاسدوا : أى لا يحسد بعضكم بعضاً ، ويتمنى زوال
مالديه من النعم إليه أو إلى غيره ، مالية كانت أو غيرها ، فإن هذا
ينافي خلق المؤمنين الذين يحبون لغيرهم ما يحبون لأنفسهم
وقد نهى الله عن ذلك التمنى بقوله :

(١) التجسس : تعرف الشيء من طريق الجس ، أى الاختبار باليد ، ويستعمل في
الشر . والتجسس : تعرف الشيء من طريق الحواس ، ويستعمل في الخير

(ولا تتمنوا ما فضل الله به بمضكم على بعض)

وأمرنا بالتمعوز من شر الحاسد في قوله :

(قل أعوذ برب الفلق من شر ما خلق - إلى - ومن شر حاسد إذا حسد)

والحسد مذموم ، وإن لم يقرن بسعى في سلب النعمة عن الغير

نعم لو خطر للإنسان فجاهده ، ولم يمكن له في نفسه يرجى له

الصفح عنه :

(إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم

مبصرون)

٥ - ولا تباغضوا : المراد بذلك تجنب أسباب البغض ؛ لأن البغض

لا يكتسب أبداً ، فكل ما يسبب الكراهة والعداوة محظور على الإنسان

فعله . نعم البغض في الله محمود ؛ لأنه كراهة للشر أن يقع ، ومحبة للعبد

أن يطلع ويتطهر ، وهذا إحساس شريف لا يفارق المؤمن

٦ - ولا تداربوا : المراد بالنهي عن التدارب ترك التقاطع والتهاجر

وقال الإمام مالك في الموطأ : لا أحسب التدارب إلا الإعراض عن

السلام ، يدبر عنه بوجهه ، وهذا نوع منه

٧ - الأمر بالأخوة : أمرنا الرسول صلى الله عليه وسلم بالأخوة في

قوله : (وكونوا عباد الله إخواناً) كما أمركم الله ، أي كونوا كإخوان

النسب في الشفقة والرحمة والمواساة والصحبة ، كما أمر الله في قوله :

(إنما المؤمنون إخوة)

فإنه وإن كان خيراً ، فإنه في معنى الأمر ، والغرض من هذا أن

يكون الشعور بين أفراد المسلمين كالشعور بين أفراد الأسرة الواحدة ،
يسمى كل لمصلحة الآخر ، ودفع الضرر عنه ، فإن رابطة الإيمان فوق
رابطة النسب ، حتى أنه لا طاعة لمخلوق ، وإن كان أباً ، في معصية الخالق
قال الله تعالى : (وإن جاهدك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم
فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفاً)

٨ - ما تقتضيه الأخوة : المسلم أخو المسلم ، لا يظلمه ولا يخذله ،
ولا يحقره بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم
المراد بأخوة المسلم للمسلم توثق العلاقة بينهما توثقاً يستدعي المحبة
والمودة ، والرفق والشفقة ، والملاطفة والمؤانسة ، والتعاون في الخير مع
صفاء القلوب ، وبذل النصيحة

وهذه الأخوة تستدعي نفي الصفات التي بعدها ، فلا ينتقص المسلم
حقوق أخيه ، ولا يخذله إذا دعاه لنصرته في حق ، ولا يستصغره
ويحتقره ، فإن ذلك قاطع للأخوة ، باعث للعداوة ، ويكفي المسلم شراً
ذلك الاحتقار الذي يقطع العلاقات ، ويثير العداوات

٩ - حرمة السلم : كل السلم على المسلم حرام (دمه ، وماله ،
وعرضه) حكمة جامعة في محافظة المسلم على حقوق أخيه ، وعدم تعديه
عليها بغير حق ، فلا يحل لمسلم أن يسفك لأخيه دمًا ، كما قال تعالى :
(وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمناً إلا خطأً) ولا يستلب له مالاً سرقةً

أو انتهاباً ، أو غشاً في المعاملة ، ولا يطعن في أوصافه وأخلاقه ، أو آباؤه وأجداده ، أو من يمتون إليه بسبب ، فهو يصون موضع الكرامة منه ، ويرعى جانب العزة فيه

١٠ — موضع نظر الريب : في الحديث الشريف أن الله لا ينظر إلى الصور والأجساد ؛ ولكن ينظر إلى القلوب والأعمال ، لأنها موضع التقوى

حقيقة ليست قيمة المرء في زيه الحسن ، ولا في صورته الجميلة ولا في جسمه الضخم ؛ ولكن قيمته في أعمال طيبة ، صادرة عن قلوب مخلصه ، فمن صفا قلبه وامتلأ بحشية الله وعظمته ، ومحبة الخير للناس ، وصدرت منه أعمال سالحة ، فصالح بها نفسه وأمرته وأهله ، ورفع بها دينه ، فذلك الرجل الذي يستحق نظر الله ورعايته ورحمته ومثوبته ، وإن كان رث الثياب ، نحيف القوام ، تفتحه الأبصار فالواجب علينا جميعاً أن نعى بتطهير الباطن ، ولنسارع في الخيرات ، وحذار أن تشغلنا العناية بالظاهر عن العناية بالباطن ، فإن ذلك أخذ بالقشور ، وترك للباب ، والله الموفق للخير والصواب

٣ - حديث في مداراة الأشرار

عن عائشة رضی الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :
(إِنْ شَرَّ النَّاسِ عِنْدَ اللَّهِ مَنْزِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ تَرَكَهُ أَوْ وَدَعَهُ
النَّاسُ اتَّقَاءَ شَرِّهِ) « رواه البخاري ومسلم وغيرها »

الشرح

الناس في الآخرة منازل كما كانت أعمالهم في الدنيا منازل (ولكل درجات مما عملوا) فأحسن الناس عملاً أعلاهم درجة ، وأرفعهم منزلة وأسوأهم عملاً أدناهم درجة وأحطهم منزلة ، وبين هذين درجات متفاوتة ومنازل مختلفة بحسب اختلاف الأعمال وتفاوتها

وفي هذا الحديث بين الرسول صلى الله عليه وسلم أن شر الناس منزلة يوم القيامة من تركه الناس وودعوه ، وفارقوه وسالموه ، لأنه لا خير فيه ، ولا منفعة ترجى من ورائه ، بل اتقاء شره ، وحذر ضره وبقية ، فهم لا يأمنون إذا كشفوه بحاله أو نصحوه ليرتدع عن ظلمه ، أو جالسوه أو خالطوه ، أو قابلوا سيئته بالسيئة ، لا يأمنون أن يرميهم بالمقدمات ، ويدبر لهم المكيدات ، التي تضرهم في نفوسهم أو أعراضهم وأموالهم ، أو مناصبهم ومراكزهم ، فهو أفاك أثيم ، مجرم شرير ، لا يتحاشى منكراً ، ولا يجاني مائماً ، أو هو دن من القاذورات ،

إن اقتربت منه أو نبشته هبت عليك رأحتته الخبيثة ، ولو تبتك نجاسته الغليظة .

فالسلامة منه في مجانته ، أو متاركته ومسالته

فهذا أسوأ الناس منزلة يوم القيامة ، لأنه وباء على المجتمع ، وهل منزلته السوأى إلا جهنم ؟ يصلى سميرها وبماني لهيها ، يستظل بيحمومها ، ويشرب من حميمها ، ويطعم من زقومها ، ويتسربل من قطرانها

ومثل هذا ليس من الإسلام في شيء ، فإن المسلم من سلم الناس من لسانه ويده ، وليس من الإيمان في قليل ولا كثير ، فإن المؤمن من أتمته الناس على دماهم وأموالهم ، فإن كان يحمل لقب الإسلام أو الإيمان فهو لقب مكذوب ، ونعت مسروق

٤ - حديث في الحث على المحبة والصدقة في الصحبة

(لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ)

« رواه البخارى ومسلم »

الشرح

آية الإيمان الحق أن يرى الفرد نفسه عضواً في المجتمع ، نفعه نفع لنفسه، وضرره إضرار بها ، فإذا أحس هذا الإحساس الصادق ، وانطبع

(م - ١١)

في نفسه رأى غيره كنفسه ؛ بل رآه نفسه ، فيحب له مثل ما يحب
لنفسه : يحب لنفسه علماً واسعاً ، وخلقاً طيباً ، وعملاً صالحاً ،
ومكاناً عالياً ، وشرفاً سامياً ، يحب لها بيتاً جميلاً ، ومالاً غزيراً ، وضياعاً
واسعاً ، وزوجاً صالحاً ، وبنين شهوداً ، وركوباً ذلولاً ، وأقرباء
مخلصين ، وإخواناً صالحين ، وخداماً طائعين ، فليحب لأخيه ابن أبيه
دناً أو علا كل ذلك

أما أن يحب لنفسه أمراً ولا يحبه لغيره ، ويحسده أو يحقد عليه إن
نال ذلك مناف للإيمان ، بل ذلك بقية من آثار الكفران

وكما يحب لغيره ما يحب لنفسه يبغض له ما يبغض لها ، يبغض
الفقر والذل والاستعباد والانحطاط ، والبلاء في المال أو النفس أو
الأولاد ، وغير ذلك من الأمور المكروهة فليبغض لأخيه ما يبغض
لنفسه وفاءً بحق الإيمان

٥ - حديث في معاونة الإخوان في الدين

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم :

(الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يُسْلِمُهُ ، وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ
أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً فَرَّجَ اللَّهُ

عَنْهُ كُرْبَةٌ مِنْ كُرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ) « أخرجه البخارى ومسلم وغيرهما »

الشرح

المراد باخوة المسلم للمسلم توثق العلاقة بينهما كتوثقهما بين إخوة
النسب توثقاً يترتب عليه المحبة والمودة والمواساة والنصرة ، وجلب كل
خير ، ودفع كل ضرر

ومن مقتضى الأخوة أنه لا يظلمه ولا يُسلمه ، وظلمه انتقاص حقه
في نفسه أو ماله أو عرضه ، طيباً أو فاسقاً ، فالظلم باطلاته محرم ، وقد
نهى عنه القرآن في مواضع كثيرة ، وفيه يقول الرسول صلى الله عليه
وسلم :

(الظلم ظلمات يوم القيامة) رواه الشيخان

وإسلامه خذلانه وتركه لعدوه ينكل به ، أو يقضى عليه
وإذا كان الإنسان يحمي أعضائه مما يضرها ، فليحجم أخاه المسلم
الذى اعتمده الشارع كمضو منه ، فلينصره ظالماً أو مظلوماً ، ونصره
ظالماً منعه عن ظلمه

وقوله : (من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته) حث على
السعى في مصالح الناس سواء كانت مصالح مالية أو علمية أو أدبية
وقد دلت هذه العبارة على أن الوقت الذى ينفقه الإنسان في قضاء
مصالح غيره لا يضيع عليه ، بل التقدير العليم الذى بيده خزائن السموات

والأرض يسمى في قضاء حاجاته ، فهو إن بذل للإنسان قليلاً نال به من الله خيراً كثيراً ، فليستمن المرء على قضاء حاجاته بقضاء حاجات الناس وهذا المعنى يدخل في عموم قوله تعالى : (إن تنصروا الله ينصركم)

وقوله : (من فرّج عن مسلم كربة فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة) حض على السعى في دفع البلايا التي تحمل بالمسلمين في الحياة الدنيا ، فمن أصابته مسغبة بذلت له من مالك أو حثت الأغنياء على معونته ، ومن بُلى بالمعطة سمعت له في عمل ، ومن حاق به ظلم ظالم رفعت عنه الظلم ما وجدت لذلك سبيلاً ، ومن اتّابه مرض داووته ، أو أحضرت له طبيباً

وعلى الجملة تسعى لإخوانك في إزالة النوائب أو تخفيفها

وقد ضمن الله لفاعل ذلك رفع الكرب عنه يوم القيامة ، وكرب يوم القيامة شديدة لا تماثل كرب الدنيا ، فليس لدنياً يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا معونة تقدمها في الدنيا لذوى الحاجة

وقوله : (من ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة) حث على ستر ذلات أخيه المسلم إذا اطلع عليها ، وظاهر هذا الإطلاق يشمل كل زلة صغيرة كانت أو كبيرة مما يوجب الحد ، كسرقة ، وزنى ، وشرب خمر فستر الجميع مطلوب ، ولكن للعلماء في ذلك تفصيل فقالوا : إذا رأى المجرم أثناء ارتكابه الجريمة تقدم إليه منكرًا ومنعه منها ما استطاع ، فإن تركه كان آثماً لأنه لم يقم بواجب النهي عن المنكر ويعتبر كمساعد له على

الجريرة والله تعالى يقول : (ولا تعاونوا على الإثم والعدوان) وإن عرف
الجريرة بعد ارتكابها ، فإن كان مرتكبها من المعروفين بالإجرام وجب
عليه تبليغ أولى الأمر (الإدارة أو النيابة) ما لم يخش من ذلك مفسدة
راجحة ، لأن الستر في هذه الحال يدعو إلى التمدد في الإجرام ،
ويجرب غيره من أهل الفساد على الطغيان ، وإن لم يعرف بالإجرام
فالستر عليه مستحب ، ويجوز له تبليغ أولى الأمر ، ولا يكون بذلك
آثماً ما لم يفهم أنه تاب وأقنع ، فإن التبليغ يحرم عليه

وقد قالوا : إن جرح الشهود والرواة والأمناء على الأوقاف والصدقات

وغير ذلك من باب نصيحة المسلمين الواجبة على كل من اطلع عليها

ولا يعتبر ذلك من باب الغيبة ، ولا من قبيل هتك العورة ، ومدار
البحث في هذا الموضوع أن النهي عن المنكر واجب قولاً وعملاً لمن
استطاعه ، فلا يمكن شخصاً من ارتكاب جريمة أو إتمامها إن استطعنا
وأن العورة أو السيئة إذا كان في الإخبار بها مصلحة للمسلمين أو دفع
مضرة عنهم وجب التبليغ إلى من يملك التأديب

وإن كان في الإخبار بها مجرد الفضيحة ولا مصلحة من ورائه ،
فينبغي الستر خصوصاً على الذين لم يعرفوا بالفساد

واعلم أن هناك عيوباً خلقية ، مستورة عن عيون الناس ، ويؤلم
الشخص أن تعرف عنه ، فالواجب على من اطلع عليها ألا يذيع أمرها ،
فإن الإذاعة إيذاء ، والمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده

وقد وعد الله ساتر العورات بالستر عليه يوم القيامة ، فلا يفضحه
على رؤوس الأشهاد ، بل يتجاوز عن سيئاته بما قدم من حسناته
وقال الشاعر :

لا تهتكن من مساوى الناس ماستروا فيهتك الله سترا من مساويك
واذكر محاسن ما فيهم إذا ذكروا ولا تعب أحدا منهم بما فيك
وقال الإمام الشافعي رضى الله تعالى عنه :

إذا رمت أن تحيا سايماً من الردى وذبك مغفور وعرضك صين
لسانك لا تذكر به عورة امرئ فسلك عورات وللناس ألسن
وعينك إن أبدت إليك مساوياً فدعها وقل يا عين للناس أعين
وعاشر بمعروف وسامح من اعتدى وفارق ولكن بالتي هي أحسن

٦ - حديث في تعاون المؤمنين بعضهم لبعض

عن أبي موسى الأشعري رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه
وسلم قال :

(الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا)

(ثم شبك بين أصابعه) « رواه البخارى ومسلم »

الشرح

مثل المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً

فالمؤمنون شأنهم التعاون والتناصر ، والتظاهر والتكاتف في مصالحهم الخاصة ، والمصالح العامة ، لقوله تعالى :

« وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان »

أما التفرق والتخاذل فلا يعرفه الإيمان وليس من الدين في شيء

فإن كان التعاون كانت القوة للمسلمين ، والشوكة للموحدين يستخدمونها في التنكيل بعدوهم حتى يستردوا حقوقاً منصوبة ، وأرضاً منقوضة ، أو يرهبون بها من يحدتهم جشعهم باستلاب ملكهم ، واستعمار بلادهم ، فلا يقدمون على ما عرفوا وبيتوا وقدروا ، أو يسخرونها في الانتفاع بخيرات هذا الكون وتذليل عناصره بعمل الجمعيات وإنشاء الشركات وإقامة النقابات

وبقدر ما بين المسلمين في أنحاء الأرض من حسن الصلات ، وتوثيق

العلاقات ، تكون قوتهم وثبات ملكهم وقيامه خالداً

وإن كان التخاذل والتدابير والتقاطع ونقض عرا الإخاء وانصراف كل إلى نفسه وهواه وشهوته ، كان الضعف والأخطا والفشل والخور خضيجة من عدونا ، وإبراق وإرعاد يزلزل ملكنا ، ويذهب بمجدنا ، ويجعلنا أذلاء في ديارنا ، بل ضعفاء في ديننا ، فلا دنيا حصلنا ، ولا ديناً أقمنا ، ولا ثواباً آجلاً ضمننا ، فحسرتنا الدنيا والآخرة ، وذلك هو الخسران المبين

ولقد مثل الرسول صلى الله عليه وسلم اتحاد المسلمين ومشورة بعضهم

لبعض بالتشبيك بين أصابعه ، وإدخال بعضها في خلال بعض

ولا شك أن ذلك يزيد في متانة كل أصبع ، ويعطى كل يد قوة إلى قوتها ، كذلك المسلمون إذا تضامّت أيديهم ، وتظاهرت قواهم ، وتحابّت نفوسهم ، وتساندت أممهم ، زادوا قوة ، وكونوا لهم عزة ، تدين الأمم لسلطانهم ، وتخضع لأمرهم (والله العزة ورسوله وللمؤمنين)
فيأيها المسلمون ذلكم رسولكم ، وأسوتكم وإمامكم ، يرشدكم إلى ما فيه صلاح أمركم ، فاستمعوا لإرشاده ، واعملوا بصدقه ، فإنه من بطع الرسول فقد أطاع الله ، ومن يعصه عصاه ، واذكروا قوله تعالى : (واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا) وقوله : (ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين)

٧ — حديث في ائتلاف الأرواح واختلافها

عن عائشة رضی الله عنها قالت : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول :

(الأرواحُ جنودٌ مجنّدةٌ ، فما تعارفَ منها ائتلفَ ، وما تناكرَ منها اختلفَ)
« رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة »

الشرح

من الظواهر التي تراها في الاجتماعات العامة ، ميل كل امرئ إلى من يشاكله ويناسبه روحاً وخلقاً ، أو ديناً وأدباً ، أو مبدءاً ومذهباً

أو حرفه وعملاً ، فترى المجتمعين بعد مدة وجيزة من بدء الاجتماع قد انقسموا جماعات ، تتحدث كل جماعة في شئونها الخاصة ، وأمورها المشتركة ، وتتغير نفوسها إذا رأت دخيلاً بين جماعتها ، لا تربطه بهم صلة ولا تجمعهم به جامعة

وتجلس في ركوب عام ، قطار أوسفينة أو ترام ، أو سيارة أوفى مجلس من المجالس ، فترى نفسك منجذبة إلى بعض الحاضرين ، نافرة من آخرين ، وربما لم يكن قبل هذا اجتماع أو تعارف ، ولا عداوة أو تخاصم فما سر هذا التآلف والتحاب ؟ وما علة هذا الاختلاف والتنافر ؟

ذلك ما بينه الرسول صلى الله عليه وسلم بهذا الحديث فهو يقول :
إن أرواح العباد ونفوسهم جنود مجتمعة ، وجيوش مجيشة ، فالتى بينها تعارف وتشاكل ، وتوافق وتناسب يألف بعضها بعضاً ، ويسر باجتماعه ، ويفرح للقاءه ، لاتفاق في المبدأ ، وتقارب في الروح أما التى بينها تناكر وتباين ، وتباعد وتفاير ، فإنها تختلف ، وينفر بعضها من بعض ولا يود لقاءه

فالأجناد الأبرار ، الأجداد الأطهار ، إذا وجدوا فى مجتمع جذبوا أشباههم ، أو انجذبوا إليهم ، وسرى بينهم تيار من المحبة جمع قلوبهم ووثق فيها روابط الصلة ، وعز الإخاء والمودة
أما من لا يشاكلهم فتنفر منه قلوبهم
وكذلك الأشرار الفجار إذا حلوا بناد بدر إليهم أحزابهم وجذبهم قرنائهم ، ونفروا ممن لا يتخلق بخلقهم ، ولا يسير فى سبيلهم

فإذا عرفت رحلاً بالبر والاستقامة ونفرت منهم نفسك ، ونبأ
عنهم قلبك ، فاعلم أن فيك عيباً ونقصاً ، وأنتك دونهم في الطهارة ،
فداو نفسك من عيوبها ، وطهرها من أوزارها ، حتى تتقارب الأرواح
وتتشاكل النفوس ، فتحل الألفة محل النفرة

وإذا رأيتك ميالاً إلى من تعرفهم بالشر والفسق ، والخلاعة والمهر
فاعلم أنك من طبقهم ، ونسبك في شجرتهم

فإذا كانت نفسك تحدثك بأنك البر الأمين ، أو الصوفي العظيم ،
أو التقي المخلص ، أو الإنسان المهذب ، فكذب نفسك في حديثها ،
اعتقد أنك مخدوع ، وأبله مفتون ، ففتش في زوايا قلبك تجد للباطل
ركناً ، وللشيطان حظاً ، وللفساد جواً
وهذا ما جذب قلبك إلى الأشرار

وإذا رأيتك تميل إلى الأخيار وتحب مجالسهم ، وتنجذب نفسك
إليهم مع علمك بسوء سيرتك ، واعوجاج طريقتك ، فأدرك أن فيك
بقية من الخير ، ولا يزال فيك أمل ، فرب هذه البقية ، وقو هذا
الأمل حتى يرحل عنك الشر ، وتدخل بمجملتك في حزب الخير

وكذلك إذا كنت طاهراً نقياً ، براً تقياً ، ورأيت في نفسك بعض
الميل للمجرمين أو الركون إلى الظالمين ، فاعرف أن الشيطان قد نفث
فيك نفثة ، ونغز في قلبك نفرة ، فتحصن منه ، واستعد بالله تنج
من شره

فالحديث الشريف يبين لنا طبيعة من طبائع النفوس لنتفجع بها
فنجنبها الشر ، ونعمرها بالخير

وفي هذا الحديث قال الشاعر أبو نواس :

إن القلوب لأجناد مجندة لله في الغيب والأهواء تختلف
فما تعارف منها فهو مؤتلف وما تناكر منها فهو مختلف

واعلم أن الله سبحانه وتعالى خلق الخلق محتاجين بعضهم إلى بعض
وجعل الإنسان أكثر حاجة من سائر الحيوانات ، لأن منها ما يستقل
بنفسه عن بني جنسه . والإنسان مطبوع على الافتقار إلى غيره لتحصيل
أغراضه ، وما يلزم لحفظ حياته ، وكال عقله ، من الأغذية والمساكن
والملابس والعلوم والآداب ، فكل واحد من أفراد الآدميين ناقص
بنفسه ، وإنما يجد كماله عند إخوانه ، ولذا قيل :

(الإنسان مدني بالطبع)

وقد أوجب الله تعالى على الراعي أن تكون نسبتته إلى رعيته نسبة
أبوية ، وعلى الرعية أن تكون نسبتهم إليه نسبة بنوية ، ونسبة بعضهم
إلى بعض نسبة أخوية ؛ فإن لم تحفظ هذه النسب عادت الألفة نفارا ،
إذ يطلب كل واحد لنفسه ما يظنه خيرا له ، وإن أضر لغيره فتبطل أسباب
التعاون المفتوح للعمران ، ويؤول الأمر إلى اختلاف النظام الذي رتبته الله
تعالى لخلقه ، وتكون الحياة عذاباً أليماً

فيجب إذًا أن نحرص على الأناشيد ، ونجد في اكتسابه مع أبناء

جنسنا ؛ لأننا نحن معاشر بني آدم جميعاً إخوة ، وكل منا للآخر بمنزلة
البنيان يشد بعضه بعضاً (كما جاء في هذا الحديث الشريف) بل بمثابة
أعضاء الجسم إذا طرأ على عضو منها مرض تألم له الجسم كله كما سيأتى
في الحديث الآتى

٨ - حديث في وحدة المسلمين

عن النعمان بن بشير رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم :

(تَرَى الْمُؤْمِنِينَ فِي تَرَاحِمِهِمْ وَتَوَادِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ كَمَثَلِ الْجَسَدِ
إِذَا اشْتَكَى عَضُوهُ نَدَّاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَى)
« أخرجه البخارى ومسلم »

الشرح

يمثل رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤمنين في هذه الخلال الثلاث وهى
التراحم ، والتواد ، والتعاطف ، بالجسد الواحد ، فكما أن الجسد إذا مرض
منه عضو تألم له الباقي ، فلم يذق نوماً ، وسرت إليه حرارة الحمى فألمته
فكذلك المؤمنون حقيقة إذا ناب واحدا منهم نائبة شعر بألمها الباقون
فسعوا بما فيهم من العواطف لدفع الألم عنه ، وجلب الخير إليه
فالمسلمون في مجموعهم كشخص واحد ، وكل فرد منهم بالنسبة

المجموع كالمضوء بالنسبة للشخص ، فان خير يصيب الواحد منهم كأنما
أصاب كلهم ، والشر ينوبه كأنما ناب جميعهم

فليعتبر بهذا الحديث بعض الأمم الإسلامية التي لا تألم بما يصيب
جارتها ؛ بل ربما ساعدت عدوها على القضاء عليها ؛ وليعتبر به أولئك
الأفراد الذين جدوا في اصطلياد مصالحهم الشخصية وإن أضرت بآخرين
وإذا ما طلب منهم مواساة إخوانهم ولوا على أديارهم نفورا ، أولئك لم
يتوطن الإيمان بعد في نفوسهم

واعلم أن ليس كل اجتماع ينشأ عنه ألفة واتحاد ومحبة ومودة ممدوحاً
إلا اجتماعاً يكون فيه فوائد دينية ، وأعمال مرضية كالاتحاد في الصلوات
وطب العلم والذكر وغيرها من الاجتماعات الخيرية

أما الاجتماع للفسق واللغو وغيرها من أنواع المنكر فهذا لا فائدة
فيه إلا الإثم ، على أنه قلما تأتي مثل هذه الاجتماعات بفائدة تذكر
فكم من متحابين كانت محبتهم نتيجة اجتماع من مثل هذه الاجتماعات
لم يلبثا في مودتهم ومحبتهم وتآلفهم وتوادهم إلا ريثما افترقا وتباغضا ،
لأنه ليس لهذا الاتحاد أصل ثابت ينبني عليه ، فهو أسرع شيء إلى
الزوال ، وأقربه إلى الاضمحلال

ولهذا كان من الواجب اختيار الصاحب قبل صحبتته ، فقد قال
الرسول صلى الله عليه وسلم : (المرء على دين خليله فلينظر أحدكم إلى
من يخال)

وما أحسن ما قاله بعض الفضلاء لابنه يوصيه :

يا بني إذا عرضت لك إلى صحبة الرجال حاجة فاصحب من إذا صنته
صانك ، وإن صحبته زانك ، وإن قعدت بك مؤنة مانك ، واصحب
من إذا مدت يدك بخير مدها ، وإن رأى منك حسنة عدها ، وإن رأى
سيئة سدها

واصحب من إذا سأله أعطاك ، وإن سكت ابتداك ، وإن نزلت
بك نازلة واساك ، فإن لم تجده فلا تصاحب إلا نفسك
(انظر الصحبة وانتخاب الأصحاب في كتاب آداب الفتي للمؤلف
من ص ٣ إلى ص ٤٠)

هذا وأعظم مؤثر في الألفة الاجتماعية على الإطلاق (حسن الخلق)
وقد حث عليه الدين كثيراً؛ لأنه موجب للتحاب والتآلف والتوافق
في كل الأحوال ، بخلاف سوء الخلق فإنه موجب للتباغض والتنافر
والتحاسد ، فقال الله تعالى لنبيه :

(ولو كنت فظاً غليظ القلب لانقضوا من حولك فاعف عنهم
واستغفر لهم وشاورهم في الأمر)

ولقد مدح الله نبيه صلى الله عليه وسلم بحسن الخلق الذي تولى به
القلوب ، فقال :

(وإنك لعلی خلق عظیم)

وفي الحديث الشريف : (أكثر ما يدخل الناس الجنة تقوى الله
وحسن الخلق)

وقال صلى الله عليه وسلم : (أقربكم مني مجلساً أحسنكم أخلاقاً
المواطنون أكنافاً ، الذين يألفون ويؤلفون)

وقال أيضاً : (المؤلف ألف مألوف ، ولا خير فيمن لا يألف ولا
يؤلف)

وقال أيضاً : (أحب عباد الله إلى الله أحسنهم خلقاً)

وقال أيضاً : (إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم ، ولكن يسمعون
منكم بسط الوجه وحسن الخلق)

وقال صلى الله عليه وسلم : (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق)

٩ - حديث في فضل كفالة اليتيم

(أَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ فِي الْجَنَّةِ هَكَذَا - وَقَالَ بِاصْبِعَيْهِ السَّبَّابَةَ

وَالْوُسْطَى) « رواه البخاري ومسلم وغيرهما »

الشرح

اليتيم الذي فقد أباه الذي كان يراعه بنفسه وماله ، ويحبه من أعماق قلبه
ويؤثر مصالحته على مصالحة نفسه

فالذى يكفل اليتيم ويتعهده وينمي ثروته ، ويهذب نفسه يطمئن
والده في جدته ، ويموضه عنه كافلاً رحيماً ، وراعياً حكماً
فلا جرم أن كان مكانه عند الله عظيماً ، وكان حريماً أن يكون للرسول
صلى الله عليه وسلم ، في الجنة صاحباً وقريناً ، يتمتع بما فيها من النعيم ، كما
متع برعايته اليتيم
وفي هذا الحديث ترغيب عظيم في كفالة الأيتام ، والعناية بأمورهم
اللهم وفقنا لخدمة اليتامى ، ووفق المجالس الحسبية للعمل على ما فيه
صلاحهم ، وحفظ حقوقهم ، والضرب على أيدي الأوصياء الخائنين

١٠ - آداب الزيارة

من المعلوم أن الإنسان خلق مدنياً بالطبع فلا يمكنه أن يعيش منفرداً، بل لا بد له من مخالطة أبناء جنسه، والمعاملة معهم، والتودد لهم ولما كانت الزيارة، وتودد الناس بعضهم إلى بعض، من أقوى أسباب المحبة، وأمتن روابط المودة، لتبادل المنافع العامة فيما بينهم، التي هي من ضروريات المعيشة للإنسان، وللإفادة والاستفادة، كان من المستحسن بيان ما لها من الآداب والشروط، حتى تأتي بالفائدة المقصودة منها لذلك جاء القرآن الكريم، وهو العلم الأول، والمرشد الأكبر، ببيان آداب الزيارة، وما يجب أن يكون عليه صاحبها من الآداب والكلمات ١ - فمن ذلك عدم الدخول في بيت أحد إلا بعد الاستئذان منه بالدخول ما لم يكن بيتاً غير مسكون فيه متاع له، فله أن يدخله بدون استئذان، وقد بين ذلك بقوله :

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا
وَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ، فَإِنْ لَمْ
تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ
ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ . لَيْسَ
(م - ١٢)

عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ
وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ «

٢٩ « النور »

الشرح والتفسير

ترشد هذه الآيات الكريمات إلى بيان ما أدب الله به عباده المؤمنين إذا زار أحدهم الآخر ، فبين جل شأنه أنه لا يصح لأى شخص أن يدخل فى بيت لا يملكه إلا بعد أن يسلم على أهله ، ويستأذن منهم فى الدخول ، فيقول : السلام عليكم ، أَدْخِلْ ؟
فإن لم يجد أحداً فى البيت ، أو وجد وقال له ارجع ، فيرجع من غير معاودة استئذان مرة أخرى

وعليه بعد ذلك أن ينصرف ، فإن ذلك خير له وأفضل لما فيه من البعد عن الريبة والهمة بالنكر ، وهذا ما أشار الله تعالى إليه بقوله :
(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا
« أَى تَسْتَأْذِنُوا » وَتَسَلَّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ
فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ ، وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ
ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ)

هذا إذا كانت البيوت معدة لسكنى أناس مخصوصين
أما إذا كانت معدة ليدخل فيها كل من له حاجة تقصد منها ،
كالفنادق وبيوت التجار وحواليهم التى فى الأسواق ، فمثل هذه لا بأس
من الدخول فيها بغير استئذان ، وهذا ما أفاده الله تعالى بقوله :

(ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتاً غير مسكونة فيها متاع لكم
والله يعلم ما تبدون وما تكتمون)

وإنما همى جل شأنه عن الدخول في بيوت الغير بغير استئذان
لأن من في البيت من النساء عادةً عند ما يأمن دخول أحد عليهن ربما
كشفن ما لا يحل كشفه لقريب بله الأجنبيّ ، فإذا دخل بغير استئذان
كان ذلك داعية الاطلاع على عوراتهن ، وهو ما تأباه المروءة ، ويحرمه
الدين والأدب ؛ ولأن في الدخول بغير استئذان تصرفاً في ملك الغير
بغير إذنه وهو ممنوع

وعليه إذا استأذن ، وقيل له : من أنت ؟ ألا يقتصر في الجواب
على قوله : أنا ؛ لأن ذلك لا يفيد العلم به ، والمقصود علم صاحب البيت
به حتى يرى أن له رغبة في دخوله أو مقابلاته ، أو لا يرى ذلك
فالواجب التصريح باسمه

٢ - إذا دخل شخص في أي بيت سواء كان له أو لغيره وجب
عليه أن يسلم على أهل ذلك البيت ، وفي ذلك يقول الله تبارك وتعالى :
« فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ
مُبَارَكَةً طَيِّبَةً »

« النور ٦١ »

الشرح والتفسير

ترشد هذه الآية الكريمة إلى بيان ما أودبنا الله به من الآداب

الشرعية، والأخلاق الطاهرة الزكية، من أنه إذا دخل أحدنا بيته أو بيت غيره سلم على أهل ذلك المنزل الموجودين فيه ؛ غير أنه إذا دخل بيت غيره أصحاب السلام بالاستئذان كما تقدم في الآية السابقة ، سواء كانت هذه البيوت مسكونة أو غير مسكونة ، فإن كانت مسكونة سلم على أهلها واستأذن عليهم إن كانت للغير ، وإن كانت له فلا حاجة للاستئذان وإذا كانت غير مسكونة سلم على نفسه بأن يقول :

السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ، وفي حكمها المساجد وهذا ما أفاده الله تعالى بقوله :

(فإذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم تحيةً من عند الله مباركة طيبة)
أى فإذا دخلتم أى بيت سواء كان لكم أو لغيركم كما يقتضيه العموم في الآية ، فسلموا على أنفسكم ، أى على أهله الذين هم بمنزلة أنفسكم ، أو على أنفسكم حقيقةً إن لم تكن مسكونة ، تحيةً من عند الله أى ثابتة بأمره تعالى ، مشروعةً من لده عز وجل ، مباركة أى كثيرة البركة والخير ، دائمتهما ، طيبةً إذ بها تطيب نفس المستمع وفي وصف التحية بأنها من عند الله ، وأنها مباركة ، وأنها طيبة ترغيب فيها، وحث على فعلها، حسب أمره جل شأنه

٣ - وقال جل شأنه في وجوب استئذان المايك والخدم والأطفال الذين لم يبالغوا الحلم عند إرادة الدخول على مخدوميهم أو آبائهم في ثلاثة

أوقات من الليل والنهار ، ووجوب استئذان الأطفال إذا بلغوا الحلم في جميع الأوقات :

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنَكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ
وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ
وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ
عَوْرَاتٍ لَكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَافُونَ
عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ وَاللَّهُ
عَلِيمٌ حَكِيمٌ ٥٩ وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمْ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا
أَسْتَأْذِنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ
عَلِيمٌ حَكِيمٌ »

«النور»

الشرح والتفسير

يأيها الذين آمنوا لا تدخلوا عليكم ممالئكم وخدمكم وأولادكم الذين لم يبلغوا سن الحلم في ثلاثة أوقات وهي : قبل صلاة الفجر ، ووقت القيلولة حين تتجردون من ثيابكم من شدة حر الظهيرة ، وبعد العشاء إلا بإذن ؛ لأن هذه الأوقات الثلاثة هي التي تكون فيها العورة أما في غير هذه الأوقات فلا بأس أن يدخلوا عليكم بدون استئذان لأنهم طوافون عليكم في الخدمة، وقضاء حوائجكم الضرورية، ولولازمكم

المنزلية ، ويفتقر في الطوافين بحكم الضرورة ما لا يفتر في غيرهم
أما الصبي إذا بلغ سن الحلم فلا تمكنوه من الدخول عليكم إلا
بعد الإذن^(١)

٤ — وقال جل شأنه في وجوب دخول البيوت من أبوابها لا من
ظهورها :

« وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ
أَتَىٰ أُمَّتِي وَأَتَىٰ الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا »
« البقرة »

حديث في الاستئذان وإفشاء السلام

قال النبي صلى الله عليه وسلم :

(إِذَا أَسْتَأْذَنَ أَحَدُكُمْ ثَلَاثًا فَلَمْ يُؤْذَنَ لَهُ فَلْيَرْجِعْ ، وَالَّذِي
نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ حَتَّىٰ تُوْمِنُوا ، وَلَا تُوْمِنُوا حَتَّىٰ تَحَابُّوا ،
أَفَلَا أَدَلُّكُمْ عَلَىٰ عَمَلٍ إِذَا عَمِلْتُمُوهُ تَحَابَّبْتُمْ ؟ قَالُوا : بَلَىٰ يَا رَسُولَ
اللَّهِ . قَالَ : أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ)

عن أبي سعيد الخدري أنه قال : كنت جالساً في مجلس من مجالس

(١) انظر آداب الزيارة في كتاب التربية الاجتماعية من صفحة ١٦٨ إلى ١٦٠

« الأنصار ، فجاء أبو موسى الأشعري فرعاً فقلنا له : ما أفرعك ؟ فقال :
أمرني أن آتية فأتيته ، فاستأذنت ثلاثاً فلم يؤذن لي فرجعت ؛ ثم أتيت
ثانياً فوجدته ينتظرنى ، وقد أنكر على فقال لى : ما منعك أن تأتيني ؟
فقلت له : قد جئت فاستأذنت ثلاثاً فلم يؤذن لي بالدخول ، وقد قال
عليه الصلاة والسلام :

« إذا استأذن أحدكم ثلاثاً فلم يؤذن له فليرجع »

فقال عمر : لتأتيني على هذا الحديث بالبينه وإلا عاقبتك

فقال كبير المجلس : لا يقوم معك إلا أصغر القوم

فقام أبو سعيد فشهد له عند عمر أن هذا الحديث قاله رسول الله

صلى الله عليه وسلم

فقال عمر لأبى موسى : إني لم أتهمك ، ولكنى خشيت أن يتقول

الناس على رسول الله صلى الله عليه وسلم

وأما قرع الباب بعنف كما عليه أهل زماننا الآن والتصحيح على

صاحب البيت فهو منهي عنه لأنه مخالف للآداب ، وكذلك كل

ما يؤدي إلى الكراهية ، وينبئ عن الثقل فهو منهي عنه أيضاً

وكيفية الوقوف على الباب عند الاستئذان ألا يستقبله المستأذن

«وجهه ، بل يقف في ركنه الأيمن أو الأيسر ، لما روى أن النبي صلى الله

عليه وسلم كان إذا أتى باب قوم لم يستقبل الباب من تلقاء وجهه ولكنه

يقف في ركنه الأيمن أو الأيسر فيقول : السلام عليكم ، فإن كان

للبسب ستر كانت كراهة استقباله أخف من عدم وجود ستر . ثم إن الحكمة في شرع الاستئذان قبل الدخول هي أن الداخل من غير إذن ربما اطلع على عورات أهل البيت ، أو تسبق عينه إلى ما لا يحل النظر إليه ، ويطلع على الأحوال التي تخفيها الناس في العادة ، وعلى كل حال فالدخول من غير إذن غير جائز أصلاً ؛ لأنه تصرف في ملك الغير فلا بد أن يكون برضاه ، وإن لم يكن برضاه ، فإنه يشبه الغصب والتغلب واعلم أن رسول الشخص يقوم مقام إذنه ، فإذا أرسل إنسان خادمه إلى آخر يدعوهُ إلى الحضور عنده كان ذلك إذناً له في الدخول ، لما روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

(إذا دعى أحدكم فاجاء مع الرسول فإن ذلك له إذن)

فدل هذا الحديث على أن الدعاء يعد إذناً للداخل إذا حضر مع رسول الداعي ، فلا يحتاج ثانياً إلى إذن

وقال بعض العلماء : إن من قد جرت العادة له بإباحة الدخول فهو غير محتاج إلى الاستئذان

وانفق جمهور الأئمة على أن إذن الصبي والرقيق والمرأة معتبر والأصح أن الاستئذان على المحارم مطلوب ، لما روى أن رجلاً قال للنبي صلى الله عليه وسلم : أأستأذن على أمي ؟ فقال له صلى الله عليه وسلم : نعم . فقال الرجل : ليس لها خادم غيري ، أأستأذن عليها كلما دخلت عليها ؟ فقال عليه الصلاة والسلام : أحب أن تراها عريانة ؟ فقال الرجل : لا . فقال له عليه الصلاة والسلام : فاستئذن

واعلم أن ترك الاستئذان على المحارم وإن كان غير جائز إلا أنه أخف من ترك الاستئذان على الأجانب ؛ لأن المحرم يجوز له النظر إلى شعرها وصدرها وساقها وبحو ذلك من الأعضاء التي لا تعد عورة بالنسبة له بخلاف الأجنبيةات

وإنما كان الاستئذان على المحارم مطلوباً ؛ لأن المحرم ربما كانت مشتغلة في بعض الأحوال بأمر تكره اطلاع غيرها عليه ، فكان الاستئذان عاماً في جميع المحارم ، فلا يدخل الرجل على الزوجة والأمة إلا بإذن

وأما إذا عرض في بيت ما يوجب هتك الستر من حريق ، أو هجوم سارق ، أو ظهور منكر يجب إنكاره وإزالته ، فلا يجب الاستئذان في دخول هذا البيت

وأما السلام الذي شرعه الله تعالى فهو من سنة المسلمين التي أمرهم الله تعالى بها وأمان لهم ، وهو تحية الله تعالى لأهل الجنة ، وتحيتهم لبعضهم قال تعالى : (تحيتهم يوم يلقونه سلام)

وقال تعالى : (دعواهم فيها سبحانه اللهم وتحيتهم فيها سلام) وهو أيضاً يجلب المودة وينقي الغل والحقد من الصدور

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« حق المسلم على المسلم ست : يسلم عليه إذا لقيه ، ويجيبه إذا دعاه

وينصح له بالغيث ، ويشتمه إذا عطس ، ويعوده إذا مرض ، ويشهد جنازته إذا مات »

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إن سرکم أن يسئل الغل من صدورکم فأفشوا السلام بينکم)

فيسن لكل مسلم أن يبدأ أخاه بالسلام قبل الكلام ، وأن يصافحه عند السلام ؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

« من بدأ بالكلام قبل السلام فلا يجيبوه حتى يبدأ بالسلام »

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إذا دخلتم بيوتكم فسلموا على أهلها ، فإن الشيطان إذا سلم أحدكم لم يدخل بيته)

والأحاديث الواردة في فضل السلام ، والحث على إفشائه كثيرة

فإذا كان الله تعالى قد حثنا على إفشاء السلام في مواضع كثيرة

من كتابه العزيز ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر من الترغيب

فيه والحث عليه ، فمالنا نرى إخواننا المسلمين المصريين تركوا هذه السنة

الشريفة وبنذوها وراء ظهورهم ، حتى أنه لم يتمسك بها إلا القليل منهم

ولم يرضوا لأنفسهم ترك هذه السنة ، بل ابتدعوا بدلها بدعاً متنوعة في

التحية ، فبعضهم يحيي أخاه بإشارة اليد ، وبعضهم يقلد بعض النصارى

واليهود في تحيتهم التي هي قولهم : نهارك سعيد ، أو ليلتك سعيدة

وقد كانت تحية النصارى بوضع اليد على الفم ، وتحية اليهود بالإشارة

بالأصابع ، وتحية المجوس الركوع ، وتحيتنا معشر المسلمين : السلام

عليكم ورحمة الله وبركاته

التحية عند العرب وفي الإسلام

(نقلاً عن مجلة شمس الإسلام بتونس)

أصل التحية الدعاء بالحياة وطولها ، ثم استعملت في كل دعاء ؛ لأن الدعاء بالخير لا يخلو شيء منه عن الدعاء بالحياة نفسها ، أو بما هو السبب الموصل إلى قوة الحياة وكملها ، أو بما هو الغاية المطلوبة من طول الحياة ، وكانت العرب إذا لقي بعضهم بعضاً يقول : «حيَّاكَ اللهُ» بمعنى جعل الله لك حياة ، وأطال حياتك

ويقول بعضهم : « عش ألف سنة »

ثم إن المشرع الأعظم جعل التحية في السلام ، وهو تحية الإسلام قال الله تعالى : « تحييتهم يوم يلقونه سلام » وقال سبحانه : « فسلموا على أنفسكم تحيةً من عند الله »

وقد اختار الإسلام هذه التحية لما فيها من الدعاء بالسلامة من الآفات الدينية والدنيوية ، فمعنى قول المسلم لغيره : « السلام عليك » الدعاء له بالسلامة من جميع الآفات

وفي ذلك الدعاء الوعد بسلامة المسلم عليه ، وأمانه بمن حياه فكان المتقدم بالسلام يقول : أنت سليم مني ، فاجعلني سليماً منك ، وبحصول السلامة يحصل طول الحياة

وهذه المعاني التي تستفاد من السلام لا توجد في الدعاء بطول
الحياة الذي كانت تستعمله العرب ، إذ ربّ حياة الموت خير منها ،
وربّ عيش أحب منه الحجام

قال لبيد متدمراً من سؤال الناس كيف لبيد :

* ولقد سئمت من الحياة وطولها *

زيادة على كون السلام من أسمائه تعالى ، والبداية بذكره مما لا ريب
في فضله ومزيتة

كيف يتلفظ بالسلام ؟

إذا سلم الإنسان على أخيه يجوز له أن يقول : السلام عليكم
(بالألف واللام) وأن يقول : سلام عليكم (من غير الألف واللام)
وهو أكثر في الاستعمال ، وهذه في غير الصلاة

أما التحليل في الصلاة فبالألف واللام بالاتفاق ؛ ومن الوارد في
القرآن بالألف واللام قوله تعالى : « والسلام على من اتبع الهدى » ،
وبدونها قوله سبحانه : « وسلام على عباده الذين اصطفى »

ما حكم السلام في الإسلام ؟

البداية بالسلام سنة ، والجواب عنه واجب كفاية ؛ بحيث انه
إذا قام به البعض سقط الإثم عن الباقي ، ودليل ذلك خبر أبي داود وفي

معناه ما أخرجه البيهقي عن زيد بن أسلم ولم يضعفه :

« يجزى عن الجماعة إذا مروا أن يسلم أحدهم ، ويجزى عن
الجلوس أن يرد أحدهم »

فيه سقط الوجوب عن الباقيين ؛ لأن الجماعة بسبب ما لها من رابطة
الاجتماع يقوم الواحد منها مقام الجميع ونختص بالثواب ، ولو ردوا السلام
جميعاً ، ولو مع الترتيب بأن يسلم واحد ثم بعده ثم آخر الى آخر الجماعة
أثيبوا ثواب الواجب

كيف يكون جواب التسليم وما ينبغى أن يقوله المسلم ؟

يجوز لمن سلم عليه أن يرد السلام بمثل ما وقع به التسليم ؛ لكن
الزيادة أفضل ، والجواب بتحية أحسن منها أكمل ، فيقول المجيب ،
إن اقتصر المسلم على قوله : السلام عليكم ، وعليكم السلام ورحمة الله
ويقول : وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته إذا قال المسلم : السلام
عليكم ورحمة الله

وهذا منتهى الأمر في السلام لكونه جامعاً لكل ما يطلبه
الإنسان من المطالب التي هي السلامة من المضار الاستفادة من قوله في
الجواب : وعليكم السلام ، ونيل المنافع ودوامها الاستفادة من قوله
ورحمة الله ، ونائها الاستفادة من قوله : وبركاته

على أن هذا الكمال كما يطالب به المجيب يطالب به المسلم والمحيي

فيكون الأفضل في حقه الزيادة على قوله : السلام عليكم ، فقد أخرج البيهقي عن سهل بن حنيف أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من قال : السلام عليكم ، كتب الله له عشر حسنات ، فإن قال : السلام عليكم ورحمة الله تعالى ، كتب الله له عشرين حسنة ؛ فإن قال : السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته ، كتب الله تعالى له ثلاثين حسنة)

عناية الإسلام بالسلام

للإسلام عناية خاصة بالسلام ؛ لأن معناه السلامة ، وذلك مما يطالبه الأخ لأخيه حتى اعتبر السلام أمانة يجب على من كلف بتبليغها للغائب أن يقوم بذلك عند رضاه بتلك المأمورية

وهذا ما نسمعه من العامة في بلادنا ، فإنهم يقولون عند إرادة تبليغ السلام : السلام أمانة ، فهم يعلمون ما يقوله العلماء في أن السلام أمانة يجب تبليغها ، وهذا كله يرمى إلى المقصد الأسمى ، وهو الاهتمام المؤدى إلى المؤاخاة حتى قالوا : إذا انتقل المكلف بالسلام من بلد المسلم عليه يلزمه المشي إليه لتبليغه السلام الذي يحمله إذا لم تكن له كلفة في ذلك

وفي قوله صلى الله عليه وسلم : وتقرأ السلام ، ما يدل على ذلك ، حيث عدل عليه السلام عن لفظ وتسلم إلى لفظ وتقرأ ليشمل السلام مباشرة ، وبالمراسلة ولو مكتوبة ؛ وإذا بلغ السلام يسن الرد على المبلغ بأن يقول : وعليك وعليه السلام

على أنه لا أدل على هذه العناية من كون الإسلام شرع السلام على
الأموات سكان المقابر بأن يقول :

« السلام عليكم أهل الديار من المسلمين والمؤمنين ، رحم الله
المتقدمين منكم والمتأخرين منا : أنتم لنا سلف ، ونحن لكم تبع ،
وإنا إن شاء الله بكم لاحقون ، نسأل الله لنا ولكم العافية »

بل إن الأحاديث والآثار تدل على أن الزائر متى جاء علم به المزور
وسمع كلامه وأنس به ، ورد عليه ، فهناك سلام وتسليم ورد ، وذكر
بمضهم أن الجواب يكون بلسان الحال ، وكيفما كان الحال ، فإن النبي
صلى الله عليه وسلم قرر أن وصلة الأخوة لا تنفصم ولو بالموت ؛ بل
أمرنا بالاستمرار عليها وعدم نسيانها ، واستحضاراً لذلك المعنى قالت
عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها بعد دفن والدها أبي بكر الصديق رضي
الله عنه في آخر خطبة ارتجائها وهي قائمة : فسلام الله عليك توديع غير
قالية لحياتك ، ولا رازمة على القضاء فيك

ومما قرره بعض العلماء من أن الكتابي يتدثه بالسلام إذا دعت إليه
داعية ، ونقلوا أن ابن عباس كان يفعله ، يدل دلالة واضحة على أن
إفشاء السلام منظور فيه إلى ذلك المعنى العالی وهو الائتلاف ، على أنه
لا يمنع الدعاء لأهل الكتاب في مقابلته لإحسانهم ، لما روى أن يهوديا
حلب للنبي صلى الله عليه وسلم لقحة فقال عليه السلام : « اللهم جملة »

مِنْ آدَابِ السَّلَامِ

إن اظهار البشر عند السلام سنة مشروعة ، فقد أخرج البيهقي عن الحسن قال :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إن من الصدقة أن تسلم على الناس وأنت منطلق الوجه)

وعن عمر رضى عنه : إذا التقى المؤمنان فسلم كل واحد منهما على الآخر وتصاخفا كان أحبهما إلى الله تعالى أحسنهما بشراً بصاحبه ويستحب أن يسلم على النساء المحارم من غير تخصيص في السن ، والعجائز الأجنبية دون الشابات

ومن السنة أن تجهر في السلام ، ولا يجهر الجهر الكثير في الرد ، وأن يسلم الراكب على الماشي ، والماشي على القاعد ، وراكب الفرس على راكب الحمار ، والصغير على الكبير ، والقليل من الناس على الكثير منهم ، ولا يحنى ظهره عند السلام للحديث الحسن الوارد في نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن فعله : ولا يحنى رأسه ولا يقبل ؛ وإنما السنة المصافحة

استعمال غير لفظ السلام

إن الشارع عين للتحية لفظ السلام للأسباب التي شرحناها ، فإن خالف المسلم ذلك وقال : صبحك الله تعالى بالخير ، أو مساء الخير مما

يستعمل عندنا ، فلا يمد ذلك تحيةً ، ولا يكون مستحقاً للجواب ،
الكن لا يمنع ذلك من الدعاء له بنظيره ، إلا إذا قصد بإهماله تأديبه لأنه
ترك السنة

وأما التظاهر بالتحية مع إتيانه بكلمة دعاء على المسلم قصداً للإساءة ،
فإن المستمع بالخيار بين أن يقابل الشر بالحلم ، وبين أن يقابل الإساءة
بمثلها ، كما يدل لذلك قوله تعالى :

« وجزاء سيئة سيئة مثلها »

وقوله سبحانه : « وأن تعفو أقرب للتقوى »

حديث في إطعام الطعام ، وإقراء السلام

عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما : أن رجلاً سأل النبي صلى الله
عليه وسلم : (أئى الإسلام خير ؟) قال : تُطْعِمُ الطَّعَامَ وَتَقْرَأُ السَّلَامَ
تَحَّى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ) « رواه الشيخان وغيرها »

الشرح

سأل سائل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن خير إخصال الإسلام
وأكثرها نفعا ، فأجاب : بأن خيرها إطعام الطعام ، وإقراء السلام
وقد أجاب الرسول صلى الله عليه وسلم في مواطن أخرى بغير
هذا الجواب

كالذى سأله : أى الإسلام أفضل ؟ قال : من سلم المسلمون من لسانه ويده ، وسبب الاختلاف فى الجواب اختلاف حال السائلين أو السامعين ، فمن يخشى منه الإيذاء باليد أو اللسان أرشده إلى الكف ، ومن يرجى منه النفع العام بالقول أو الفعل أرشده إلى ذلك

١ - وإطعام الطعام يشمل بذله للمحتاج ، وتقديمه للضعيف ، وإقامة الولائم ؛ بل يشمل بإشارته معونة المسلم بماله أياً كان نوع المعونة ، وأياً كان المال طعاماً أو شرباً أو مسكناً ، أو لباساً أو نقداً

٢ - وإقراء السلام على من عرفنا ومن لم نعرف يزيد المحبة بين المتعارفين ، ويجلب الصلة والمودة بين المتناكرين ، فلا يخص من نعرف ، ولا بعض من نعرف تكبراً وتصنعاً ؛ بل إقامة لشعائر الإسلام بذله لكل مسلم ليتآلف الجميع ، وتزداد الصلة بينهم متانة على أنك لو منعتهم من لم تعرف « ربما كان ممن تعرف » فأعراضك عنه يوحشه منك

وقد تمسك بالحديث من أحاز ابتداء الكافر بالسلام ، ولا حجة فيه ، لأن السلام شعار الإسلام فيحمل قوله : من عرفت على المسلم ، وأما من لم تعرف فلا دلالة فيه على الكافر ، بل إن عرف أنه مسلم فذاك ، وإن لم يعرف فسلم احتياطاً ، فلا حرج عليه ، حتى يعرف أنه كافر وخص هاتين الخصلتين بالذكر لمسيس الحاجة إليهما أول الأمر ،

إذ كان المسلمون في حال بؤس وفقر ، فإن المهاجرين تركوا ديارهم
وأموالهم فراراً بدينهم ، والأنصار قاسموا أموالهم ، وكانوا في حاجة إلى
التعاون والتآلف ، وفي حصولها وسيلة إلى الأعمال الخيرية كلها مالية
كانت أو دينية

السلام على من عرفت ومن لم تعرف

إن في قوله عليه السلام جواباً لمن سأله عن أى الإسلام خير :
« أن تطعم الطعام وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف » ما يفيد
الإحسان للغير والاهتمام به

على أن في جمعه عليه السلام بين هاتين الخصلتين جمعاً بين المسكرم
المالية والبدنية ، الطعام والسلام ، ولا شك أن قوله عليه السلام : وتقرأ
السلام على من عرفت ومن لم تعرف ، صريح في الاهتمام المطلوب للشارع
لأن معنى الحديث وتسلم على من لاقيته عرفته أو لم تعرفه ، ولا تخص
بالسلام من تعرفه كما يفعله كثير من الناس

فالحديث يرمى إلى إفشاء السلام ، لتظهر من المسلم آثار الاهتمام الذي
غايته زرع بذور المحبة في قلوب المسلمين حتى تتم الألفة ويحصل الوفاق ،
والاشتراك في الأعمال الصالحة التي تعود على الجميع بالخير العظيم
وهذا المقصد الأسمى رواه الحاكم عن أبي موسى بقوله عليه السلام :
(أفسوا السلام بينكم محابوا)

وروى البخارى في الأدب المفرد : (أفسوا السلام تسلموا)

فكل هذه الأدلة متضافرة على تقرب الناس بعضهم من بعضهم
بحسن المعاشرة إذ المرء بأخيه

وفي هذا التعليم النبوي العالى وعدم تخصيص السلام بمن تعرف
ما يدل على أن السلام إنما يكون القصد منه وجه الله تعالى من غير ملق
ولا مصانعة لأن المسلمين كلهم إخوة

حديث فى السلام ومن يبدأ به؟

عن أبى هريرة قال : قال النبى صلى الله عليه وسلم : (يُسَلِّمُ
الرَّاكِبُ عَلَى الْمَاشِيِّ ، وَالْمَاشِيُّ عَلَى الْقَاعِدِ ، وَالْقَاعِدُ عَلَى الْكَثِيرِ)
« رواه البخارى ومسلم »

الشرح

السلام تحية مباركة سنها الله للمسلمين . قال تعالى :
« فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مَبْرُوكَةً
طَيِّبَةً »

وهذا الحديث بين لنا الأحق يبدأه السلام ، فأولاً الراكب يسلم
على الماشى ؛ لأن الغرض من السلام استجلاب المودة ، ودفع النفرة ،
وتآلف القلوب ، والراكب أحسن حالاً من الماشى ، فالبدء من جهته

دليل على تواضعه لأخيه المسلم في حال رفعته ، فكان ذلك أجلب
لمحبته ومودته

وحكمة أخرى : أن السلام تحية الوارد على غيره ، والراكب أسرع
في السير من الماشي في الأكثر ، فكان الوارد عليه ، فندب له
الابتداء بالسلام

وإذا تلاقى راكبان أو ماشيان فأيهما أحسن حالاً بدأ أخاه ، فإن
تساويا بدأ أيهما شاء ، وللبادى فضل على غيره

ثانياً - الماشي يسلم على القاعد ؛ لأن السلام تحية الوارد عرفاً ووضعاً
والوارد هنا هو الماشي ؛ ثم إن القاعد قد يتوقع الشر من القادم عليه ،
فإذا بدأه بالسلام أزال الخوف عنه

وحكمة ثالثة : أن القاعد قد يشق عليه مراعاة المارين مع كثرتهم
فسقطت البداءة عنه دفعاً للشقة

ثالثاً - القليل يسلم على الكثير ، ولعل الحكمة في ذلك : أنه إذا
بدأ الكثير بالسلام على القليل خيف على هذا أن يداخله شيء من الكثير
لسلام الكثير عليه

ومن جهة أخرى العدد القليل أسرع مشياً من الجمع الكثير في
الغالب فكان كالوارد عليه ، والسلام تحية الوارد

ومن جهة ثالثة بدء القليل أسرع كلفة فكان أولى
هذا وقد ذكر بعض العلماء أن من مشى في الشوارع المطروقة

كالسوق ، لا يسلم إلا على بعض من يلقاه ؛ لأنه لو سلم على كل من لقيه تشاغل عن قضاء مهمته التي خرج لأجلها ، وخرج عن العرف المألوف ، والمؤمن حكيم يلبس اسكل حال لبوسها

حديث في إطعام الجائع، وعبادة المريض ، وتحرير الرقيق
عن أبي موسى الأشعري رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم :

(أَطْعِمُوا الْجَائِعَ ، وَعُودُوا الْمَرِيضَ ، وَفُكُوا أَلْعَانِي)

« رواه البخارى »

الشرح

أولاً - إطعام الجائع ، وقد حث على ذلك القرآن في مواضع كثيرة مثل قوله تعالى في سورة البلد :

« فلا اقتحم العقبة ، وما أدراك ما العقبة ؟ فك رقبة ، أو إطعام في يوم ذى مسغبة (مجاعة) يتيمًا ذا مقربة أو مسكينًا ذا متربة (فقر) »
فيجب علينا إطعام الجائع إنقاذًا له من ألم الجوع ، ومحافضةً على صحته بل على حياته إن كان يودى بها فقد الطعام ؛ وليكن إطعامه من خير ما نطعم

وقوله تعالى : (ويطعمون الطعام على حبه مسكينًا ويتيمًا وأسيرًا)

ولقوله تعالى : (ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون)
ثانياً - عيادة المريض أو زيارته ، وقد أوجها بعض الفقهاء
كإطعام الجائع وفك الأسير ، وهي حق المسلم على المسلم
وعيادة المريض تذكرة ومحبة ومنفعة ، فهي تذكر الإنسان
بنعمة الحياة ، وتعرفه قيمة الصحة التي يتمتع بها ، فينطلق لسانه بشكر
مسيدها ، وهي تزرع المحبة بين المريض وعُوَّاده ، بل بينهم وبين قرابته
وهي نافعة للمريض تروح عنه وتسليه ، وربما وصف العائد دواء
ذهب بالداء ، أو تبرع باحضار نطاسي ، أو أرشد إلى طبيب ماهر
وينبغي أن تكون العيادة في الأوقات المعتادة ، وألا يطيل الجلوس
حتى يضجر المريض أو يشق على أهله ، ما لم تدع ضرورة إلى ذلك
وأن يلاحظ أوامر الأطباء من ترك اقتراب أو مكالمة أو قلة التردد
ثالثاً - فك العاني وتخليصه من أيدي العدو بمال أو غيره
والجمهور على وجوب ذلك كفايئاً ، حتى لا تكون ذلة لمؤمن
كتب الله له العزة

١١ - آداب المجامعة

هي أن يجلس أمام الناس بقاية الاعتدال والأدب ، والسكينة والوقار خصوصاً إذا كان الشخص الجالس أمامه أكبر سنًا منه أو علمًا أو إذا كان أباه أو شيخه أو معلمه ، وأن يتعد في جلوسه عن من هو أكبر منه سنًا احتراماً لمقامه ، وأن يوسع لجليسه إذا أقبل عليه ، ولا يضيق عليه ، وألا يمد رجله بين يدي جليسه ، ولا يضع رجلاً على الآخر بحضرة من هو أكبر منه إن كان ذلك يفضبه ، ولا يبصق ولا يمتخط إلا في مندبل موارياً وجهه عن جليسه ، وإذا تباين فعليه ألا يصحب التثاؤب بصوت ، وعليه أن يضع يده على فمه ، فإن مخالفة ذلك مما يستقذره الناس

وأن يكون مصغياً لجليسه ، ولا يرفع صوته فوق صوته ، وألا يضحك إلا لضرورة ، وألا يتكلم في المجلس بكلام غير لائق بمقام الجالسين ، أو يقطع حديثهم ، وإذا جلس في الطريق فليعط الطريق حقه ، وحق الطريق غض البصر ، وكف الأذى ، ورد السلام ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر وسيأتي شرحها

وقد بين الله تعالى في كتابه الكريم هذه الآداب وأشار إليها

بقوله :

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ
فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ ، وَإِذَا قِيلَ أَنْشُرُوا فَأَنْشُرُوا يَرْفَعِ اللَّهُ
الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ
خَبِيرٌ »
« المجادلة ١١ »

الشرح والتفسير

تفيد هذه الآية الكريمة بيان ما أدب الله به عباده المؤمنين ، وأمرهم
به من حسن المعاملة ، ورعاية الأدب في حق بعضهم على بعض
فمن ذلك أنه إذا كان جماعة في مجلس وقدم عليهم آخر أو جماعة
أخرى ، وفي المكان ضيق ، فعلى الجالسين أن يوسعوا للقادمين مسرعين
في ذلك ، لأن ذلك يكون سبباً للتوادد والتوافق والتحاب ، ونبذ
التباغض والتحاسد ، وهذا ما أفاده الله تعالى بقوله :

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا)

وقد وعد جل شأنه من تأدب بهذا الأدب الكامل وتخلق بهذا
الخلق الطيب ، أن يجازيه عليه من جنس عمله ، فيوسع عليه في رزقه
وقبره وفي منزله وفي الجنة ، وهو ما أفاده الله تعالى بقوله : (يَفْسَحِ
اللَّهُ لَكُمْ)

هذا ما أمر الله به في التوسعة في المجلس

أما القيام منه للقادم كائناً من كان ، فهو جائز عند بعض العلماء

إذا كان لعظيم لقوله صلى الله عليه وسلم : (قوموا لسيدكم) ، وغير جائز عند البعض الآخر لقوله صلى الله عليه وسلم : (من أحب أن يتمثل له الرجال قياماً فليتبوأ مقعده من النار) عن معاوية

فقد كان الصحابة رضوان الله عليهم لا يقومون للنبي صلى الله عليه وسلم إذا قدم عليهم ، ولم يكن أحد أحب إليهم ولا أمكن هيبة في قلوبهم منه ، وذلك لما كانوا يعلمون من كراهته لذلك

أما القادم نفسه فليس له أن يقيم أحداً من مجلسه ليجلس مكانه ، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لا يقيم الرجل الرجل من مجلسه ولكن تفسحوا أو توسعوا)

ولما كان الغرض من التوسعة في المجلس للقادم عليه غرس شجر المودة والمحبة في قلوب المؤمنين ، ولا يكون ذلك إلا حيث كانت التوسعة مصحوبة بشيء من الحفاوة والاحتفال بأمره والاعتناء بشأنه ، ومن ذلك أن ينهض مسرعاً في التوسعة ، حت جل شأنه على النهوض بسرعة للقادم فقال :

(وإذا قيل انشروا فانشروا يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات)

أى وإذا قيل لكم انهمضوا للتوسعة في المجلس للقادمين عليكم فانهمضوا وأسرعوا فإنكم إن فعلتم ذلك يرفع الله الذين آمنوا منكم في الدنيا والآخرة درجات عظيمة جزاء امتثالهم لأمر الله تعالى في قيامهم

من مجالسهم وتوسعتهم لإخوانهم ، ويرفع الله الذين أوتوا العلم منهم خاصة درجات أعظم وأرفع لأنهم إنما يفعلون ما يؤمرون به عن بينة وقوة يقين فإن لم تفعلوه بأن كرهتم أن تتأدبوا بآداب الله ، واستعظمتم أن توسعوا مجالسكم للقادمين عليكم حسباً أمركم ربكم ، فإن الله بما تعملون خبير ، لا تخفى عليه خافية من أعمالكم من خير أو شر فيجازيكم بالخير خيراً وبالشر شراً

حديث في حقوق الطريق

عن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم :
(إِيَّاكُمْ وَالْجُلُوسَ عَلَى الطَّرِيقَاتِ - وَفِي رِوَايَةٍ بِالطَّرِيقَاتِ -
قَالُوا : مَا لَنَا بُدٌّ ، إِنَّمَا هِيَ مَجَالِسُنَا نَتَحَدَّثُ فِيهَا .
قَالَ : فَإِذَا أَبَيْتُمْ إِلَّا الْمَجَالِسَ فَأَعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّهَا
قَالُوا : وَمَا حَقُّ الطَّرِيقِ ؟ .
قَالَ : غَضُّ الْبَصَرِ ، وَكَفُّ الْأَذَى ، وَرَدُّ السَّلَامِ ، وَالْأَمْرُ
بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ)

« رواه البخارى ومسلم وأبو داود »

الشرح والتفسير

نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم صحبه عن الجلوس على الطرقات على المساطب أو الأرائك ، أو الكراسى ، أو على الأرض بجانب الحوائط مفروشة وغير مفروشة ، فقالوا للرسول صلى الله عليه وسلم : ما لنا بد منها ، ولا غنى لنا عنها ؛ لأنها مجتمعاتنا وأديتنا التي نتحدث فيها بشئونا ، وتذاكر في مصالحنا ، في دنيانا وديننا ، وروح عن نفوسنا ، ويسرّى بعضنا عن بعض مما ألم بنا ، فتركها يشق علينا ، وكأنهم فهموا أن النهى للتنزيه ، ولا يراد به التحريم ؛ لأنهم لم يمهّدوا من الرسول صلى الله عليه وسلم تحريم نافع ، ولا إباحة ضار ، أو أن النهى لمعنى متصل بالمجالس لا لنفسها وذاتها ، وقد يكون في إمكانيهم مجانبية المعنى الذي من أجله كان النهى ، ولذلك راجعوا الرسول صلى الله عليه وسلم ، ذا كربين أنها مجالس محادثة ومذاكرة ومؤانسة ومجاملة ، فلم ينهون عنها ؟

ولو علموا أن النهى عزيمة من العزمات ما راجعوه ، ولكانوا أول من يمثل كما عهدناهم في مواطن كثيرة يفهمون بمجرد الإشارة ، فما بالك بصريح العبارة

ولقد أجابهم الرسول صلى الله عليه وسلم بما يدل على أن النهى ليس لذات المجالس ، وإنما هو من أجل حقوق الطريق التي يتعرض لها الجالس ، وقد يقصر فيها فيبوء بإثمها فقال لهم :

(فإذا أبيتهم إلا المجالس) ورغبتم عن غيرها تجلسون فيها
وتتسامرون (فأعطوا الطريق حقها)

فسألوه عن حقها ، شأنهم في استبانة الغامض ، واستفصال المجمل
فبين لهم حقوقها وهي :

أولها : غض البصر ، فإن أرسلته لتعرف سائر ، أولتتمتع بمنظر
فإن من خضرة ناضرة ، ومياه جارية ، وسماء صافية ، وصور متحركة
فلا ترسله إلى السيدات والفتيات المارات ، مشعباً بجرائم الشهوة ، محلاً
بيواعث الفتنة ، فإن ذلك الذي حرم القرآن بقوله :

« قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم »

وإذا كان النظر إليهن محرماً ، فما بالك بمن يلفظ بالهنات ، ويقول
المفطعات ، ويرمي المحصنات الغافلات ؟ إن وزره لكبير ، وإثمه عند
الله عظيم

وكما تحرم عليك النظرة السمومة للسائرات ، كذلك تحرم للاتي
يطلن من خدورهن ، ويرزن من فتحات دورهن لقضاء مصلحة ،
ولترويح نفس ضائفة ، كذلك لا ترسل البصر ساخرآ بالناس ، أو
حاسداً أو زارياً أو غاضباً ؛ بل كف عنه ، وأرسل منه ، فكفه عن
الحرام ، وأرسله في الحلال

ثانيها : كف الأذى ، فلا تؤذ سائرآ بلسانك أو يدك ، فتشتمه أو

تسبه ، أو تنهال عليه ضرباً باليد أو بالعصا من غير ما جرم اجترمه ، ولا ذنب اقترفه ، ومن الإيذاء سلبه شيئاً مما يحمله من غير أن تطيب به نفسه ، أو إراقة الماء في طريقه حتى تزل به الأقدام ، أو وضع عقبات في الطريق يعثر فيها المشاة ، أو إلقاء قاذورات أو أشواك تضر بالسابلة ، أو تضييقه الطريق بمجلسه ، أو قعوده حيث يتأذى الجيران ، فيكشف نساءهم ، ويقيد عليهم حريتهم ، كل ذلك وأضرابه مما يجب كفه ، والعمل على إبعاد المارة منه

نأثرها: رد السلام ، فإن ذلك فريضة محكمة ، وسنة متبعة ، وإنه رسول الألفة وداعية المحبة ، ولا تسام كثرته من السارين ، فإن كلاً يتجنب به إليك ويحبيك ويكرمك ، أفلا تجيب التحية بمثليها أو خير منها ؟ أفلا تود من ودك ، وتكرم من أكرمك ؟ ذلك خلق كريم أفلا تكون كريماً ؟

رابعها وهامسها: الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، وإن ذلك لواجب مقدس للمسلم على أخيه المسلم ، فإذا رأيت عربية ذات حمل يجرها البهيم ، أو رأيت حيواناً محملاً فوق طاقته فانه عن هذا المنكر ومُمر السائق بالتخفيف ، وإذا رأيت سائر ينسابان أو يتقاتلان فمرهما بالكف ؛ وإذا رأيت شاباً يماكس فتاة ويعترضها في طريقها فانصح له بالاستقامة ، فإن أبي إلا بالصفع أو بالأخذ إلى القسم فافعل ما استطعت

في غير تهور ولا إضرار بك ؛ وإن رأيت من يخس الكيل وبطلف
الميزان فره بالعدل أو سلمه إلى الشرطي ؛ وإن رأيت من يعث بحديقة
الجار أو يبعث حاجته فحل بينه وبين العث ؛ وإن رأيت من يبيع
طعاماً عفناً ، أو شراباً آسناً فاضرب على يده ، إلى غير ذلك مما يقترفه
المارة ، ويجترمه الباعة

هذا ، ومن حق الطريق أيضاً (في روايات أخرى) : حسن الكلام
وهداية الضال ، وتشميت العاطس إذا حمد ، وإغاثة الملهوف ، وإغاثة
المظلوم ، والمساعدة على الجمولة ، وذكر الله كثيراً
فتلك سبع إلى خمس ، وهاك شرحها :

أما حسن الكلام : فإن سألك طارق في بعض شئون فأرهب
له أذنك ، وأجبه بعبارة حشوها الأدب ، وأرشده بهوادة ولطف ، ولا
تلقه بالخشونة ومجاوبته بالفظاظة ، ولا ترفع من صوتك مع جلسائك ،
ولا تهزأ ، ولا تقل هجراً ولا فحشاً ، ولا تهوش على جيرانك ، فتؤذيهم
في بيوتهم أو تقض مضاجعهم

أما هداية الضال : فمن استهداك الطريق فأهده ، ومن رأيت ضل
الحجة فأقمه على صراطها ، وإن رأيت كفيفاً فخذ بيده أو وصله إلى
مقصده

أما تسميت العاطس : فإذا حمد مولاه فقل له : يرحمك الله تدعوله
بالرحمة والمغفرة ، فتجلب من وده ، وتزيد في أنسه ، فتسميته الدعاء له
وكل داع بخير فهو مشمت

أما عانة الملهوف : فمن استغاث بك فأغنه ، ومن إستجار بك
فأجره ، بتفريج كربته وتخفيف بليته ، فإن كان مريضاً فأحضر له طبيباً
يداويه أو يساعده على دخول مستشفى بطيبه وبرايعه ، وإن كان له مال
ضائع فساعده على الوصول إليه ، وأعن العاجز على قضاء مآربه ،
وتحقيق أمانيه

أما عانة المظلوم : فإن تأخذ بيده حتى يصل إلى حقه ، وتمنع
الحيف والجور عنه

أما عانة المحنونة : فإن رأيت حيواناً زل بحمله ، أو فرساً عثر
في عدوه أو عربة انقلبت ، أو سيارة وقفت ، أو فرغ منها الوقود ،
فيخذ بيد السكابي حتى يرجع سيرته الأولى ، فإن زل إنسان حاملاً أو
شاغراً فهو أولى بالمعونة

أما ذكر الله كثيراً : فيكون لك منه باعث على الخيرات ، ومبغض

في السيئات ، ومرغب في القيام بحق الطرقات

فتلك اثنتا عشرة خصلة هي حقوق الطريق التي يطالب بها كل جالس فيه

فيأبها الإنسان إذا آنت في نفسك القيام بالواجبات فلا
تجلس في الطرقات ، ولا على المقهى ، أو أمام المسكن ، أو دون المتجر
تستنشق الهواء ، وتستدنى بالشمس ، أو ترناد غير ذلك من المصالح ،
وإن خشيت عدوان نفسك عليك ، ومغالبتها لك ، وطفغان شهوتك على
عقلك ، وشيطانك على ملكك ، فدعها إلى داخل منزلك ، أو إلى السير
في الهواء الطلق ، أو الجوى الدافئ ، تسلم من المعاطب ، وتفز بطيب
الرغائب

حديث في أن الوحدة خيرٌ من جليس السوء

(الْوَحْدَةُ خَيْرٌ مِنْ جَلِيسِ السُّوءِ ، وَأَجْلِيسُ الصَّالِحِ خَيْرٌ مِنْ
الْوَحْدَةِ ، وَإِمْلَاءُ الْخَيْرِ خَيْرٌ مِنْ السُّكُوتِ ، وَالسُّكُوتُ خَيْرٌ مِنْ
إِمْلَاءِ الشَّرِّ) « عن أبي ذر رواه البيهقي »

الوحدة الانفراد بالنفس ، والاعتكاف عن الناس
وجليس السوء هو الشرير الذي يزين الشهوات ، أو يفتاب المخلوقات ،
أو يضيع الوقت بمحدث الأضاليل والسفاسف والترهات
أما الجليس الصالح فهو الذي ينصح جليسه بالهدى والرشاد

أحاديث أخرى في المجالس والجلوس

* المجالس بالأمانة (عن علي)

فعلى المجلس ألا يشيع حديث جليسه فيما يجب ستره

* مثل المجلس الصالح والمجلس السوء كمثل صاحب المسك وكبير الحداد لا يعدمك من صاحب المسك ، إما أن تشتريه أو تجدريحه ، وكبير الحداد يحرق بيتك أو ثوبك أو تجد منه ريحاً خبيثة (عن أبي موسى)
هذا الحديث مشروح في كتاب الأمثال القرآنية والنبوية للمؤلف

* إذا انتهى أحدكم إلى المجلس فإن وسع له فليجلس ، وإلا فينظر إلى أوسع مكان يراه فليجلس فيه (عن شيبه بن عثمان)

* إذا انتهى أحدكم إلى المجلس فليسلم ، فإن بدا له أن يجلس فليجلس ، ثم إذا قام فليسلم ، فليست الأولى بأحق من الآخرة (عن أبي هريرة)

* إذا جلستم فاخلموا نعالكم تستريح أقدامكم (عن أنس)

* إذا قام الرجل من مجلسه ثم رجع إليه فهو أحق به (عن أبي هريرة)

* جالسوا الكبراء ، وسائلوا العلماء ، وخالطوا الحكماء

(عن أبي جحيفة)

(جالسوا الكبراء) الشيوخ المحترمين لتتأدبوا بآدابهم ، وتنخلقوا
بأخلاقهم ، أو من له رتبة في الدين والعلم وإن صغر سنه
(وسائلوا العلماء) العاملين عما يعرض لكم من أحكام الدين
(وخالطوا الحكماء) أي اختلطوا بهم في كل وقت فإنهم المصيبون
في أقوالهم وأفعالهم ، ففي اختلاطهم تهذيب للأخلاق
* كلمات لا يتكلم بهن أحد في مجلسه عند فراغه ثلاث مرات
إلا كفر بهن عنه ، ولا يقولهن في مجلس خير أو مجلس ذكر إلا
ختم الله بهن عليه كما يختم الخاتم على الصحيفة وهي :
سبحانك اللهم وبمحمدك ، لا إله إلا أنت ، أستغفرك وأتوب إليك
« عن أبي هريرة »
* نهى أن يجلس الرجل بين رجلين إلا بإذنهما (عن ابن عمر)

١٢ - آداب المحادثة

اعلم أن أعصى الأعضاء على الإنسان اللسان فإنه لا تعب في إطلاقه ولا مؤنة في تحريكه . ولذا ترى أغلب الخلق قد تساهل في الاحتراز عن آفاته وغوائله ، والحذر من مصائده وجبائله ، فأوردتهم المهالك وجربهم إلى المصائب (وهل يبكّ الناس في النار على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم)

فاللسان خطره عظيم ، ولا نجاة من خطره إلا بالجامه بلجام الشرع الشريف ، ووقوف صاحبه به عند الحدود والآداب التي أدبه بها الشرع وعلمه إياها في محادثاته ومخاطباته ، فلا يطلقه إلا فيما ينفعه في الدنيا والآخرة ، ويكفه عن كل ما يخشى غائلته في عاجله وآجله ، وذلك بأن يعقله ، إلا عن حق يوضحه ، أو باطل يدحضه ، أو حكمة ينشرها ، أو نعمة يذكرها

وآلاً يتكلم به إلا بقدر الحاجة والضرورة ، وأن يقتصر في التكلم به على ما يقيم حجته ، ويبلغ حاجته ، وآلاً يغالب أحداً على كلامه ، وإذا سئل غيره فلا يجيب عنه ، وإذا حدث بمحدث فلا ينازعه ، ولا يقتحم عليه فيه ، ولا يريه أنه عالم ؛ وأن يكلم كل إنسان بما يليق به فلا يخاطب السوقة بكلام الملوك ، ولا الملوك بكلام السوقة ، وآلاً يتكلم إلا إذا دعا داع إلى الكلام ، فإن ما لا داعي له هذيان ، وأن يجتنب في

محدثته ثلاثة أشياء، وهي أعظم الأشياء خطراً على الإنسان وأبغضها لله وأقبحها عند الناس وهي : الكذب ، والغيبة ، والنميمة
والأ يتجاوز في مدح ، ولا يسرف في ذم ، لأن السلامة من
الكذب في المدح والذم متعذرة ، والأ يتكلم إلا فيما يعنيه ، لأن من
تكلم فيما لا يعنيه سمع ما لا يرضيه
وأن يضع الكلام في موضعه ، لأن لكل مقام مقالاً
وأن يجتنب في حديثه كل ما يكدر مخاطبه ، والأ يرفع صوته فوق
صوت من هو أكبر منه ، فإن ذلك كله مما ندب إليه الشرع ، وسلمه
سليم الطبع

فإن لاحظ المتكلم في حديثه هذه الاعتبارات السابقة، وأزم نفسه
رعايتها في كل أحواله كان ممن كملت سعادته ، وتحققت نجابته ، وعظم
قدره ، وكثر فخره ، وانتشر ذكره ، وكل عقله ، فإن عقل المرء مخبوء
تحت لسانه ، بمصداق قوله صلى الله عليه وسلم :

(لسان العاقل من وراء قلبه ، فإذا أراد الكلام رجع إلى قلبه ،
فإذا كان له تكلم ، وإن كان عليه أمسك ، وقلب الجاهل من وراء
لسانه يتكلم بكل ما يعرض له)

وقد أرشدنا الله سبحانه وتعالى إلى السبيل التي نسلكها لتتوصل
منها إلى معرفة هذه الآداب الشرعية ، فأمر بغض الصوت عند التكلم
وبأن نقول للناس حسناً ، وأمرنا بالإعراض عمن يتكلمون بمنكر حتى
يخوضوا في حديث غيره

ونهى عن الغيبة والنميمة والكذب ، وعن التكلم فيما لا يعنى ولا يفيد من القول إلى غير ذلك مما أمر به ونهى عنه

فمن ذلك ما أمر به جل شأنه من اللطافة في القول ، والمجاملة في الحديث ، ومجانبة الخشونة فيه لما يترتب على ذلك من إيفار الصدور وتولد الاحقاد ، وغرس العداوة والبغضاء ، وهو قوله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم :

« وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ
إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا » « الاسراء ٥٣ »

الشرح

ترشد هذه الآية الكريمة إلى ما علمنا الله إياه من حسن الأدب في المحادثة والمخاطبة ، فقد أمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يأمر عباده المؤمنين أن يقولوا في مخاطبتهم ومحاوراتهم ومحدثاتهم الكلمة الطيبة

والمراد الكلام الحسن الذى لا خشونة فيه ، فإنهم إن لم يفعلوا ذلك نزع الشيطان بينهم وأتى بينهم العداوة والبغضاء ؛ لأنه العدو الألد للإنسان ، يتربص به الدوائر ، ويترقب له الفرص في حصول الشحناء بين أفرادهم

فالعاقل من لم يجعل للشيطان حظاً من قلبه حتى يملكه من غرضه

وبينيله أمنيته : ويحقق له رغبته ، وإلا كان قد أسلم نفسه لعدوه يفعل فيها
كيف يشاء ، وهو لعمرى فعل غير حكيم

وفي النهى عن التكلم فيما لا يعنى ، والسؤال عما لا يمود على
السائل منه أدنى فائدة ؛ بل ربما ساءه وأضر به ، قال تعالى :

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبَدَّ لَكُمْ
تَسْؤُكُمْ وَإِنْ سَأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنزَلُ الْقُرْآنُ تُبَدَّ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ
عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ »
« المائدة ١٠١ »

الشرح والتفسير

ترشد هذه الآية الكريمة إلى بيان تأديب الله تعالى عباده المؤمنين
وتعليمهم الأدب معه ومع رسوله صلى الله عليه وسلم وقت التشريع إذ
نهاهم عن أن يسألوا عن تحريم مالم يحرم ، أو إيجاب مالم يجب من
التكاليف التى تشتهى نفوسهم الوقوف عليها ، ولم ترد على لسان الشارع
صلى الله عليه وسلم منع أنهم لو سألوا عنها كان سؤا لهم ناشئاً عن استعداد
فيهم لقبولها فتفرض عليهم موافاة لاستعدادهم ثم يضعفون بعد عن
القيام بها فيحل بهم غضب الله وهذا ما يفيد قوله تعالى :
(وَإِنْ سَأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنزَلُ الْقُرْآنُ تُبَدَّ لَكُمْ)

فأدب المرء بالنسبة لله سبحانه وتعالى هو أن يسكت عما ترك الله
ذكره، لأنه جل شأنه هو العالم بالصالح، والمحيط علمه بكل شيء.
ولو علم أن في ذكر هذه الأشياء خيراً كثيراً لذكرها
وقد أفاد الله ذلك بقوله : (عفا الله عنها والله غفور حلیم)
أى عفا الله عن هذه الأشياء بعدم ذكرها، فهو جل شأنه غفور حلیم
لا يعاجل من عصاه بالعقوبة لكثرة مغفرته وسعة حلمه

وفي الحديث على التكلم مع الناس بالحسنى واللين والرفق ، ومجانبة
الفظاظة في القول والغلظة في الحديث آخذاً باليهود والمواثق من بنى
إسرائيل على ذلك ، قال جل شأنه :

« وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ
وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ
حُسْنًا »
« البقرة ٨٣ »

الشرح

بعد أن بين عز وجل ما أمر به بنى إسرائيل وأوجب عليهم أن
يؤدوه من الحقوق والآداب معه ومع عباده وأخذ عليهم اليهود والمواثق
بذلك من عبادته سبحانه وتعالى ، وعدم الإشراف به ، ومراعاة حقوق

والوالدين والبر بهما ، وحقوق ذوى القربى واليتامى والمساكين ، أمرهم بالإحسان بالقول مع سائر الناس ليجمع بين خيري الإحسان الفعلى والقولى فقال : (وقولوا للناس حسناً) أى كلوهم كلاماً طيباً عند محادثتكم لهم ، ومخاطباتكم إياهم ، وألينوا لهم جانباً ، وليكن حديثكم معهم هيناً ليناً وسطاً ، ليس بالغليظ المرتفع فيميج ، ولا بالمنخفض بحيث يكلف المستمع طلب إعادته ، ويدخل فى ذلك كل حسن من القول سواء كان أمراً معروفاً أو نهياً عن منكر

وفى الحث على خفض الصوت عند المحادثة لأن فى رفعه تهويشاً على المستمع وأذى له ، قال جل ذكره :

« وَأَغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ »

« لقمان ١٩ »

الشرح

ترشد هذه الآية الكريمة إلى ما أوصى به لقمان عليه السلام ابنه من الوصايا النافعة ، وحثه عليه من الأدب فى المحادثة ، وأمره به من انتلطف فى القول واللين فيه ، وعدم تكلف رفع الصوت به ، فإن الجهر بالصوت بأكثر من الحاجة يؤذى السامع ويضر به ؛ ولنا بلغ من القباحة والشناعة والبشاعة والكراهة أن يشبهه رافعوه بالحمير ، وهو بصوت

الحير ، ولا جرم في أن تشبيهه الرافعين أصواتهم بالحير ، وتمثيل أصواتهم بالنهيق ، تنبيهاً على أن رفع الصوت غاية في الكراهة ، ونهاية في القباحة

وقال عز وجل في النهي عن الغيبة :

« وَلَا يَغْتَبِ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ

أَخِيهِ مَيْتًا فَكِرْهُتُمْوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ »

« الحجرات ١٢ »

الشرح

قال الله تعالى ذكره : (ولا يغتب بعضكم بعضاً) أى ولا يذكر بعضكم بعضاً بالسوء في غيبته

وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الغيبة فقال :

(أن تذكر أخاك بما يكره ، فإن كنت صادقاً اغتبتته ، وإن كنت كاذباً فقد بهتته)

أى نقصت من قدره ، وجئت بما هو غير حق من بهتان وزور

ثم مثل تعالى ما يناله المغتاب من عرض أخيه المؤمن فقال :

(أوجب أحدكم) أيها الناس (أن يأكل لحم أخيه) المؤمن حال

كونه (ميتاً) بل لا ترضى نفوسكم أكله (فكرهتموه) أى فقد جيلتم

على كراهته

ومن حيثُ كرهتمُ أكل لحم أخيكم المؤمن وهو ميت فاكروهوا
الغيبة لأن عقوبتها أشد

فالواجب على كل مسلم ألا يسمع لمفتاب غيبة في حق أحد وإن كان
ما يقوله حقاً ولا يساعده ، وإن قصد بغيبته صدقاً ، فإن هذا يعد من
سوء الأدب ، ونقص الإيمان ، وعدم المروءة ، لأن المفتاب إذا كان صادقاً
فقد أظهر قبيحاً كان مستوراً ، وفضح سراً كان مكتوماً ، وإن كان
كاذباً فقد ارتكب حرمتين : حرمة الكذب ، وحرمة الغيبة

ولولم يكن في الغيبة من المذام والقبائح إلا ما شبهها الله ، في أكل
لحم الإنسان الميت لكان ذلك كافياً في ذمها وقبحها

وبعد أن نهى الله سبحانه وتعالى عن الغيبة ومثلها بأقبح مثال
وأشنع عقاب ذلك بالأمر بالتقوى والترغيب في التوبة فقال : (واتقوا
الله) أى اخشوه وراقبوه فيما أمركم به ونهاكم عنه ، وتوبوا إليه مما فرط
منكم من غيبة أو محوها

(إن الله تواب) أى كثير التوبة على من تاب إليه (رحيم) بمن
رجع إليه لأنه يجعل التائب من الذنب كمن لا ذنب له

والتوبة في الغيبة تكون بإقلاعه عنها ، والعزم على ألا يعود إليها ،
وأن يثنى على من اغتابه في المجالس التي كان يذمه فيها حتى يذهب
ما كان في قلبه من الحقد والضغينة والبغض له ، ويبدله بالإخلاص
والصفاء من جهته

وفي النهي عن النميمة، ونقل الحديث من قوم إلى آخرين على وجه
السعاية والإفساد فيما بينهم، قال جل شأنه :

« وَلَا تَطْعَمْ كُلَّ حَلْفٍ مِّمَّيْنِ هَمَّازٍ مَشَاءَ بِنَمِيمٍ مَّنَاعٍ لِلْخَيْرِ

« ن ١٠١١ و ١٢ »

مُعْتَدٍ أَيْمٍ »

الشرح

يؤخذ من هذه الآيات حرمة صحبة من لا خلاق لهم من الناس
ومجانبة المجالسة والمحادثة معهم ، وعدم طاعتهم في كل ما يقولون ، وهم
الذين بينهم الله تعالى في قوله : (ولا تطعم كل حلاف ميين ، هماز مشاء
بنميم ، مناع للخير معتد أئيم) فهذه سبعة أوصاف كلها مثالب ومعائب
نهى الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم عن طاعة المتصفين بها ، وهو تعليم
لنا وإرشاد لما يجب أن نتخلق به من الأخلاق الفاضلة والصفات الكاملة
ونتركه من الأخلاق الفاسدة والصفات الكاسدة

فنهى الله عن طاعة الحلاف أي كثير الحلف سواء في الحق أو في
الباطل لأنه قلما يتحرى الصدق في أيمانه ، فهو عرضة على الدوام
للكذب والخطأ فيها مع ما له من الجراءة على الله تعالى وعلى أسمائه
فمثل هذا يجب مجانبته وتحريم مخالطته ، ولذا جعله الله تعالى فاقحة
المثالب ومقدمة العايب

ونهى عن طاعة الميين، وهو حقير الرأي والتدبير ، لأن طاعته ربما

أوردت المهالك ، وصيرت الطبع إلى أخبث المسالك ، لأنه يريد أن
ينفع فيضر

فطاعة مثل هذا لا نتيجة لها سوى الضرر

أما الهماز ، وهو العياب الطعان ، فلا تؤمن غوائله ، فهو اليوم له وفي
غد عليه ، مع أنه بطاعته يعد شريكاً له في هذه المنقصة وهذه الرذيلة ، لأنه
لا يعيب غيره ولا يطعن عليه إلا لخسة في أصله ، ونقص في مروءته ، ولو تم
في طبعه

أما المشاء بالميمية ، وهو النقال للحديث من قوم إلى آخرين ، فلا أنه
يفسد بينهم ، لا هم له إلا الإيقاع بين الناس والإفساد بينهم ، وإلقاء
بذور الشقاق والخصومات فيما بينهم ، وإيقار الصدور وتوليد الشرور ،
ومثل هذا تجب مجانبته ، وتحرم طاعته ، وتماف مجالسته ؛ لأن صحبته
غرر ، وطاعته ضرر ، ومجالسته خطر ، فكثيراً ما هلك وأهلك ، وأراق
الدماء وسفك ، وما حمد أيما سلك

وإن المناع للخير ، وهو البخيل الممسك يمنع أحوج ما يكون إليه
صاحبه

ومثل هذا لا خير في صحبته وطاعته ، كما قال الشاعر :

من كان لا خير فيه يرتجى فإن عاش أو مات على حد سوا
وإن المعتدى ، وهو المتجاوز الحد في الظلم ، لا يؤمن شره ، ولا يؤمل
خيره ، فهو أولى بالاجتناب ، وأحرى بنيد طاعته سداً للباب

وإن الأثيم، وهو كثير الإثم والمعصية، لم يبالي بالمجاهرة بمعصية خالقه ولم يخش من جلاله وعظمته ، فلا يبالي أن يجاهر صاحبه بأذيته وينابذه بعداوته . ومثل هذا يجب نبذ طاعته ، وتجنب مخاطبته

وفي النهي عن الكذب في القول وقت المحادثة ، قال جل ثناؤه :

« قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ »

« يونس ٦٩ »

الشرح

ترشد هذه الآية الكريمة إلى قبح الكذب وذم فاعله ، وذلك بما أخبر الله تعالى به عن الكذابين من عدم الفلاح والنجاح ، وكفى بأى صفة ذمًا أن تكون تبيحها عدم الفلاح والنجاح

حديث في فضل الصمت وقول الخير

عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ)

الشرح

سعادة المرء وشقاؤه في طرف لسانه ، فإن حسن لسانه في دائرة الخير ، كأمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس ، أو قراءة علم

أو منطلق أدب نال خيره ، وكفى شره ، وإن خرج به عن دائرة الخير
جلب له النوائب وأرداه في هوة سحيقة ، كما قال عليه الصلاة والسلام
« وهل يكبُّ الناس على وجوههم إلا حصائد ألسنتهم »

وقد أمرنا الرسول صلى الله عليه وسلم بأحد أمرين : إما قول الخير
وإما الصمت ، فمن لم يتيسر له الإحسان في القول والنفع ، فليمسك عليه
لسانه ، فإن ذلك أسلم له ، وقد قال العلماء : إن هذه العبارة من جوامع
كلمه صلى الله عليه وسلم ؛ لأن القول كله إما خير وإما شر ، وإما آيل
إلى أحدهما ، فدخل في الخير كل مطلوب من الأقوال فرضها ونديها ،
فأذن فيه على اختلاف أنواعه ، ودخل فيه ما يؤول إليه ، وما عدا ذلك
مما هو شر أو يؤول إلى الشر ، فأمر عند زيادة الخوض فيه بالصمت

حديث في النميمة وعقابها

عن حذيفة قال : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول :
(لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَتَاتٌ - وَفِي رِوَايَةٍ - نَمَامٌ)

« رواه الشيخان »

الشرح

قد بين الرسول صلى الله عليه وسلم أن الجنة لا يدخلها قَتَاتٌ أى
نمام ؛ لأنها دار المتقين ، وهذا من المجرمين ، ما لم يكن له من الحسنات
ما يمحو أثر السيئات

والمراد من هذا الحديث التحذير من القتل ، والتنبيه إلى خطر النم
فإذا جاء لك شخص ينم إليك في حق أخيك فأياك أن تأخذ قوله
مسلماً ، وترتب عليه عداً وتخاصماً ، فإنه فاسق ، وقد أمرنا الله بالتثبت
في خبره ، والتحرى عن صدقه ، فقال :
(يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً
بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين)

بل إن كنت مؤمناً حقاً فلا تشغل نفسك بحديث النمام ، ولا تضيع
من وقتك في تسمع أخبار السفهاء ، وظن الخير بإخوانك وأقربائك
واتهم النمام الجهول ، بل قبح له سوء عمله ، وبغض إليه نعمة ، وقل له :
لا تفسد بيني وبين إخواني ، ولا تبغض إلى أعزائي ، وخير لك أن
تذكر ما يزيد الصلة متانة ، وعرا الإخاء وناقة
وإن من ينقل عن غيرك إليك أحاديث السوء ينقل عنك إلى غيرك ،
فلا تجعله موضعاً لثقتك واجعل وشايته دبر أذنك

واعلم أن نقل الأخبار قد تكون فيه مصلحة شرعية ومنفعة عامة
كمن ينقل إلى شخص مكيدة يدرها له الخصوم من قتل أو سرقة ،
وكمن يعرف الأئمة والملوك سير الحكام الظالمين والموظفين الخائنين ،
فهذا لا حرج فيه ؛ بل ذلك واجب حقناً للدماء ، وحفظاً للأموال
ونصحاً للرعية والولاة ، فإن الدين النصيحة

وقال صلى الله عليه وسلم : أحبكم إلى الله أحسنكم أخلاقاً الموطأون
أكنافاً الذين يألفون ويؤلفون، وإن أبغضكم على الله المشاءون بالنيمة
المفروقون بين الإخوان ، الملتصون للبراء العثرات

وقال الحسن رضى الله عنه : من نَمَّ إليك نَمَّ عليك ، ومعنى هذا
أن التمام ينبغى أن يبغض ولا يوثق بقوله ولا بصداقته ، وكيف لا ؟ وهو
لا ينفك عن الغدر والخيانة والإفساد بين الناس ؟ وهذا من آفات
اللسان التي يجب على المسلم أن يحذر منها ، ويأخذ نفسه ولسانه على
الحق والصدق ، ومحبة الناس والعمل لخيرهم ، والبمدعما يضرهم ويسىء إليهم

حديث في مدح الصدق وذم الكذب

وأثرها في المجتمع الإنساني

عن عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

(عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ ، وَإِنَّ الْبِرَّ
يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى
يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ صِدْقًا ، وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي
إِلَى الْفُجُورِ ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ
يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَابًا)

عن ابن مسعود « رواه البخارى ومسلم »

الشرح

الصدق فضيلة الفضائل ، وأس الخلائق ، يقوم عليه نظام المجتمع وترتيب الأمور ، وسيرها السير الحميد ، وإنه ليعلى صاحبه عند الناس جميعاً فيجعله موضع ثقتهم ، مرغوب الحديث عندهم ، محبوباً لهم ، محترم الكلمة عند حكاهم ، مقبول الشهادة عند قضائهم لهذا أمرنا به الرسول صلى الله عليه وسلم ، كما أمرنا به الله تعالى في قوله :

« يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين »

والصدق يكون في القول ، وفي العقيدة ، وفي العمل

فالصدق في القول أن يكون مطابقاً لضميرك أو وفق الحقيقة ، أو وفقها معاً ، وهذا يدعوك إلى التثبت في الحديث ، والتحرى قبله ، وألا تقول بغير علم ، فإذا حدثت عن الماضي فقل الحق ، وإذا حدثت بما نويته فاجمل حديثك طبق نيتك ، وإذا وعدت فاجعل نية الوفاء قرينة العزم ، ولا تستفهم عن أمر وأنت به عليم لتفرر بالسامعين ، الحاجة في نفسك ، ولا تطلب من خادمك طلباً وقد أثمرت إليه بعدم الإجابة أو نهته إلى ذلك من قبل

والصدق في العقيدة أن تكون طبق الحاصل في الوجود ، ففي الوجود (إله واحد فعال) يحكم ما يريد ، ويبدى ويعيد ، فلا تمتد له في ذلك ندأً وشريكاً

وفي الوجود (محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم) فاعتقد رسالته ؛
وفي الوجود ظلم أمته أو عدالتها فاعتقد ما شهد به الوجود وهكذا
والصدق في العقيدة يستدعى أولاً بحجها ، وطلب الدليل عليها من
الحسيات أو العقليات ونفي الشبهات عنها

والصدق في الفعل أن يكون مظهره في الخارج طبق صورته في
النفس ، فيكون خالصاً لله تبنى به المصلحة ، لا يشوبه نفاق ولا رياء ،
ولا تريد الوصول به إلى غرض دنيء ، كالذي يزور عظيمًا ، مظهرًا تودده
إليه ، ومحبته له ، وهو يريد من وراء ذلك منفعة شخصية ، كالذي
يجاهد مداراةً ومجاراةً ، أو طمعاً في مراكز أو جاه . فكل ما تقدم
يشمله عنوان الصدق

وقد بين الرسول صلى الله عليه وسلم أنه يهدي إلى البر ، ويرشد
إلى التوسع في الخير ، ذلك أنه منبت الفضائل ، وجذع شجرتها
ومتفرع غصونها ، وهل الإيمان بالله ، والتصديق برسوله ووجيه ، إلا شعبة
من الصدق ؟

فالصادق موفق للخيرات ، مقيم للبرات ، والبر طريق الجنة بل
مفتاحها الذي لا تفتح بغيره

قال تعالى (إن الأبرار لفي نعيم - إلى آخر الآية)

وقد بين لنا الرسول صلى الله عليه وسلم في الحديث المذكور
مسألة من أهم مسائل الأخلاق ، وهي طريقة تربية الخلق وتكوينه

وتقويته في النفس وتثبيته ، وجعله في صف الطبايع ، ذلك أن يتحرى
الإسان في حديثه القول الجميل أو الصنع المجيد ، ويعمله المرة بعد
المرة حتى يؤثر في نفسه أثراً ، ويتخذ منها مجرى ، يزداد تعمقاً كلما تابع
العمل ، فإذا بذلك الأثر الخلق والفضيلة التي تصدر عنها الأعمال الطيبة
بسهولة

فمن رغب أن يكون الصدق شيمته وخلقه ، ودينه وطبعه ، فليتحجر
الصدق في أقواله وأعماله ، وليتابع ذلك ، فإذا بالصدق خلقه ، وإذا به الصدق بقى
ومعنى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ويتحرى الصدق حتى
يكتب عند الله صديقاً)

أى ضبط ذلك في سجله وحسابه في زمرة الصديقين ، وإعلان
ذلك في الملأ الأعلى ، فرحاً به ورفعاً لذكوره ، والوحي إلى قلوب العباد
بذلك ليحترموه ويحلوه ، ويوقروه ويكبروه

وكأن الصدق أس الفضائل ، فإن الكذب أس الرذائل ، به يتصدع
بنيان المجتمع ، ويختل سير الأمور ، ويسقط صاحبه من العيون ،
لا يصدقونه في قول ، ولا يتبعونه في عمل ، ولا يحبون له مجلساً ؛
أحاديثه منبوذة ، وشهادته مردودة ، لذلك نهى عنه الرسول صلى الله عليه
وسلم في حديثه المذكور . وفي القرآن الكريم آيات كثيرة مقبحة
للكذب ، منفرة منه ، متوعدة عليه بالعذاب الشديد ، قال تعالى :

« ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام

لتفتروا على الله الكذب ، إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون
متاع قليل ولهم عذاب أليم »

والكذب يكون في القول ، وفي العقيدة ، والعمل
فقول ما لا يطابق الضمير أو الواقع أو هما معاً ، أو لا يؤدي إلى
ذلك كذب ، واعتقاد ما لا يساير الوجود كذب ، والرياء في الأعمال
وإلباسها غير لباسها النفسى كذب

وقد بين الرسول صلى الله عليه وسلم أن الكذب يهدى إلى
الفجور ، ويبعث إلى الشرور ، ويهتك ستر الديانة ، فإذا بصاحبه
مرتطم في المعاصي ، مهالك عليها

وهل الشرك واتخاذ الند الذى هو أكبر جريمة إلا كذب ؟
وهل النفاق الذى هو شر من الكفر الصريح إلا كذب ؟
وكذلك الغش فى المعاملة ، ونية الإخلاف فى المواعيد ، والمروءة
فى الأعمال كلها من ضروب الكذب

وقد بين الرسول صلى الله عليه وسلم أن الفجور يهدى إلى النار ،
ويرمى بصاحبه فى دركها الأسفل لقوله تعالى : (وإن الفجار لفي
جحيم يصلونها يوم الدين)

وكما أن الأعمال الحميدة بتحريمها وتعودها تتكون الأخلاق العالية
التي هى مصدر الخيرات ، كذلك الأعمال السيئة إذا تحراها الإنسان

وتعودها كونت في نفسه الأخلاق السيئة ، التي هي مصدر الشرور والآثام ، فمن سمح لنفسه بكذبة مرة وأتبعها بأخرى ، وعززها بثالثة فرابعة وهكذا أصبح الكذب خلقاً له ، وصار الكذاب المهين ، فلتجتنبها نفسك لئلا تصبح خلقك أو طبعك ، ودع المحارم ، وإن وقعت في شيء منها فبادر إلى التوبة ، وحذار العود والتكرار فتكون من الهالكين

ومعنى قوله عليه السلام : (ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً)

أى تدوين ذلك في صحيفته السوداء ، وحسابه من حزب الكاذبين المنافقين والتشهير به في الملأ الأعلى ، وإلهام النفوس أن تمجده وتحقره وتزدريه وتمقته ، فإذا به بين الناس الطريد المهين ، الكريه البغيض فالتزم أيها الإنسان نهج الصدق لتكون الصديق ذا المكانة العالية بين الناس ، والدرجة الرفيعة عند الله

ولا تَغشَّ الكذب حتى لا تكون الفاجر الأثيم ، والكذاب المهين واجمل صفحتك ببيضاء نقية ، ومكانتك في المقربين عليه

ولقد صدق الشاعر في قوله :

وأكرم الآداب صدق المنطق أكرم به أكرم به من خلق
أعدل شاهد على الصلاح أقرب منهاج إلى الفلاح

الأحاديث

حديث في النهي عن التحدث بكل ما يسمع

(كَفَى بِالْعَرَّةِ إِثْمًا أَنْ يُحَدَّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ)

« عن أبي هريرة »

المعنى

إذا لم يكن للمرء من الآثام والذنوب إلا أن يتحدث الناس بكل ما يسمع من خير أو شر، عن صدق أو كذب، كفاه إثم ذلك عذاباً، لأن نقل الحديث قد يكون فيه ما يؤذى ويضر، فكتمانها إذن أمر يوجب الدين وتقتضيه المروءة

حديث في خيانة التحدث

(كَبُرَتْ خِيَانَةٌ أَنْ تُحَدَّثَ أَخَاكَ حَدِيثًا هُوَ لَكَ بِهِ مُصَدِّقٌ)

« وَأَنْتَ لَهُ بِهِ كَاذِبٌ » « عن سفيان بن أسيد رواه أبو داود »

المعنى

الصدق أمانة للناس في عنق المحدث، فيالها من خيانة أن يتحدث أخاك حديثاً هو لك به مصدق، أي مطمئن إلى صدقك فيه، وأنت له به كاذب، أي مخبر بخلاف ما هو واقع

حديث في حبس اللسان عن كثرة الكلام

(لَا يَبْلُغُ الْعَبْدُ حَقِيقَةَ الْإِيمَانِ حَتَّى يَخْزَنَ مِنْ لِسَانِهِ)

« عن أنس »

أى يجعل فيه خزانة للسان فلا يفتحه إلا بمفتاح إذن الله

حديث في عدم التكلم فيما لا يعنى

(أَكْثَرُ النَّاسِ ذُنُوبًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَكْثَرُهُمْ كَلَامًا فِيمَا

لَا يَعْنِيهِ) « عن سلمان الفارسي »

أى أن من كثر كلامه كثرت شططه، فتكثر ذنوبه وخطاياها من حيث

لا يشعر . وفي حديث آخر : من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه

« عن أبي هريرة »

حديث في صفة المؤمن

(لَيْسَ الْمُؤْمِنُ بِالطَّامِنِ وَلَا الْأَعَانِ وَلَا الْفَاحِشِ الْبَذِيءِ)

أى أن المؤمن لا يطمئن في حق الناس وأعراضهم، ولا يلغهم ولا

يتكلم معهم بكلام فاحش بذىء

١٣ - آداب الأكل والشرب

إن للأكل والشرب آداباً يجب مراعاتها لحفظ الصحة من جهة والدلالة على كرم الخلق وحسن الطبع من جهة أخرى، وهذه الآداب مستمدة من نور القرآن الكريم، وأحاديث الرسول عليه الصلاة وأزكى التسليم قال تعالى في النهي عن كثرة الأكل والشرب والإسراف فيهما وبفضه لذلك :

« وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ »

« الاعراف ٣١ »

الشرح والتفسير

ترشد هذه الآية الكريمة إلى ما علمنا الله إياه من الطب، وما أرشدنا إليه من الحكمة، وهدانا إليه مما تصح به أبداننا، وتقوى به أجسامنا وتطيب به معيشتنا، وتهنأ به حياتنا، من عدم الإفراط في الأكل والشرب، والإسراف فيهما؛ لأن كثرة الأكل والشرب تفسد المعدة وتطفى نارها، وتضعف الجسم، وتكثر الرياح في البطن، وتصفّر اللون، وتضيّق النفس، وبذلك يضعف الفكر، ويخمد الذهن، وينحط الإدراك. وإذا حجّب القلب عن الإدراك، ومنع الذهن عن الحركة في الأفكار خسر صاحبه باباً كبيراً من العبادات؛ لأن الغاية المقصودة من

العبادات إنما هو الفكر الموصل إلى المعرفة والاستبصار بحقائق الحق
وكثرة الأكل مانعة منه

فهذه المضار نهى الشارع الحكيم عن الإفراط في الأكل والشرب ؛
والإسراف فيهما ؛ ولم يقف عند هذا الحد من النهي ؛ بل أخذ يتوعد
ويهدد من خالف أمر الله تعالى فأسرف فيهما فقال :

(إنه لا يحب المسرفين) أي ييغضهم ، وناهيك ييغض الله تعالى
وعدم رضاه ، فإنه داعية الهلاك ، وسبب كل المصائب

وأى عاقل ريجرؤ على أن ييغضب الله تعالى مقابل أن يرضى نفسه
باتباعها في شهوة هي سبب هلاكه ، وداعية أسقامه وآلامه ؟

فالحذر الحذر من شراهة النفس ، وتمكنها من شهوتها المفرطة في
الأطعمة والأشربة ، محافظة على صحة الإنسان ، وحذراً من أن يكون
قتيل بطنته ، وعملاً بقوله صلى الله عليه وسلم :

(البطنة أصل الداء) أي امتلاء البطن (والحمية أصل الدواء) أي

المحافظة على عدم تكليف المعدة بما ليس في طاقتها

وقوله صلى الله عليه وسلم : (ما ملأ ابن آدم وعاء شراً من بطنه

حسب ابن آدم لقيات يقمن صلبه ، فإن كان ولا بد فثلث للطعام ، وثلث للماء ،
وثلث للنفس) وسيأتى شرح هذا الحديث

وقول بعض الحكماء : البطنة تذهب الفطنة وتجلب الداء العضال

وقول أفلاطون : راحة الجسم في قلة الطعام ، وراحة اللسان في قلة

السكلام ، وراحة الروح في قلة المنام ، وراحة القلب في قلة الانتقام ،
وراحة العقل في قلة الأوهام

ومن الأمثال : أقلل طعامك تحمد منامك

فيجب إذًا على كل عاقل أن يقتصر في تناول الأطعمة والأشربة
على قدر ما يلزم لجسمه من الصحة التي بها القيام بما كلف به من
التكاليف الشرعية

وقد بين الله تعالى ما أحل أكله من الطعام ، وهو الحلال الطيب
الطاهر، وما حرم أكله منه من الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير
الله به، وما أباح تناوله مع كونه محرماً للضرورة والاحتياج إليه مع عدم
وجود غيره ، فقال تعالى :

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَأَشْكُرُوا
لِلَّهِ إِن كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيَّكُمْ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ
وَلَحْمَ الْخَنزِيرِ وَمَا أَهَلَ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَآغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا
إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ »

« البقرة ١٧٣ »

الشرح والتفسير

ترشد هاتان الآيتان الكريمتان إلى ما بينه الله تعالى لعباده المؤمنين

وأمرهم به من الأكل ممارزتهم، على شرط أن يكون حلالاً طيباً، وأمرهم أن يشكروه على هدايتهم لذلك، وتبينه لهم معالم دينهم، وإرشادهم إلى ما يحل أكله، وما لا يحل، لأن ذلك من المن العظمى، والنعم الكبرى، التي يجب الشكر لسديها إن كانوا عبده حقاً، وهذا ما أفاده الله تعالى بقوله :

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كَلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ عَلَيْهِ تَعْبُدُونَ)

ولما امتن الله تعالى عليهم برزقه، وأرشدهم إلى الأكل من طيبه ذكر أنه لم يحرم عليهم من ذلك إلا (الميتة) وهي التي تموت من غير تذكية شرعية سواء أكان موتها بخنق أم بضرب أم بسقوطها من أعلى إلى أسفل أم بنطح أخرى لها أم عدوان سبع عليها

وقد خصص هذا العموم بغير ميتة البحر بقوله تعالى في آية أخرى (أحل لكم صيد البحر وطعامه متاعاً لكم)

(والدم) والمراد به الدم المسفوح لقوله تعالى في آية أخرى :

(قل لا أجد فيما أوحى إلي محرماً على طاعم يطعمه إلا أن يكون ميتة أو دها مسفوحاً أو لحم خنزير)

(ولحم الخنزير) سواء أذكى أم لم يذك

(وما أهل به لغير الله) أي ذكر عليه اسم غير الله تعالى

معنى الإهلال لغير الله أن يذبح الحيوان أو ينحر مع ذكر اسم

غير الله عليه ؛ بأن يقال نذبح باسم الميت أو الولي أو الشيخ فلان ، وهذا لم يفعله بحمد الله أحد حتى يقال « عمت به البلوى » وإنما المذموم اتخاذ الصدقات بتلك الصورة ، فلحوم هذه الذبائح مع ذكر اسم الله عليها لا يحرمها مسلم

ومثله ما يقع من بعض الجهلاء من الذبح عند قبور موتاهم عند دفنهم فإن ذلك يحرم أكله ، ولا يجوز تعاطيه ؛ لأنه مما أهل به لغير الله ، ولا فرق بينه وبين المذبوح للوثن ، ومثله ما ينذرونه للمشايخ والأولياء والصالحين فيذبحونه لهم فإن ذلك المذبوح حرام لا يجوز أكله لأنه أهل به لغير الله ، حتى قال بعض العلماء : أن الذبح لهؤلاء وأمثالهم كفر ، وهو مما عمت به البلوى ، وعظمت به المصيبة ، لأن عامة الناس في ذلك واقعون ، ولحله وجوازه معتقدون ، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

هذا وبعد أن بين جل شأنه أكل هذه الأربعة ، وأنه حرام أخذ
يبين أن ذلك مقيد بعدم الضرورة والحاجة

أما عند الضرورة والحاجة بها بأن خاف التلف على نفسه ولم يجد ما يسد رمقه غير أحد هذه الأربعة فلا حرج في ذلك ولا إثم على فاعله قال تعالى : (فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا إثم عليه إن الله غفور رحيم) .

أى فمن اضطرته الحاجة إلى أكل واحد من هذه الأربعة التي

حرمها الله تعالى فلا إنم عليه ولا حرج في أكله بشرط ألا يحمله على أكله إلا الضرورة لا الشهوة وهو معنى (بلغ) وألا يتناول منه إلا ما يدفع به الضرورة، ومتناول ما فوقها هو العادي، فإنه جل شأنه غفور لمن تاب إليه من عباده، رحيم بهم من حيث أحل لهم الحرام عند الاضطرار، والله بسر كلامه عليم

وقال تبارك وتعالى في ابضاح ما أباح الأكل فيه من بيوت الأقرباء والأصدقاء والبيوت التي يملك التصرف فيها بإذن من أربابها مجتمعين في الأكل أو منفردين :

« لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالَاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكَتُمْ مَفَاتِحَهُ أَوْ صَدِيقِكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا »

« النور ٦١ »

الشرح والتفسير

تفيد هذه الآية الكريمة نفي الحرج والضيق عن الأعمى والأعرج

والمرضى في مؤاكلة غيرهم من الأصحاب الذين ليس بهم عاهة
وتفيد أيضاً أن لا حرج على الناس من أن يأكلوا من بيوت
أقاربهم (كآبائهم وأمهاتهم وأخوانهم وأخواتهم وأعمامهم وعماتهم
وأخوالهم وخالاتهم) أو البيوت التي يملكون التصرف فيها بإذن من
أصحابها، كالوكلاء والخزان فإنهم يملكون التصرف في بيوت من أذن
لهم بدخول بيته وأعطاهم مفتاحه ، أو بيوت الأصدقاء والأصحاب
والأحباء فلا جناح في الأكل منها على شرط أن يعلم أن ذلك لا يشق
عليهم ولا يكرهونه

ثم أشار جل شأنه إلى بيان حكم آخر ، وهو جواز أكل الإنسان
منفرداً أو معه غيره فقال :

(ليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعاً أو اشتراكاً) أى مجتمعين
أو منفردين

ثم أن الله تعالى بين أنواع المحرمات في آية أخرى فقال :

« حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخَنزِيرِ وَمَا أُهْلَ
لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَفَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّظِيحَةُ وَمَا أَكَلَ
السَّبْعُ إِلَّا مَا ذُكِّرْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى الْمُضْبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ
ذَلِكَ فِسْقٌ الْيَوْمَ بَيَّسَ اللَّهُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ
وَأَخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي

وَرَضِيَتْ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنْ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرِ مُتَجَانِفٍ
لِإِيْمِهِ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ «
« المائدة ٣ »

الشرح والتفسير

(حرمت عليكم) أيها المؤمنون (الميتة) وهي الحيوان الذي
فارقته الروح من غير ذبح شرعي ، ثم قالت العقلاء : إن الحكمة في
تحريم الميتة هي أن الدم جوهر لطيف ، فإذا مات الحيوان من غير ذبح
احتبس الدم في عروقه وتغفن فيحصل من أكله مضار كثيرة

(والدم) أي وحرم عليكم أيها المؤمنون أكل الدم المسفوح أي
السائل ، وأما الجامد وهو السكبد والطحال فإنه يحل

(ولحم الخنزير) أي وحرم عليكم لحم الخنزير لأنه مضر بالصحة
لاحتوائه على ديدان خطيرة مضرّة

(وما أهل به لغير الله) وسبق الكلام عليها

(والمنخنقة) أي وحرم عليكم الميتة التي ماتت بالخنق ، وقد كانوا
في الجاهلية يخنقون الشاة فإذا ماتت أكلوها ، وقد تخنق بحبل الصائد
وقد تدخل رأسها بين غصنين في شجرة فتخنق وتموت . فاليتة بالخنق
إذا ماتت بأي وجه من وجوه الخنق فهي حرام باتفاق الأئمة

(والموقوذة) أي وحرم عليكم أكل الموقوذة وهي التي قتلت
بالضرب بالخشب ونحوه ويدخل فيها الحيوان الذي رمى ببندق الرصاص
فمات لأنه مات ولم يسئل دمه لحكمه في التحريم حكم المنخنقة والموقوذة

فإن كان وحشاً يصاد بأى جرح يدميه مع ذكر اسم الله عليه ،
فيموت قبل أن يذبح كان حلالاً

(والتردية) أى وحرم عليكم أكل المتردية ، وهى التى تردت ، أى
وقعت من علو إلى أسفل ، أو وقعت فى بئر فماتت

(والنطيحة) أى وحرم عليكم النطيحة ، وهى التى نطحتها بهيمة
أخرى فماتت بهذا السبب

ولا يخفى أن هذه الأقسام الأربعة داخلية فى الميتة دخول الخاص فى
العام ، وإنما أفردت بالذكر لمزيد البيان

(وما أكل السبع) أى الحيوان الذى أكل منه السبع فمات ،
والمراد بالسبع كل ما له ناب أو مخلب قوى يمدو على الإنسان ويقترض
الحيوان كالأسد وما دونه ، والنسر وما دونه

وفى هذا دليل على أن جوارح الصيد إذا أكلت مما صادته لم يحل
أكله (إلا ما ذكيتم) أى إلا ما أدركتم ذكاته وفيه بقية حياة يضطرب
اضطراب المذبوح ، بأن وجدتم له ذنباً يتحرك ، أو رجلاً تضطرب
فدبحتموه فهو حلال ، لأن ذلك دليل على وجود الحياة مستقرة فيه

(وما ذبح على النصب) أى وحرم أكل الحيوان الذى ذبح على
النصب ، وهى أحجار كانت منصوبة حول الكعبة ، وكان أهل الجاهلية
يذبحون عليها الذبائح ويمدون ذلك تقرباً منهم فنهاهم الله عن ذلك

(وأن تستقسموا بالأزلام) أى وحرم عليكم أن تطلبوا ما قسم لكم

من خير أو شر بالأزلام ، أى بالأقداح ، وذلك أن أهل الجاهلية كانوا إذا أراد أحدهم شعراً أو تجارةً أو نكاحاً أو أى أمر من الأمور العظيمة ضرب القداح ، وكانوا قد كتبوا على بعضها أمرنى ربى ، وعلى بعضها نهانى ربى ، وتركوا بعضها خالياً عن الكتابة

فإن خرج القدح الذى كتب عليه الأمر أقدم على الفعل ، وإن خرج القدح الذى كتب عليه النهى أمسك عنه ، وإن خرج الخالى عن الكتابة أعاد العمل ثانياً

وإنما حرم الله عليهم طلب معرفة ما قسم لهم من خير أو شر بالأقداح لأنهم كانوا يضرّبونها عند أصنامهم ويعتقدون أن ما خرج لهم من الأمر أو النهى إنما هو بإرشاد الأصنام وإعانتها

وأما إذا طلب الإنسان ظن ما قسم له من خير أو شر بالأمارات المتعارفة فهو غير منهى عنه ، وذلك كتعبير الرؤيا ، وكما يحصل من أصحاب الكرامات وأهل الفراسة ، ونحو ذلك من الأمور التى جربت فى معرفة عواقب الأمور العظيمة على طريق الظن ، فإن هذا كله جائز ولا يحرم شىء منه أصلاً

(ذلكم فسق) أى ذلكم الذى ذكر من المحرمات تناوله فسق ، أى تمرد وعصيان ، ودخول فى علم الغيب الذى لا يختص به إلا الله سبحانه وتعالى

(اليوم يئس الذين كفروا من دينكم) أى من إبطال دينكم وصرّفكم عنه بسبب تحريم هذه الخبائث

والمراد بهذا اليوم هو اليوم الذي نزلت فيه هذه الآية الكريمة ، وكان نزولها بعد عصر الجمعة يوم عرفة في حجة الوداع ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم واقفاً بمرفقات راكباً على ناقته العضباء ، فكادت عضدها أن تندق لثقل الوحي عليها ، فلما اشتد بها الثقل بركت

ويجوز أن يكون معنى قوله تعالى : (اليوم يئس الذين كفروا من دينكم) أى من أن يغلبوكم على دينكم ، لما شاهدوه من أن الله عزوجل وفى لكم بوعده ، من حيث أظهره على الدين كله

وهذا التفسير أنسب لقوله تعالى : (فلا تخشوهم) أى فلا تخافوا من أن يظهروا عليكم (واخشون) أى وأخلصوا إلى الخشية ، فإن كيدى متين ، ولا يكون تمام الخشية إلى إلا إذا انتهيت عن هذه النواهي وتخلصتم من تلك الدواهي ، فحينئذ يعود ليلكم نهاراً ، وتصير ظلمتكم أنواراً (اليوم أكملت لكم دينكم) أى أكملت لكم ما تحتاجون إليه فى تكاليفكم من تعليم الحلال والحرام ، وقوانين القياس وأصول الاجتهاد (وأتممت عليكم نعمتى) بذلك الإكمال ، فإنه لا نعمة أتم من الهداية والتوفيق

(ورضيت) أى واخترت (لكم الإسلام ديناً) من بين جميع الأديان ، وهو الدين الحقيق المرضى عند الله تعالى ، وغيره بعد ظهور هذا الدين باطل

(فمن اضطر) أى فمن أُلجأته الضرورة إلى تناول شئ من هذه

المحرمات (في مخمصة) أى في مجاعة يخاف معها الموت ، أو مباديه
وأشباهه فتناوله (غير متجانف لائتم) أى غير مائل ومنحرف إلى إثم
بأن يأكل هذه المحرمات تلهذاً ، أو بأن يأكل منها فوق الشبع ، أو يستعين
بأكلها على فعل معصية

(فإن الله غفور رحيم) لا يؤاخذ به بذلك

لما نزلت آية التحريم السابقة جاء بعض الصحابة إلى رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقال : يا رسول الله إنا قوم نصيد بالكلاب والبراة
(الصقور) وإنما تصطاد لنا الدواب الوحشية المأكولة ، فتارة ندرک
ما تصطاده لنا حياً فنذبحه ، وتارة نقتله ولا ندرکه إلا ميتاً ، وقد حرم
الله علينا أكل الميتة ، فماذا يحل لنا من صيد تلك الكلاب والطيور ؟
فسكت النبي صلى الله عليه وسلم عن الجواب حتى أنزل الله تعالى
عليه هذه الآية :

« يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُمْ
مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلَّبِينَ تَعْلَمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا
أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ
الْحِسَابِ . الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ
حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ »

« العائدة »

الشرح والتفسير

يقول الله تعالى ذكره : (يسأونك) أى يسألك بعض أصحابك
يا محمد (ماذا أحل لهم) أى شئ أحله الله لهم من المطاعم (قل) لهم
(أحل لكم الطيبات) أى ما ليس خبيثاً منها، وهو الذى لم يأت تحريمه
في كتاب ولا سنة

ومن الطيبات أيضاً كل ما كان نظيفاً لذيداً يشتهى عند أهل
الطباع السليمة، والأخلاق الحميدة

ثم إن الأصل في الأشياء كلها هو الحل ؛ لأن الله تعالى خلقها لمنافع
العباد ، ثم جاء الشرع بتحريم بعض الأشياء كالميتة والدم وجميع
الحيوانات التي لا يحل أكلها . ثم إنه لا يعرف الطيب من المطاعم
وخبيثها جميع طبقات الناس ، لأنهم مختلفون في الطبيعة حتى ان بعضهم
يشتهى ما كان خبيثاً وحراماً بنص الكتاب والسنة ، وإنما يعرف
ذلك من كان من العرب المترهفة ، وغيرهم من ذوى الفطر السليمة

(وما علمتم من الجوارح) أى أحل لكم أيضاً صيد الذى علمتموه
الصيد من الحيوانات التي تجرح ما تصيده ، كالكلب والفهد والطيور
ونحوها حال كونكم (مكبلين) أى مؤذنين ومعلمين لمن (تعلموهن)
لأجل الاصطياد (مما علمكم الله) من الحيل المناسبة للصيد (فكلوا مما
أمسكن عليكم) أى كلوا من الذى حفظنه لكم بعد الصيد ولم يأكلن
منه ولو أدركنموه ميتاً (واذكروا اسم الله عليه) أى وسموا الله على

ما وجدتموه حياً وأردتم ذبحه ، وسموه أيضاً عند إرسال الحيوان المعلم
لطلب الصيد (واتقوا الله) أى اجتنبوا ما حرمه عليكم (إن الله سريع
الحساب) فيحاسبكم على ارتكابها

(اليوم أحل لكم الطيبات) تقدم بيانه

(وطعام الذين أوتوا الكتاب) أى ذبائح الذين أعطوا الكتاب من
التوراة والإنجيل (حل لكم) أى يحل لكم أكله فقط دون ذبائح
غيرهم من أهل الشرك الذين ليس لهم كتاب من مشركى العرب
والمجوس وعبدة الأصنام والأوثان فإنه يحرم عليكم أكل ذبائحهم
(وطعامكم) أيها المؤمنون (حل لهم) أى يحل لكم أن تطعموهم منه
وقد بين الله تعالى أن الأكل مما لم يذكر اسم الله عليه هو فسق
فقال تعالى :

« وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ
الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ
إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ »

« الأنعام »

الشرح والتفسير

أى لا تأكلوا أيها المؤمنون مما مات ، فلم تذبحوه أتم ، أو يذبحه
موحد بدين الله بشرائع شرعها له فى كتاب منزل ، فإنه حرام عليكم
لأنه لم يذكر اسم الله عليه ، وإن الشياطين يوحون إلى أوليائهم ، أى

نصرانهم ، ليجادلوا المؤمنين في تحريمهم أكل الميتة ، وإذا أطعمتموهم أيها
المؤمنون في أكل ما نهيتكم عنه فقد صرتم مثلهم مشركين

أما الذي يذبح ويذكر اسم الله عليه فهو حلال أكله لقوله تعالى :
« فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ »
« الأنعام »

أى كلوا أيها المؤمنون مما ذكيتكم من ذبائحكم ، وذبحتموه الذبيح الذي
يثبت لكم أنه يحل به الذبيحة ، وذلك ما ذبحه المؤمنون من أهل دينكم
دين الحق ، أو ذبحه من دان بتوحيد الله من أهل الكتاب دون ما ذبحه
أهل الأوثان ، ومن لا كتاب له من أهل الجوس ؛ إن كنتم بآيات الله
مؤمنين ، أى إن كنتم بحجج الله التي أتتكم على لسان رسوله صلى الله
عليه وسلم وإعلامه بإحلاله ما أحللت لكم ، وتحريم ما حرمته عليكم
من المطاعم والمآكل مصدقين ، ودعوا عنكم ما توحيه الشياطين بعضها
إلى بعض من زخرف القول وتلبس دينكم عليكم غروراً
ثم يقول الله تعالى :

« وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ
لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرُّرْتُمْ إِلَيْهِ » « الأنعام »

أى شيء يمنعكم من أن تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه ، وإباحة كل
ما ذبح بدينه أو دين من كان يدين ببعض شرائع كتبه المعروفة ، وقد

فصلت لكم الحلال من الحرام فيما تطعمون وبينته لكم، إلا ما اضطررتم إليه من المطاعم المحرمة في حال الضرورة فهو حلال حتى تزول الضرورة

الأحاديث

١ - حديث في الأكل بغير إسراف

(كُلُوا وَتَصَدَّقُوا وَالْبَسُوا فِي غَيْرِ إِسْرَافٍ وَلَا مَخِيلَةٍ)

« عن ابن عمرو »

المعنى

تمتعوا بألوان الطعام ، وتمعوا الفقراء بالصدقات ، وتمعوا أنفسكم بالملابس في غير إسراف ، أي بدخ وتفريط ، ولا مخيلة (أي عجب وتيه)

٢ - حديث في القصد في الطعام والشراب

عن المقدم بن معد يكرب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
(مَا مَلَأَ آدَمِيٌّ وَعَاءَ شَرًّا مِنْ بَطْنِهِ بِحَسْبِ ابْنِ آدَمَ لُقَيْمَاتٌ
يُقْمَنَ صَلْبَهُ ، فَإِنْ كَانَ لَا مَحَالَةَ فَأَعْلًا فَثُلُثُ لِطْعَامِهِ وَثُلُثُ لِشْرَابِهِ
وَثُلُثُ لِنَفْسِهِ)
« أخرجه الترمذى وابن ماجه »

المعنى

يدعو الحديث إلى ذم الشبع والإسراف في تناول الطعام والشراب

وقد نهى عن ذلك القرآن بقوله : (وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب السرفين) وسبق شرحه

وإنما كان ملء البطن شراً لما فيه من المفسد الدينية والدنيوية فالشبع يورث البلادة ، ويعوق الذهن عن التفكير الصحيح ، وهو مدعاة الكسل والنوم الكثير ، ومن نام كثيراً قتل وقته الذى هو رأس ماله فى الحياة العملية ، فيخسر كثيراً من مصالحه الدينية والدنيوية وكم من أكلة كانت عاقبتها الكظة (البطنة) ، وجلبت من الأضرار والأمراض ما لا قبل للإنسان به

ومن وصايا لقمان لابنه : يابنى إذا امتلأت المعدة نامت الفكرة ، وخرست الحكمة ، وورقت الأعضاء عن العبادة ؛ وليس كذلك الحال فى الإقلال من الطعام والشراب ، فالقلب صاف ، والقريحة متقدة ، والبصيرة نافذة ، والشهوة مغلوبة ، والنفس مقهورة

وقد أرشدنا الرسول صلى الله عليه وسلم إلى المقدار المناسب فى الطعام ، وهو ما يقيم الحياة ، ويحفظ الصحة ، ويمكن الإنسان من القيام بواجبه ، وإن كان لا بد مكثرأ جعل الطعام والشراب ثلثي المعدة ، وترك ثلثها الباقي خالياً حتى يتمكن من التنفس بسهولة ، وذلك أن البطن إذا امتلأت ضغطت على الحجاب الحاجز ، فضغط على الرئتين فضاقت مجارى التنفس الذى هو ضرورى لإصلاح الدم الفاسد وتحويله إلى دم صالح تقوم به حياة الإنسان

فمحور الحديث مدح الاقتصاد في الطعام والشراب، وذم الإسراف
فيهما ، وهو ما يطلبه الطب، ويقوم به نظام العمل ، وتتوفر به للإنسان
مصالحه الدينية والدينية ، وقد أيدته صلى الله عليه وسلم بقوله :

(نَحْنُ قَوْمٌ لَا نَأْكُلُ حَتَّى نَجُوعَ ، وَإِذَا أَكَلْنَا لَا نَشْبَعُ)

٣- حديث في النهي عن إكراه المرضى على الطعام

(لَا تُكْرَهُوا مَرَضًاكُمْ عَلَى الطَّعَامِ فَإِنَّ اللَّهَ يُطْعِمُهُمْ وَيَسْقِيهِمْ)

« عن عقبه بن عامر - رواه الترمذى »

المعنى

يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : لا تكروهوا المرضى على تناول
شيء من الطعام والشراب (إلا الدواء) حناناً ورقابهم ، فإن الله تعالى
يتولى إطعامهم وسقيهم بمنحهم الصبر على الجوع وصرف ألمه عنهم
أليست الرحمة ، وهى الامتناع عن الطعام ، رأس الدواء وأنفعه
وأجداه ؟

٤- حديث فى أن طعام العرس سنة

(طَعَامُ يَوْمٍ فِي الْعُرْسِ سُنَّةٌ ، وَطَعَامُ يَوْمَيْنِ فَضْلٌ ، وَطَعَامُ

ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ رِيَاءٌ وَسُمْعَةٌ) « عن ابن عباس ، رواه الطبرانى »

المعنى

من الإعلان للعرس بسط الموائد تكريماً للأقارب والأصدقاء، وبرا
بالمساكين والفقراء

وقد وضع الرسول حداً لما ينبغي في العرس فقال :
طعام يوم (غداء وعشاء) أو أحدهما سنة
وطعام يومين لا ثواب عليه ولا عقاب
وطعام ثلاثة أيام رياءٌ وسمعةٌ ، أى شهرةٌ ليسمعه الناس ويروه، وهما
ليساً من الدين فى شىء

٥ - حديث فى إكرام الضيف

(مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ)

« عن أبى هريرة »

إكرام الضيف يكون بحسن استقباله ، فيقابله بوجه باش ويظهر
له السرور بحضوره ، ويقدم له خير ما عنده من الطعام والشراب
ووسائل الراحة ، وإن كان ذا سعة والضيف فقيراً مداً إليه يد المعونة ،
وودعه كما استقبله بالحفاوة والإكرام إلى غير ذلك

وقال العلماء : إن الضيافة الشرعية ثلاثة أيام ، وما زاد عليها فهو صدقة
فنحن مأمورون بإكرام الضيف هذه الثلاثة الأيام ، وما زاد عليها
فهو فضل من المضيف

أحاديث أخرى في آداب الأكل والشرب (١)

- ١ - إذا أكل أحدكم طعاماً فليذكر اسم الله ، فإن نسي أن يذكر اسم الله في أوله فليقل : بسم الله على أوله وآخره (عن عائشة)
- ٢ - إذا أكل أحدكم طعاماً فليقل : اللهم بارك لنا فيه ، وأبد لنا خيراً منه
- ٣ - إذا أكل أحدكم طعاماً فلا يمسح يده بالتمديد حتى يلعقها (عن ابن عباس)
- ٤ - إذا أكل أحد فليأكل بيمينه ، وإذا شرب فليشرب بيمينه ، فإن الشيطان يأكل بشماله ويشرب بشماله (عن أبي هريرة)
- ٥ - إذا دخل أحدكم على أخيه المسلم ، فأطعمه من طعامه ، فليأكل ولا يسأل عنه ، وإن سقاه من شرابه فليشرب ولا يسأل عنه (عن أبي هريرة)
- ٦ - إذا دعى أحدكم إلى وليمة فليجب وإن كان صائماً (عن أبي أيوب)
- ٧ - إذا دعى أحدكم إلى طعام فليجب ، فإن كان مفطراً فليأكل ، وإن كان صائماً فليدع بالبركة (عن ابن مسعود)
- ٨ - إذا شرب أحدكم فلا يتنفس في الإناء ، فإذا أراد أن يعود فلينجح الإناء ثم ليعد إن كان يريد (عن أبي هريرة)

(١) أنظر آداب الأكل في كتاب التربية الاجتماعية للمؤلف من ص ١٩١ الى

٩ - - إذا شربتم الماء فاشربوه مصاً ، ولا تشربوه عباً ، فإن العب

يورث الكبد (وجع الكبد) (عن علي)

١٠ - أصل كل داء البردة (عن أبي سعيد)

أى أصل كل داء من الأدوية المورثة لضعف المعدة
وفسادها (البردة أى التخمة)

١١ - أظعموا الطعام وأفشوا السلام تورثوا الجنان

(عن عبد الله بن الحرث)

١٢ - أظعموا طعامكم الأتقياء ، وأولو معروفكم المؤمنين

(عن أبي سعيد)

لأن التقى يستعين به على التقوى ، فتكونوا شركاء له في
طاعته ، وأولو معروفكم المؤمنين ، أى الذين حسنت أخلاقهم
وأحوالهم في معاملة ربهم ، فتجملوا في القيام بانفاقهم ، وفعل
صنوف المعروف معهم

١٣ - إن أطيّب ما أكلتم من كسبكم ، وإن أولادكم من كسبكم

(عن عائشة)

١٤ - شر الطعام طعام الوليمة ، يمنعها من يأتيها ، ويدعى إليها من

يأبأها ، ومن لا يجب الدعوة فقد عصى الله ورسوله

(عن أبي هريرة)

١٥ - الضيافة ثلاثة أيام ، فما زاد فهو صدقة ، وعلى الضيف أن

يتحول بعد ثلاثة أيام (عن أبي هريرة)

١٦ - ما أكل أحد طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يده ،

وأن نبي الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده

(عن المقدم)

١٧ - من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يجلس على مائدة يدار

عليها الخمر (عن جابر)

١٨ - المؤمن يأكل في معي واحد ، والكافر في سبعة أمعاء

(عن أبي موسى)

أى المؤمن يأكل بقدر الحاجة ، فكأنه يأكل في معي

واحد ، والكافر لشدة شرهه كأنه يأكل في سبعة أمعاء ،

والمؤمن أيضاً يبارك الله له في قليل ، والكافر لا يبارك له

في كثير ، فذكر السبعة كناية عن الكثرة ، ومن شأن

العرب ذلك ، كالسبعين والسبعائة

١٩ - نهى عن كل مسكر ومفتر (عن أم سلمة)

أى نهى عن كل مشروب يحدث السكر ، وكل طعام أو

مشروب يورث الفتور والخدر ، كالحشيش وغيره من أنواع

المخدرات ، كالأفيون و « الهروين » وغيرهما فإنها مذهب

للفعل ، مضرّة بالصحة ، مجلبة لسوء الحال ، مضیعة للمال
٢٠ - نهى عن النفخ في الطعام والشراب (عن ابن عباس)
لأن النفخ في الطعام الحار ليرد يؤذن بشدة الشره وقلة الصبر ،
والنفخ في الشراب يكره لأنه يغير رائحة الماء

هذا ما وفقنا الله لوضعه في الآداب الإسلامية طبقاً للكتاب والسنة
وكان الفراغ من تأليفه في يوم الأحد ١٨ ذى القعدة الموافق ٣١ يناير
سنة ١٩٣٧ ، والانتهاه من طبعه في يوم الإثنين ٢٦ ربيع الثاني
سنة ١٣٥٦ الموافق ٥ يوليه سنة ١٩٣٧

والحمد لله وحده أولاً وآخراً ، ظاهراً وباطناً

ونسأله تعالى حسن الختام ، والصلاة والسلام على خاتم

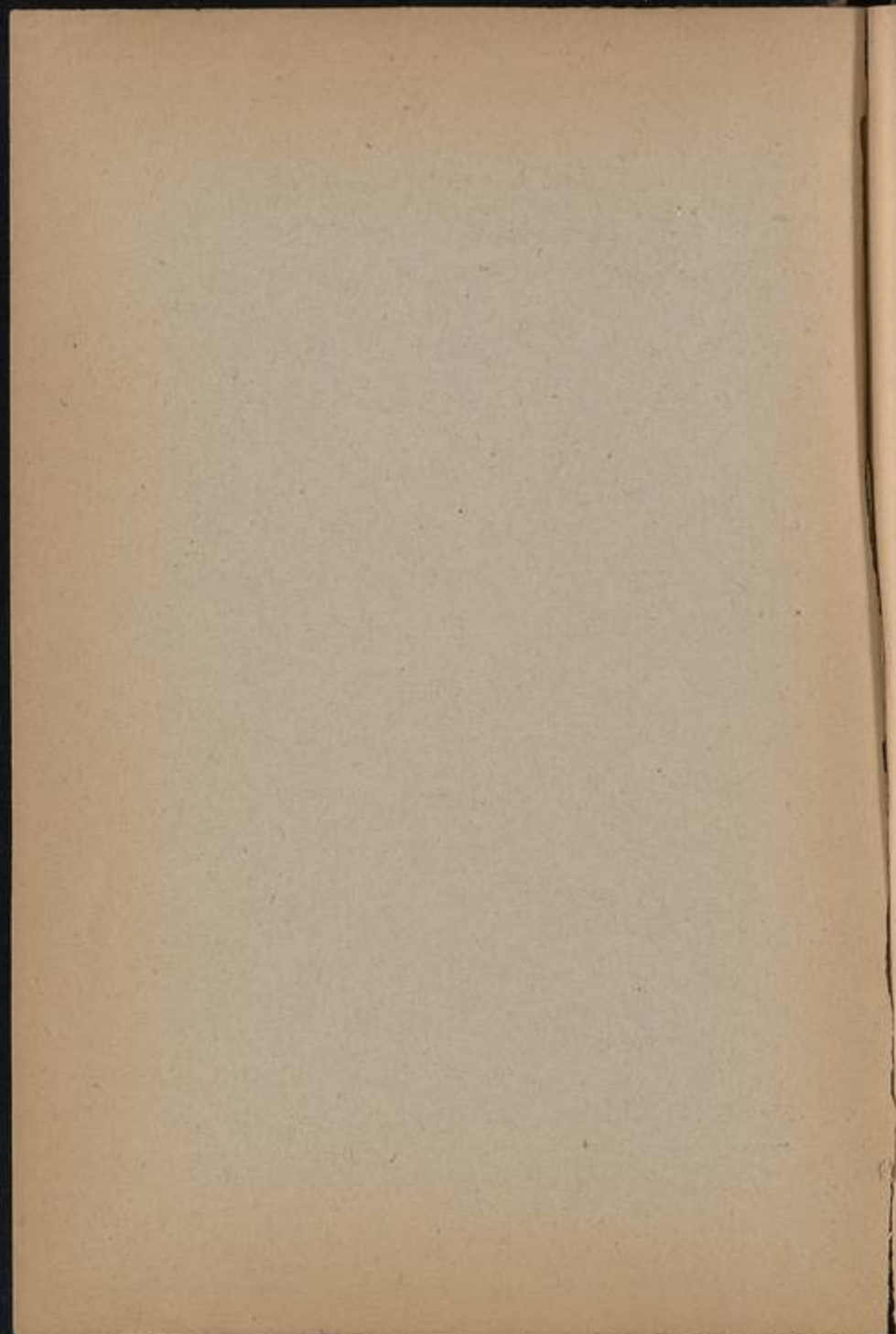
الأنبياء والمرسلين ، وعلى آله وصحبه أجمعين

مفاح مسك ختام ولاح بدر تمام

أمين

فهرست

الموضوع	الصفحة
كلمة فضيلة الأستاذ الشيخ محمد الحسيني الطواهرى	٣
المقدمة	٥
الأدب مع الله تعالى	٧
الأدب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم	٤٥
الأدب مع أولى الأمر	٦٣
الأدب مع الوالدين	٧٢
الأدب مع الأقارب (ذوى الرحم)	٩٤
الأدب مع الجار	١٠٣
الأدب مع الصاحب	١١١
أدب المرء مع نفسه	١١٤
آداب المعاشرة والعاملة مع جميع الناس	١٤٠
آداب الزيارة	١٧٧
آداب المجالسة	٢٠٠
آداب المحادثة	٢١٢
آداب الأكل والشرب	٢٣٣



أسرار القصص

للأستاذ المريني علي افندى فكرى

الأمين الأول ورئيس المغيرين بدار الكتب المصرية

الجزء الأول

يشمل مختصر قصص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام المذكورين في القرآن الكريم وهم: آدم - ادريس - هود - شعيب - داود - سليمان - أيوب - يوسف - هارون - زكريا - يحيى - اسماعيل - يونس الى آخره

الجزء الثاني

يشمل مختصر سير أولى العزم من الرسل وهم: نوح - ابراهيم - موسى - عيسى - محمد صلى الله عليهم وسلم

الجزء الثالث

يشمل مختصر سير الخلفاء الراشدين رضى الله عنهم

الجزء الرابع

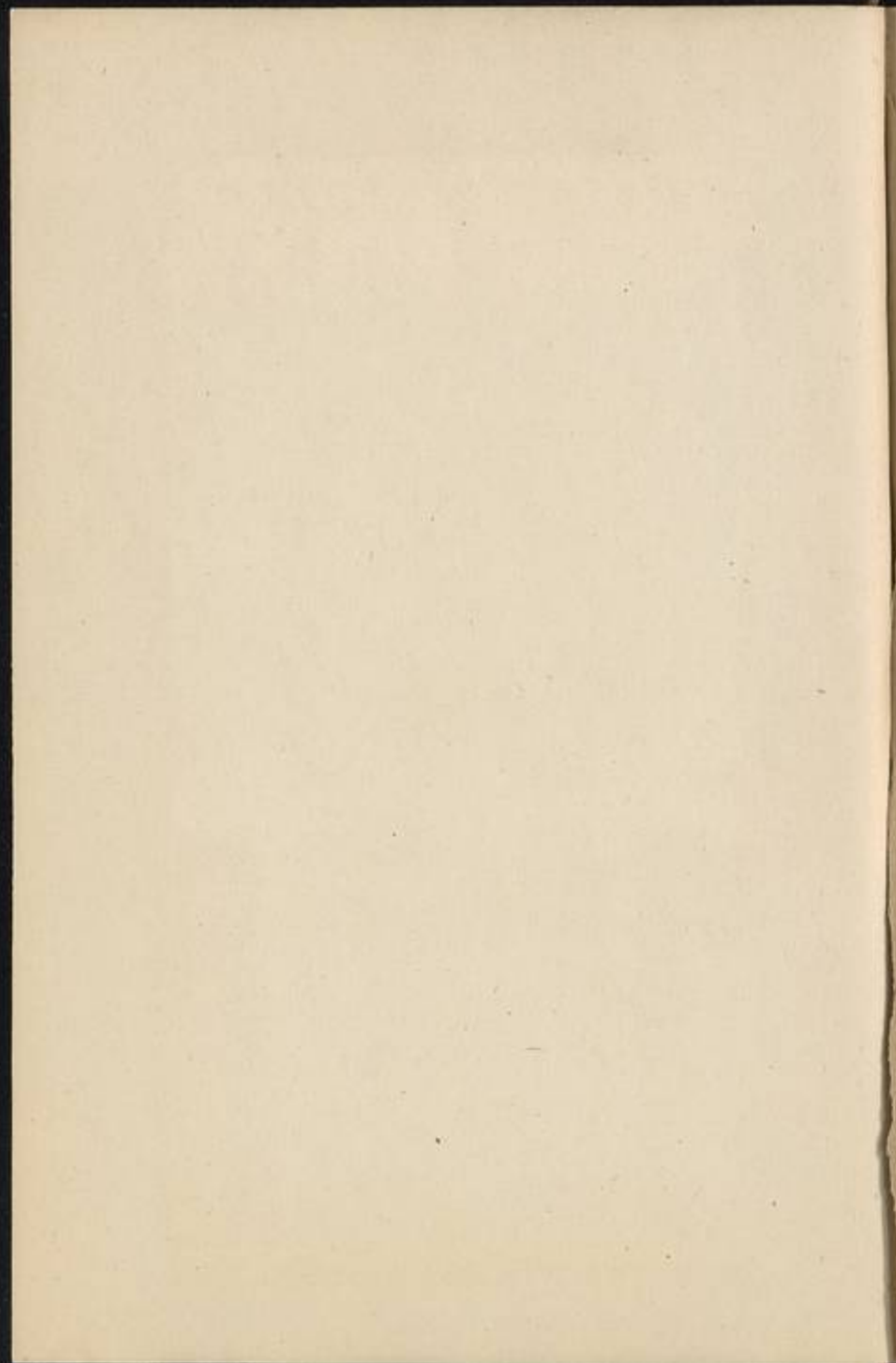
يشمل مختصر سير أئمة الدين وبعض الصالحين

الجزء الخامس

يشمل مختصر سير أمهات المؤمنين وبعض الشهيرات من النساء السلمات

يطلب من مكتبة عيسى البابى المبنى وشركة بمصر

صندوق بريد القورية نمرة ٢٦



COLUMBIA UNIVERSITY LIBRARIES

This book is due on the date indicated on the label

893.791
F473

AUG 19 1947

DEC 6 1962

COLUMBIA LIBRARIES OFFSITE



CU58878718

893.791 F473

Adab al-Islamiyah /